

اماثا كرسى



اللفز المثير



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

—الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

— بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

— كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نَصَّبها ملكة عليهم جميعاً. تميَّزت أيضاً بأنَّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالَت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضاً أهدافاً إنسانية فحواها أنَّ (الجريمة لا تفيد) وأنَّ الخير هو المنتصر في النهاية.

اللغز المثير

A Caribbean Mystery

«هل ترغبين في رؤية صورة شخص قاتل؟»

هذا السؤال أثاره على «جين ماربل» شخص كان يقضي إجازته على البحر الكاريبي. ولكن ذلك الشخص ترك «جين» قبل أن تجيب عن سؤاله ... وفي اليوم التالي فوجئت به قتيلاً في حجرته واختفت الصورة. فما الذي حدث لتلك الصورة؟ ولماذا ترى صاحبة الفندق كثيراً من الكوابيس؟ وذلك المليونير المقعد لماذا يخشى خطراً يهدد حياة «ماربل» الشخصية؟

ثمن الكتاب

ISBN 995338395-2



9 789953 383958

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

اللفظ المشير

برنارد الأسطه

يقدم
الرواية المعربة

اللغز المثير
(21)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية
أجاثا كريستي

تعريب الأديب
عمر عبد العزيز أمين

الناشر
دار ميوزيك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الإدارة العامة والتوزيع

فاكس 00 961 9 212 665

تليفون 00 961 9 212 666

ص.ب 374 جونية - لبنان

Email:info@inter-press.org

www.inter-press.org

وكلاء التوزيع
المركز الدولي - دار البشير

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

تأليف
Agatha Christie

الاسم الاصلي للكتاب
A Caribbean Mystery, (1964)

الغلاف بريشة الفنان العالمي
عبد العال

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل - مصلحة الشهر العقاري والتوثيق
مكتب شمال القاهرة - توثيق مصر الجديدة - جمهورية مصر العربية - تحت رقم 2390 تاريخ 1985/06/16
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة كانت ...
إلا بعد أخذ موافقة خطية من الناشر

أهم الشخصيات :

الآنسة "جين ماربل" : كانت تعمل في إحدى الأبرشيات الريفية، وهي نزيلة جديدة بفندق "النخيل الذهبي".

العقيد "بالجريرف" : من رجال الجيش السابقين، يحب رواية القصص وخاصة قصص جرائم القتل.

"موللي كيندال" : شابة شقراء لطيفة، تدير مع زوجها "تيم" فندق "النخيل الذهبي" بعد الزوجان "ساندرسن".

"تيم كيندال" : زوج "موللي"، ويدير مع زوجته فندق "النخيل الذهبي".

السيد "رافيل" : رجل أعمال ثري وأحد نزلاء الفندق.

"استر والترز" : سكرتيرة السيد "رافيل".

"آرثر جاكسون" : الوصيف الخاص للسيد "رافيل".

الدكتور "جراهام" : طبيب شبه متقاعد.

"كانون بريسكوت" : قس من نزلاء الفندق.

"جوان بريسكوت" : أخت القس "كانون".

"جريجوري دايسون" "جريج" : أحد نزلاء الفندق وهو من علماء النبات ويهتم بالطيور.

"لاكبي دايسون" : زوجة "جريجوري" الثانية وتهتم مثله بالنبات والطيور.

"إدوارد هيلنجدون" : أحد نزلاء الفندق وهو من علماء النبات، ويهتم بالطيور وهو صديق "جريجوري".

"إيفيلين هيلنجدون" : زوجة "إدوارد"، وهي من علماء النبات أيضاً وتهتم بالطيور.

السنيرة "دي كاسبيرو" : إحدى السيدات النزليات بالفندق.

الدكتور "روبرتسون" : طبيب الشرطة.

المفتش "ويستون" : مفتش الشرطة.

"دافنتري" : صديق الدكتور "جراهام".

"فيكتوريا" : إحدى الفتيات الوطنيات العاملات بالفندق.

"جيم إيليس" : زوج "فيكتوريا".

"فرناندو" : رئيس السقا.

الفصل الأول

واصل العقيد "بالجريرف" حديثه قائلاً:

- خذي مثلاً البلاد المعروفة باسم "كينيا" ... كثير من الناس يسافرون ويتجولون ولكنهم لا يعرفون شيئاً عنها، أما أنا فقد أمضيت هناك أربعة عشر عاماً من حياتي، ومع ذلك فأنا لا أنكر أنها كانت من أسعد أيام حياتي ... أومات الآنسة "ماريل" برأسها، ولم تكن تلك الإشارة منها إلا من قبيل المجاملة، بينما استمر العقيد "بالجريرف" في سرد ذكريات حياته وهو يعتقد أن مستمعيه قد استعذبت حديثه. والواقع أن الآنسة "ماريل" استغرقت في تتبع أفكارها الخاصة في هدوء. كان ذلك بالنسبة إليها إجراء تلقائياً تعودته، وكل ما هنالك أن المكان والملابس تختلف، بينما الموقف في جميع الحالات واحد لا يتغير، فالرجل متى تقدمت به السنون يشعر بالحاجة إلى شخص ينصت إليه وهو يستعيد ذكرى أيام سعيدة خلت، أيام كان لا يزال فيها منتصب القامة، قوي الإبصار حاد السمع. وقد استمعت الآنسة "ماريل" إلى كثيرين من هذا الطراز، كان معظمهم من رجال الجيش السابقين، وكان الاختلاف الوحيد فيما بينهم هو تفاوتهم في حسن المنظر، أما العقيد "بالجريرف" فكان لسوء الحظ من أولئك الذين لا يمكن وصفهم بالسامة. كان وجهه دائم الاحتقان وإحدى عينيه من زجاج، أما منظره العام فكان يوحي بمنظر الضفدعة المنحطة.

كانت الآنسة "ماريل" تضيف على جميع محدثيها من هذا الطراز الدرجة نفسها من العطف. كانت تجلس أمامهم متظاهرة بالاهتمام، تومئ برأسها بين الحين والحين، بينما هي في الواقع مستغرقة في خواطرها الخاصة، مستمتعة بما حولها مما يستوجب الاستمتاع. وفي هذه الحالة كانت تستمتع بمنظر "البحر الكاريبي" وهو يمتد أمامها بأفق الواسع البعيد وزرقته الهادئة. كم كان ذلك جميلاً من ابن أخيها! كانت مشاعرها في تلك اللحظة تختلج عرفاناً بجميله، وإن كانت تعجب في الوقت نفسه من السر في إحاطته لها، وهي العمة العجوز، بكل هذا العطف والحنان، هل هو شعور بالواجب، أم هو الرباط العائلي، أم تراه حقيقة يحبها؟ كانت الآنسة تميل إلى ترجيح الظن الأخير، وإن كان حبه هذا كثيراً ما يثير فيها شعوراً

بالحنق فقد كان يحاول دائماً أن يجعلها تسائر التطور السريع في المجتمع الحديث، فيغمرها بالكتب الجديدة والقصص الحديثة التي كانت تدور كلها حول شخصيات بغضبة تقوم بأعمال غريبة وإن بدا عليهم أنهم يعجبون بها ويحبونها. إن كلمة "الجنس" لم تكن من الكلمات التي كانت الآنسة "ماربل" تسمعها في أيام شبابها وإن كان مدلولها في ذلك الوقت لا يقل شيوعاً عنه في أيامنا هذه، وكانت تعتقد أنه على الرغم من أن الصلات الجنسية في تلك الأيام البعيدة كانت تعتبر خطيئة، إلا أنها على كل حال كانت أفضل من مفهومها الحديث الذي لا يتعدى اعتبارها نوعاً من "الواجبات". وهنا استعادت الآنسة "ماربل" كلمات ابن أخيها وهو يقول لها: "أي عمتي العزيزة" جين .. لماذا تخفين رأسك في الرمال كما تفعل النعامة الجميلة؟ لماذا تقنعين بالعزلة التامة بين تلك المناظر الجميلة في هذه الحياة الريفية التي تحبينها؟! إن المهم هو الحياة الحقيقية، حياة العصر الذي نعيش فيه ...

وكانت الآنسة "ماربل" تستمع إلى هذا الكلام من "ريموند" وهي تمس بالحنجل وتشعر في الوقت نفسه بأنها فعلاً من طراز عتيق. ومع ذلك فإن الحياة الريفية لم تكن بهذا الهدوء الذي حاول "ريموند" أن يصفها به. إن الرجال أمثال "ريموند" يتسمون بالجهل، ففي خلال عملها الطويل في إحدى الأبرشيات الريفية اكتسبت "جين ماربل" قدراً كبيراً من المعرفة بحقائق الحياة في الريف، ولم تكن تلك الحقائق مما يمكن أن يستثيرها للكتابة أو للحديث عنها، فقد كانت مليئة بالجنس، الطبيعي منه وغير الطبيعي، والاغتصاب والزنى والشذوذ بجميع أشكاله، لدرجة أن بعض تلك الكتب والقصص الحديثة التي كان يبعث إليها بها ابن أخيها لم يكن مؤلفوها، حتى وإن كانوا من خريجي "أكسفورد" ليتصوروا حدوثها أو قد سمعوا بمثلها. وهنا عادت الآنسة "ماربل" بأفكارها إلى "البحر الكاريبي" وإلى الحديث الذي كان العقيد "بالجرريف" لا يزال مستطرداً فيه، فقالت وهي تشجعه:

- إنها لتجربة غير عادية. إنها لمثيرة حقاً! ويجيبها "العقيد":

- باستطاعتي أن أروي لك المزيد وإن كانت بعض الحوادث مما لا يليق ترديدها على أسماع السيدات! وكنتييجة لتجاربها الطويلة، أرخت الآنسة "ماربل" جفونها واستمر العقيد "بالجرريف" في وصف عادات القبائل الإفريقية، في حين عادت هي إلى تأملاتها الخاصة في تصرفات ابن أخيها المحب. كان "ريموند وست" من كتاب

القصة الناجحين، وكانت قصصه تدر عليه دخلاً كبيراً؛ ولذا لم يكن ليبخل بأي شيء في سبيل التخفيف عن عمته العجوز. وقد حدث أن أصيبت العمّة في الشتاء الماضي بالتهاب رئوي حاد ونصحها الأطباء بضرورة قضاء فترة من الوقت في مكان مشمس، فبادر "ريموند" واقترح عليها بطريقة سخية أن تقوم برحلة إلى إحدى جزر "الهند الغربية". وقد شعرت الأنسة "ماربل" بتردد شديد في قبول هذا العرض وهي تعلم ما ستتكلفه مثل هذه الرحلة من نفقات، وما يكتنفها من متاعب السفر والانتقال فضلاً على مغادرتها لمنزلها الخاص في "سانت ماري ميد"، ولكن "ريموند" كان قد قام بكافة الترتيبات، وقال لها:

"إن لي صديقاً يود أن يؤلف كتاباً وهو يبحث عن مكان هادئ في أحضان الريف. وإنني واثق بأنه سيكون شديد العناية بمنزلك في أثناء غيابك، خصوصاً وهو من ذلك النوع الذي يحب البيت. إنه شخص شاذ الطباع، أعني..." وقد توقف "ريموند" عند هذه العبارة مستدرِكاً وإن كان واثقاً بأن العمّة "جين" لا بد أنها سمعت بمثل هؤلاء المؤلفين ذوي الطباع الشاذة، ولكنه استطرد شارحاً لها تفاصيل الترتيبات التي اتخذها لتوفير الراحة لها، فأخبرها بأن السفر في هذه الأيام أصبح يسيراً وأن انتقالها سيكون بالطائرة، وأن ثمة صديقة له "ديانا هاروكس" ستصحبها في الطائرة حتى "ترينداد"، وعند وصولها إلى "سانت أونوريه" ستنزل في فندق "النخيل الذهبي" الذي يديره الزوجان "ساندرسن" وهما من أظرف مخلوقات الله، وهو واثق بأنهما سيعنيان بها عناية فائقة وسيكتب لهما فوراً، لكن تصادف أن الزوجين "ساندرسن" كانا قد غادرا "الزوجان" عائدين إلى "إنجلترا" وخلفهما في إدارة الفندق الزوجان "كيندال". وقد ردا عليه يؤكدان له أن لا وجه للقلق مطلقاً على عمته، وأن الجزيرة بها طبيب ماهر إذا احتاج إليه الأمر في حالة الطوارئ، وأنهما سيشرعان شخصياً على راحة العمّة والعناية بها.

وقد كان آل "كيندال" عند وعدهما.. كانت "موللي كيندال" شابة شقراء لطيفة لا يتجاوز عمرها العشرين، ينطق وجهها دائماً بالسعادة والنشاط، وقد استقبلت السيدة العجوز بحرارة وبذلت كل ما في وسعها لراحتها، أما زوجها "تيم كيندال" فكان في حوالي الثلاثين من عمره، نحيلاً أسود الشعر، ولم يكن ليقبل عن زوجته عطفًا واهتماماً بالنزيلة الجديدة. وهكذا وجدت الأنسة "ماربل"

نفسها في كبينة جميلة خاصة بها بعيداً عن تقلبات جو الريف الإنجليزي، تخطر أمامها فتيات الجزر السمرات والابتسامة لا تفارق شفاههن، يلبن طلباتها ويسهرن على خدمتها، في حين كان يقترب منها "تيم كيندال" كلما دخلت قاعة الطعام بالفندق ليلقي إليها بعض النكات الطريفة، ويسألها عن رأيها في قائمة الطعام. وكان يمتد أمام الكبينة طريق ممهد جميل يؤدي إلى شاطئ البحر مباشرة حيث تستطيع أن تسترخي في مقعد مريح، وتراقب باقي النزلاء وهم يستحمون ويسبحون. فضلاً على ذلك فقد كان بين النزلاء بعض كبار السن، الأمر الذي يهيئ لها رفقة لطيفة، وكان من بين هؤلاء السيد "رافيل" والدكتور "جراهام" والنس "كانون بريسكوت" وشقيقته، وهذا بخلاف رفيقها الحالي العقيد "بالجريف".

فهل هناك ما هو أكثر من ذلك مما يمكن أن تصبو إليه نفس سيدة عجوز؟ ومع ذلك فقد اضطرت الآنسة "ماريل" إلى أن تعترف في قرارة نفسها بأنها لم تكن راضية تمام الرضاء... حقيقة كان الجو رائعاً ودافئاً - وسيفيدها ذلك كثيراً في التخفيف من آلامها الروماتيزمية - والمناظر جميلة وخلابة وإن كانت على شيء من الرتابة... كانت أشجار النخيل الكثيرة وكل ما يحيط بها ويتخللها من مناظر هي المنظر نفسه الذي يتكرر يومياً... لا شيء يحدث في هذه البقعة! بعكس "سانت ماري ميد" حيث كانت الحوادث تترى دواماً. وعلى الرغم من أن "ريموند" كان يشبه لها حياة الريف بالرغم الذي يكسو سطح البركة الراكدة، فإنها كانت تقول له بثقة إنه لو وضع جزءاً من هذا الرم تحت المجهر لاله ما سيشاهده فيه من أحداث. والحقيقة أن ثمة أشياء وأشياء تحدث باستمرار في "سانت ماري ميد"...

وقد مرت ذكرى بعض تلك الحوادث الواحدة بعد الأخرى في مخيلة الآنسة "ماريل"... كان أول ما تذكرته ذلك الخطأ الذي وقع فيه صيدلي القرية عند تركيبه لدواء السعال للسيدة "لينيث"، ثم ذلك التصرف الغريب من الشاب "بولجيت" عندما جاءت لزيارته أم "جريجوري ورد" (ولكن هل كانت أمه حقيقة؟) ثم السبب الحقيقي في الخلاف الذي دب بين "جو آردن" وزوجته... إلى غير ذلك من المشكلات الإنسانية المثيرة التي كانت الآنسة "ماريل" تجد متعة لا تضاهيها متعة في متابعتها وتحليلها، الأمر الذي كان يستغرق من

وقتها الساعات الطوال . أما هنا، فلا شيء يحدث ... أو على الأقل لا شيء يستطيع أن يثير انتباهها . وهنا بوغتت الأنسة "ماربل" عندما أدركت أن العقيد "بالجريف" قد ترك موضوع "كينيا" وانتقل بالحديث إلى الحدود الشمالية الغربية، وبدأ يروي الأحداث التي واجهته وهو بعد برتبة "الملازم" . وكان الذي قطع عليها حبل أفكارها أنه سألها بحماس واضح قائلاً :

- الست ترين هذا الرأي؟ ومرة ثانية كانت خبرة الأنسة "ماربل" الطويلة كفيلة بإنقاذها من الحرج، فأجابته فوراً :

- الواقع أنني لا أجد في نفسي الخبرة الكافية لإبداء الرأي . أخشى أن معظم حياتي في شبه عزلة كاملة . فأجاب "العقيد" بإعجاب :

- بالتأكيد يا سيدتي العزيزة، بالتأكيد . واستطردت الأنسة "ماربل" محاولة أن تعوضه عما أبدته من عدم اهتمام سابق بحديثه :

- أما أنت فقد كانت حياتك مليئة بالأحداث . فقال "العقيد" مزهواً بنفسه :

- لست آسفاً على ذلك . كلا ... ثم تلفت حوله بإعجاب، وقال :

- مكان جميل !

- إنه لكذلك حقاً ! ولكنني أعجب .. ألا يحدث هنا شيء أبداً؟ حملق إليها "العقيد" مدهوشاً، وقال :

- من قال هذا؟ إن الفضائح هنا لا حصر لها ... بل إنني أستطيع أن أروي لك . ولكن الأنسة "ماربل" لم تكن لتبحث عن الفضائح ... إن فضائح هذه الأيام

لم تعد مما يثير، فهي لا تعدو مجرد عملية تبادل بين الأزواج والزوجات دونما خجل أو محاولة لإحاطتها بستار من الكتمان . واستطرد "العقيد" :

- بل لقد وقعت هنا جريمة قتل منذ بضعة سنوات . لعلك تذكرين "هاري وسترن" ... لقد أثارت جريمته ضجيجاً كبيراً في الصحف . وأومات الأنسة

"ماربل" برأسها بغير حماس . لم تكن تلك الجريمة من الطراز الذي يعجبها، وكان السبب الوحيد في تلك الضجة التي أحدثتها أن جميع الأطراف المعنية فيها كانوا

من كبار الأغنياء ولم يكن من المستغرب أن يقدم "هاري وسترن" على إطلاق النار على عشيق زوجته الكونت "دي فراري" ، كما لم يكن من المستبعد أن يكون

دليل النفي الذي قدمه الزوج قد كلفه ثروة كبيرة ... وكان يبدو أن الجميع كانوا

في حالة سُكر بَيِّن، وأن عددًا كبيراً ممن كانت لهم علاقة بالقضية كانوا من مدمني المخدرات... إن مثل هؤلاء الناس لا يثيرون الاهتمام على الرغم مما كانوا يتمتعون به في المجتمع من مكانة وحسن مظهر... وليس هذا بالتأكيد هو ماتصبرو إليه نفس الأنسة "ماربل". واستمر العقيد "بالجرريف" قائلاً وهو يغمر لها بعينه:

- وأنت إذا سألتني لأجبتك أن تلك الجريمة لم تكن هي الوحيدة التي وقعت في ذلك الوقت. لقد كان لديّ شكوكي الخاصة. وهنا أسقطت الأنسة "ماربل" لفة الصوف التي كانت تنسج منها فانحنى "العقيد" والتقطها ثم قدمها إليها وهو يقول:

- وما دمنا بصدد الحديث عن جرائم القتل، فلا أقل من أن أخبرك بأنني واجهت حادثة عجيبة، لا أقصد أنني واجهتها شخصياً... فابتسمت الأنسة "ماربل" مشجعة ثم استطرد:

- في ذات يوم كان بعض الاصدقاء يتبادلون الحديث في النادي، ثم أخذ أحدهم، وهو طبيب، يروي الحادث الذي عرض له شخصياً كطبيب. لقد جاءه شاب في منتصف الليل وأخبره بأن زوجته قد شنت نفسها، ولما كان منزلهما خالياً من التليفون فقد بادر الشاب بقطع الحبل الذي كانت تتدلى منه، وحاول إسعافها بقدر طاقته، ثم بادر بإخراج سيارته من الجراج، وانطلق بها كالمجنون بحثاً عن طبيب. لم تكن الزوجة قد فارقت الحياة ولكنها كانت في حالة غيبوبة تامة مما ساعد على إسعافها. وقد شعر الطبيب بأن الزوج كان شديد الحب والإخلاص لزوجته عندما رآه يبكي كالطفل الصغير، وكان مما ذكره الزوج للطبيب أنه لاحظ أن تصرفات زوجته في الفترة الأخيرة كانت غير طبيعية وأنه كانت تتناوب نوبات من الانقباض الشديد. وقصارى القول إن الحادث مر بسلام، وبدا أن كل شيء عاد إلى مجراه الطبيعي، غير أن الواقع كان بخلاف ذلك؛ إذ لم تمض بضعة أسابيع على ذلك حتى تناولت الزوجة كمية كبيرة من الحبوب المنومة قضت عليها. كانت مأساة. وهنا توقف "العقيد" قليلاً وهو يهز رأسه عدة مرات. ولما شعرت الأنسة "ماربل" بأن القصة لم تنته بعد لزمّت الصمت. ثم أردف:

- ستقولين إن هذا هو ما قضى به القدر... امرأة انهارت أعصابها... ولا شيء غير ذلك... أمر لا يخرج عن المألوف، لكن بعد أقل من عام كان ذلك الطبيب

يتبادل الحديث مع زميل له فأخبره هذا الأخير بقصة امرأة حاولت إغراق نفسها، ولكن زوجها بادر إلى انتشالها من الماء وأسرع باستدعاء الطبيب وبذلك تمكنا من إنقاذها، لكن لم تمض بضعة أسابيع حتى قضت تلك المرأة نحبها. ومرة أخرى ستقولين بالتأكيد إنها مجرد مصادفة... أليس كذلك؟ ولكن الطبيب أراد أن يدلي بنصيبه في رواية القصص فأخبر زميله بأن حادثاً مشابهاً تماماً لذلك قد وقع له، وكان اسم الرجل في هذا الحادث "جونز" (وإن لم يكن الطبيب واثقاً بصحة هذا الاسم) وأن الزوجة توفيت بعد تناولها جرعة كبيرة من الحبوب المنومة، ثم سأل زميله عن اسم بطل قصته فأخبره بأنه لا يذكره وربما كان "روبرتس"، وعلى كل حال فهو واثق بأن اسمه لم يكن "جونز".

وهنا نظر الصديقان كل منهما إلى الآخر واتفقا على أن الأمر إذا كان مصادفة فعلاً فهي مصادفة عجيبة حقاً. ثم مد الطبيب يده إلى جيبه وهو يقول: "هذا هو الرجل... لقد حدث أن توجهت في اليوم التالي للحادث إلى منزله للاستفسار عن حالة المريضة، وعندما اقتربت من المنزل شاهدت حول مدخله مجموعة من الزهور الغريبة لم يكن قد سبق لي أن رأيت مثلها في تلك المناطق، وقد تصادف أن آلة التصوير كانت معي في السيارة فأسرعت بالتقاط صورة لها، وفي اللحظة التي كانت فيها آلة التصوير مفتوحة على المنظر كان الرجل يخرج من باب المنزل فاحتوته الصورة. لا أظن أنه لاحظ ذلك، وأنا شخصياً لم أنتبه للإضافة التي جدت على الصورة إلا عند تجميعها فيما بعد، وقد أخذت أسأل الرجل عن اسم الزهور مبدئياً إعجابي بجمالها وغرابتها، ولكنه لم يستطع أن يذكر لي اسمها". وهنا كانت عينا زميل الطبيب قد وقعت على الصورة، فما لبث أن صاح: "إنها مهزوزة قليلاً ولكنني واثق، بل أستطيع أن أقسم أنه الرجل نفسه". وأنا لا أدري ما إذا كان الرجلان قد واليا الموضوع بحثاً، ولكنهما إذا كانا قالا فعلاً ذلك فهما لم يصلا إلى نتيجة، وأعتقد أن الرجل، سواء كان اسمه "جونز" أو "روبرتس"، قد أخفى آثاره بمهارة. وعلى كل حال فهي قصة غريبة، ألا ترينها كذلك؟ إنني لا أعتقد أن مثل هذه الحوادث يمكن أن تقع. فأجابته الأنسة "ماريل" بهدوء:

- بل هي تحدث فعلاً، وربما كانت تحدث كل يوم.
- لا أظنك جادة فيما تقولين، إنه شيء يصعب تصديقه.

– كلا البتة. إن من عادة المجرم إذا وجد أن الطريقة التي اتبعها قد نجحت أن يواظب على استخدامها.

– على كل حال، فإن الطبيب قد سمح لي بالاحتفاظ بالصورة على سبيل التذكار. وهنا كان العقيد "بالجريف" قد أخرج من جيبه محفظة متضخمة بمحتوياتها وأخذ ينقب فيها وهو يحدث نفسه: "ما أكثر الأوراق التي في هذه المحفظة... إنني لا أدري لماذا أحتفظ بكل هذه الأشياء". أما الآنسة "ماربل" فكانت تظن أنها تدري... إن محتويات المحفظة كانت ذخيرة "العقيد"، وهي عبارة عن المستندات التي ترمز إلى حصيلته من القصاص، وإن كانت تشك في أن القصة التي فرغ حالاً من سردها قد حدثت فعلاً بالتفاصيل التي رواها؛ إذ لا بد أن تكرر السرد قد أدخل عليها العديد من التعديلات. ظل "العقيد" مستمراً في بحثه بين مجموعات الأوراق والصور التي اكتظت بها محفظته وهو يتمتم:

– لقد كدت أنسى كل شيء عن هذا الحادث، أيه... لقد كانت امرأة جميلة وما كان أحد ليشك... لكن أين؟ إن مثل هذه الصورة تنقل إليّ ذكريات الماضي... ما كان أبدعها أنياب تلك الفيلة، لا بد أن أطلعك على... "توقف "العقيد" فجأة وهو يسحب صورة فوتوغرافية من محفظته وأخذ يتأملها ثم قال:

– والآن هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل طليق؟ وبينما هو على وشك أن يمد يده بالصورة، توقفت حركته فجأة، وتراءت صورته في تلك اللحظة أقرب شها من ذي قبل بالضفدعة المخطئة. لقد خيل إليها أن العقيد "بالجريف" كان يحملق في ثبات من فوق كتفها اليمنى، وفي الوقت نفسه سمعت أصوات أقدام تقترب من هذا الاتجاه في حين أسرع "العقيد" بإعادة الصورة إلى المحفظة ودسها في جيبه وهو يقول:

– لعنة الله عليّ، أقصد... ازداد احتقان وجه "العقيد" فأصبح لونه أحمر قانياً وارتفع صوته الأجشّ عالياً وهو يستطرد:

– كما كنت أقول لك... كان بودي أن أريك صور أنياب تلك الفيلة، وهي أضخم ما تمكنت من صيده... آه... مرحباً! صاح "العقيد" بتلك العبارة الأخيرة وقد اكتسى صوته رنة ترحيب زائفة، ثم قال:

– انظري من القادم... إنهم الأربعة العظام... هيه... كيف كان حظكم اليوم؟

كان القادمون أربعة من نزلاء الفندق سبق للآنسة "ماريل" أن شاهدتهم، وهم يكونون مجموعتين من الأزواج. وعلى الرغم من أنها لم تكن قد عرفت بعد أسماءهم بالكامل إلا أنها كانت تعرف أن الرجل الضخم ذا الشعر الكثيف يدعى "جريج" وأن السيدة الشقراء كانت زوجته وتعرف باسم "لاكي". أما الزوجان الآخران فكانا مكوّنين من رجل طويل القامة بادي النحول وزوجته التي لفحت بشرتها أشعة الشمس وهما "إدوارد" و"إيفيلين". وكان الأربعة من علماء النبات كما كانوا يهتمون بالطيور. قال "جريج" مجيباً عن سؤال "العقيد":
- لم نصادف حظاً البتة، أو على الأقل لم نتمكن من العثور على ما كنا نبحث عنه. فقال "العقيد" وهو يقدمهم:

- ترى هل تعرفون الآنسة "ماريل"؟ "هيلنجدون" وزوجته "إيفيلين" و"جريج" وزوجته "لاكي دايسون". حيا الجميع الآنسة "ماريل" بابتهاج، ثم صاحت "لاكي" بصوت مرتفع قائلة إنها ستموت إن لم تحصل على شراب في الحال. أخذ "جريج" ينادي على "تيم كيندال" الذي كان يجلس مع زوجته إلى إحدى الموائد القريبة منهمكين في مراجعة دفاتر حسابات الفندق:

- هيه، "تيم" ! إلينا ببعض الشراب. ثم التفت إلى الباقيين متسائلاً:
- كوكتيل بالسكر؟ وافق الجميع ثم التفت "جريج" نحو الآنسة "ماريل" وسألها:

- هل تشاركيننا الشراب نفسه؟ ولكن الآنسة "ماريل" شكرته وقالت إنها تفضل عصير الليمون الهندي. فقال "تيم كيندال" الذي قد وصل في تلك اللحظة:

- حسناً، عصير ليمون هندي طازج وأربعة كوكتيل بالسكر. فسألته "لاكي":
- هل لك في كأس معنا يا "تيم"؟

- كنت أتمنى لو استطعت، لكن يجب أن أنتهي من تلك الحسابات اللعينة، ولا يجدر بي بالتأكيد أن ألقى بالحمل كله على عاتق "موللي". وعلى فكرة، عندي لكم نبأ ستسرون له... إن الفرقة النحاسية ستعزف لنا في هذا المساء. فهللت "لاكي":

- يا إلهي! إن الاشواك تكسو جسمي كله. لقد تعمد "إدوارد" أن يدفعني داخل أحد الأدغال المليئة بالشوك. فقال "جريج" مدافعاً:

- كانت زهوراً قرمزية جميلة.

- واشواكاً طويلة جميلة! إنه وحش سادي... ألسنت كذلك يا "إدوارد"؟ هيا اعترف. ولكن "جريج" سبقه بالإجابة مداعباً، وقال:

- على النقيض مني، فانا مثال الشفقة الإنسانية المجسمة! وهنا جلست "إيفيلين هيلنجدون" بجوار الأنسة "ماربل" وأخذت تتحدث إليها بلطف وسلاسة. فوضعت الأنسة "ماربل" كيس غزلها في حجرها، ويقدر ما سمحت لها تلك الآلام الرومانسية التي كانت تشكو منها في رقيتها حاولت أن تلتفت خلف كتفها اليمنى. كانت هناك وعلى مسافة قريبة الكبينة الفاخرة التي يشغلها السيد "رافيل"، ولكن الأنسة "ماربل" لم تشاهد فيها أثراً للحركة، فاخذت ترد على ملاحظات "إيفيلين" وهي تشعر بمدى ما يظهره الناس عامة نحوها من عطف، وإن ظلت تجوب بعينيها متنقلة بين الرجلين. كان "إدوارد هيلنجدون" يبدو رجلاً لطيفاً، هادئاً، ولكنه كان شديد الجاذبية، أما "جريج"، بجسمه الضخم وصوته الجمهوري وعينه اللتين تشع منهما السعادة والرضا، فقد قدرت الأنسة "ماربل" أنه وزوجته إما من "كندا" أو من "الولايات المتحدة الأمريكية". ثم انتقلت ببصرها إلى العقيد "بالجريف" الذي كان لا يزال يتظاهر بالطيبة والمجاملة إلى أقصى حد... لقد بدأت الأنسة "ماربل" تشعر بالإثارة.

الفصل الثاني

كان جو فندق "النخيل الذهبي" في ذلك المساء مليئاً بالمرح. وكانت الأنسة "ماربل" تجلس إلى مائدتها الصغيرة في أحد أركان القاعة تتأمل ما يحيط بها باهتمام. كانت قاعة الطعام فسيحة وتنفتح من ثلاث جهات على جو الجزر اللطيف الدافئ المشبع بعبير الزهور، وكانت الموائد مزدانة بمصابيح صغيرة ذات ألوان هادئة، وكان معظم السيدات يرتدين ملابس السهرة وأغلبها من الاقمشة القطنية الخفيفة تبرز أكتافاً وأذرعاً لفحتها أشعة الشمس، أما الأنسة "ماربل"

نفسها فقد تمكنت "جوان" زوجة ابن أخيها من إقناعها بلباقة وإغراء بأن تتقبل منها مبلغاً صغيراً، وعلى حد قولها: "إنك يا عمتي "جين" سوف تجددين الجو هناك أقرب إلى الحرارة ولا أعتقد أن عندك شيئاً من الملابس الخفيفة". وقد شكرتها الأنسة "ماربل" وهي تتقبل منها المبلغ. إن العصر الذي نشأت فيه "جين" كان يقضي على الكبار أن يعاونوا الشباب ويتكفلوا بنفقاتهم، ولكنه في الوقت نفسه كان يقضي على متوسطي العمر بأن يهتموا بأمر كبارهم... ومع ذلك لم تستطع "جين" أن تقنع نفسها بضرورة شراء أي ملابس خفيفة جداً... إن من كان في مثل سنها يفضل الشعور بلذة الدفء ولو في أشد الأجواء حرارة، أما الجو في "سانت أونوريه" فلم يكن جواً استوائياً بمعنى الكلمة. وفي ذلك المساء كانت ترتدي أفضل الأزياء التقليدية المعروفة لدى كبار سيدات الأقاليم في "إنجلترا"، وهو ثوب من الدانتيل الرمادي اللون... إن هذا لا يعني أنها كانت السيدة الوحيدة المتقدمة في السن في قاعة الطعام، فقد كان المكان يضم جميع الأعمار. كان هناك عدد من المخضرمين كل منهم برفقة الزوجة الثالثة أو الرابعة والتي كان عمرها في بعض الأحيان أقل من نصف عمر الزوج، كما كان هناك عدد من الأزواج المتوسطي العمر من شمال "إنجلترا". وثمة أسرة مريحة من "أمريكا اللاتينية" يعلو ضجيج أفرادها وهم يتحدثون بالإسبانية، أو لعلها البرتغالية، وكان هناك أيضاً رجلاً تبدو عليهما بوضوح سمات التربية الدينية الإنجليزية، أحدهما طبيب والآخر قاض، وحتى "الصين" كانت ممثلة بتلك الأسرة الكبيرة الهادئة.

كان أغلب القائمين بالخدمة في قاعة الطعام من الفتيات الوطنيات ذوات القوام المشقوق الجميل، وكن يرتدين زياً موحداً ناصع البياض، وكان معهن رئيس سقاة إيطالي تبدو عليه الحنكة وطول المران، ومساعد له فرنسي الجنسية. وفوق كل ذلك كانت عينا "تيم كيندال" الساهرتان تراقبان كل كبيرة وصغيرة وهو يتنقل من مائدة إلى أخرى يلقي بالتحية أحياناً وبنكتة لطيفة أحياناً أخرى، في حين كانت زوجته تقوم بنصيبتها من الخدمة بمهارة فائقة. كانت "موللي" ذات جمال ملحوظ وكان شعرها الأشقر الذهبي طبيعياً لا دخل للصبغات في لونه، أما شفتاها فكانتا دائماً الانفراج عن ابتسامة السعادة والطمأنينة. كان من النادر أن تفقد "موللي" أعصابها، وكان جميع عمال الفندق يخلصون لها ويتفانون في تنفيذ تعليماتها.

أما هي فكانت تكيف تصرفاتها بحيث تناسب جميع النزلاء على اختلاف ميولهم ونزواتهم، فكانت تضحك وتتخايل مع الرجال من كبار السن، وتطري النساء على حسن أذواقهن في اختيار ملابسهن. وما إن اكتمل عدد النزلاء في القاعة حتى تقدمت "موللي" من السيدة "دايسون" وقالت لها ضاحكة:

- أوه... ما أجمل هذا الثوب يا سيدة "دايسون"! إنني أشعر بالحسد لدرجة أنني أود لو انتزعتته من فوق ظهرك... هذا مع أن "موللي" نفسها لم تكن أقل منها أناقة، أو هكذا كانت الآنسة "ماربل" تظن. كان ثوبها يتكون من قطعة واحدة ناصعة البياض، وقد غطت كتفها بشال جميل مطرز بالبرودريه ذي لون أخضر باهت. وقد مدت "لاكي" يدها لتحسس هذا الشال بأصابعها وهي تقول:

- ما أجمل هذا اللون! كم أود أن يكون عندي واحد مثله! فأجابتها "موللي":
- تستطيعين شراء مثله من متجر الجزيرة. ولكن "موللي" لم تقترب من مائدة الآنسة "ماربل"، إذ كانت العادة أن تترك أمر العناية بالنزليات المتقدمات في السن لرعاية زوجها "تيم"، وفي ذلك كانت تقول:

"إن أولئك العجائز العزيزات يفضلن الرجال دائماً". وما هي إلا لحظات حتى وصل "تيم كيندال" إلى مائدة الآنسة "ماربل" وانحنى لها برشاقة يحييها، وقال:
- هل ترغبين في شيء خاص الليلة؟ ما عليك إلا أن تطلبي وأنا أتعهد بإعداده لك خاصة. أعتقد أن طعام الفنادق، وخصوصاً ما كان منها في المناطق الحارة، لا يناسبك. ابتسمت الآنسة "ماربل"، وقالت:

- بل إن هذا هو إحدى المتع التي تحصل عليها من السياحة.
- يسرني أن أسمع ذلك، ولكنني أكرر... إذا كانت لك أية رغبة في أي شيء...

- مثل ماذا؟ تردد "تيم" قليلاً، ثم قال:
- بودنج الخبز والزبد مثلاً؟ ابتسمت الآنسة "ماربل" ثانية، وقالت إنها تعتقد أن باستطاعتها الاستغناء في الوقت الحاضر عن بودنج الخبز والزبد، ثم تناولت ملعقتها وأخذت تتذوق من طبق الفاكهة المطبوخة الذي أمامها وهي تبدي تلذذاً بمذاقها. وهنا بدأت فرقة الموسيقى النحاسية تعزف... كانت تلك الفرقة إحدى المعالم السياحية في الجزيرة وإن كانت الآنسة "ماربل"، والحق يقال، تفضل لو أنها عزفت

في مكان آخر بعيداً عن الفندق .. كانت الأصوات التي تصدر عنها تكاد تصم الأذان، ومع ذلك فقط كان معظم النزلاء يبدون إعجابهم بها ويعبرون عن استحسانهم لها، واضطرت الأنسة "ماريل"، تمشياً مع مبادئها التي حافظت عليها منذ شبابها، إلى أن ترضخ للواقع وتتماشي معه وهي على كل حال لم تكن لتستطيع أن تطلب من "تيم كيندال" مثلاً أن يستخدم وسيلة سحرية لكي يسمعها "لحن الدانوب الأزرق" مثلاً... إلا ما أبدع رقصة "الفالس" ! إن الطريقة التي يرقص بها القوم هذه الأيام لتدعو إلى العجب، وهم في حركاتهم اللتوائية المختلفة يكاد الناظر إليهم يحسب أن بهم مساً. ومهما يكن من أمر فإن للشباب الحق في أن ينعم كما يحلو له. وهنا توقفت رحلة الأنسة "ماريل" في عالم التأملات ونظرت إلى ما حولها، فإذا بعنصر الشباب غير موجود، وهي التي كانت تفكر في أن الرقص والضوء والموسيقى - حتى ولو كانت صادرة عن فرقة نحاسية - كل ذلك من مستلزمات الشباب. لكن أين الشباب؟ لعلمهم يدرسون في الجامعات أو يشغلون وظائف لا تسمح لهم بأكثر من أسبوعين إجازة كل عام، ومكان كهذا يبعد عن العمران فضلاً على تكاليفه الباهظة. أما المتعة هنا فهي المتوسطي العمر ولكبار السن الذين يحاولون إرضاء زوجاتهم الشابات... وتنهدت الأنسة "ماريل" بحسرة وهي تشعر بالأسف لهذه الأوضاع.. وعلى كل حال فهناك السيدة "كيندال" ! إن سنّها لا تتجاوز الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، ويبدو أنها سعيدة بوقتها، ومع ذلك فهي تؤدي وظيفة ليس إلا...

وعلى مائدة قريبة منها كان يجلس "كانون بريسكوت" وشقيقته، وقد لوحا للأنسة "ماريل" يدعونها لمشاركتهما احتساء القهوة. وقد قبلت الأنسة "ماريل" دعوتهما وانتقلت إلى مائدتهما. كانت الأنسة "بريسكوت" امرأة نحيفة قاسية الملامح في حين كان شقيقها ممتلئ الجسم يشع المرح والدعة من جوانبه. وبعد أن انتهى الجميع من احتساء القهوة وتباعدت المقاعد عن المنضدة، أخرجت الأنسة "بريسكوت" من حقيبتها غطاءً للمائدة وأخذت تستأنف ثني حوافه وهي تقص على الأنسة "ماريل" حوادث اليوم. لقد قامت هي وأخوها في الصباح بزيارة مدرسة جديدة للبنات، وبعد أن استراحا فترة قصيرة بعد الغداء أخذّا يتجولان في بعض حقول القصب، ثم تناولا الشاي في "بنسيون" كان ينزل به بعض

أصدقائهما. ولما كان "كانون بريسكوت" وشقيقته قد مضى عليهما في الفندق فترة أطول فقد حصلت منهما الآنسة "ماربل" على كثير من المعلومات عن بعض النزلاء. فذلك الرجل العجوز، السيد "رافيل"، يأتي إلى هذا الفندق كل عام، وهو ثري جداً، يمتلك عددًا ضخماً من المتاجر الحديثة في شمال "إنجلترا"، أما السيدة الشابة التي تجلس معه فهي سكرتيرته "استر والترز"، وهي أرملة، وبالتأكيد لا غبار عليها، فالرجل يبلغ الثمانين من عمره... وقد قبلت الآنسة "ماربل" هذا التعليق عن الصلة التي تربط الرجل العجوز بسكرتيرته الشابة بهز الرأس دليلاً على الفهم، في حين استطردت الآنسة "بريسكوت":

- إنها شابة في منتهى اللطف، وأمها هي الأخرى أرملة وتعيش في "شيشستر". وللسيد "رافيل" وصيف خاص يأتي به معه، وهو في الواقع يقوم بعمل الممرض فضلاً على أنه مدلك محترف، وأعتقد أن اسمه هو "جاكسون"، أما السيد "رافيل" المسكين فيكاد يكون مشلولاً. أليس هذا مما يدعو إلى الحسرة وهو الذي يملك كل هذه الثروة؟ وهنا تدخل "كانون بريسكوت" معلقة:

- إنه رجل سمح كريم. كانت الحركة قد أخذت تشتد في القاعة وأخذ النزلاء يغيرون مواضعهم، فالبعض يبتعدون عن الفرقة الموسيقية والبعض الآخر يقتربون منها في حين انضم العقيد "بالجريف" إلى مائدة الزوجين "هيلنجدون" و"دايسون". إلا أن الآنسة "بريسكوت" خفضت من صوتها، وإن لم يكن هناك داع إلى ذلك إزاء الضجيج الذي كانت تحدثه الفرقة النحاسية، وقالت:

- أما تلك المجموعة... فاستحثتها الآنسة "ماربل" قائلة:

- نعم... كنت على وشك أن أسألك عنهم.

- كانوا هنا في العام الماضي، وهم يقضون ثلاثة أشهر كل عام متنقلين من جزيرة إلى أخرى. والرجل الطويل النحيل هو العقيد "هيلنجدون"، والمرأة ذات الشعر الأسود زوجته، وهما إخصائيان في علم النبات، أما الآخران، السيد "جريجوري دايسون" وزوجته فهما أمريكيان، والزوج يكتب عن الفراشات على ما أعتقد وكلهم يشتركون في الاهتمام بالطيور. فعاد "كانون بريسكوت" للتدخل في الحديث قائلاً:

- إنه لجميل أن يكون للإنسان هواية تستدعي وجوده في الهواء الطلق. فاجابته شقيقته:

- لا اظن أنهم سيسرون إذا سمعوك تسمي ذلك هواية... إنهم يكتبون مقالات جادة تنشرها لهم المجلة الجغرافية وجريدة فلاحية البساتين الملكية، وهم يزاولون هذا العمل بجدية. وهنا تعالت الضحكات الصاخبة من المائدة التي كان شاغلوها موضوع هذا الحديث، وكان صوت ضحكاتهم يطغى على رنين الآلات الموسيقية... كان "جريجوري دايسون" مائلاً إلى الخلف بمقعده وهو يدق المائدة بكلتا يديه، أما زوجته فكانت تعترض وتحتج في حين أخذ العقيد "بالجريريف" يرتشف كأسه وهو يادي الانشراح. ولم يدل منظرهم في تلك اللحظة على أنهما يزاولون أي عمل جاد. وقالت الآنسة "بريسكوت" بلهجة مريرة:

- يجب على العقيد "بالجريريف" أن يقلل الشراب، إنه يشكو من ارتفاع ضغط دمه. وهنا كان الساقى قد أحضر كمية أخرى من كؤوس الكوكتيل، فقالت الآنسة "ماربل":

- إنه لجميل أن يدرس الإنسان أخلاق الآخرين من تصرفاتهم... إنني عندما قابلتهم أول مرة بعد ظهر اليوم لم أكن واثقة بأي المراتين زوجة لاي الرجلين. ساد الصمت فترة قصيرة ثم سعلت الآنسة "بريسكوت" بافتعال، وقالت:

- أما عن هذا... فقطعها شقيقها بصوت عاتب:

- أعتقد أنه من الأفضل ألا تخوضي في هذا الموضوع.

- حقاً يا "كانون"... إنني لم أكن لأنوي أن أقول شيئاً... كل ما هنالك أنه في العام الماضي، لسبب لا أستطيع تحديده، كنا نظن أن السيدة "دايسون" هي السيدة "هيلنجدون"، إلى أن علمنا عن طريق بعض النزلاء الآخرين بخطأ هذا الظن. فقالت الآنسة "ماربل" وهي تتظاهر بالبراءة:

- إن الطريقة التي تتكون بها الانطباعات لعجيبة، ليس كذلك؟ وتلاقت عيناها بعيني الآنسة "بريسكوت" لحظة خاطفة، ولكنها كانت كافية لكي تتبادل المراتان نوعاً من التفاهم النسائي. ولو أن "كانون" كان شخصاً آخر أكثر حساسية لشعر فوراً بأن وجوده معها غير مرغوب فيه، ولكنه ظل جالساً يتظاهر بالاستماع لأصوات الموسيقى في حين تبادلت المراتان إشارة أخرى كانت كافية لتفهم كل منهما أنه من الأفضل لهما أن يؤجلا ذلك الحديث إلى فرصة أخرى. وسالتها الآنسة "ماربل":

- إن السيد "دايسون" ينادي زوجته باسم "لاكي"، فهل هذا هو اسمها الحقيقي أم هو للتدليل؟

- لا أعتقد أنه اسمها الحقيقي. وقال "كانون":

- الواقع أنني سألتته عن ذلك، وكان رده أنه يناديها بهذا الاسم؛ لأنه يتفاعل بها لدرجة أنه لو فقدها، على حد تعبيره، لفقد حظه... لقد كان جميلاً منه أن يقول ذلك. وقالت الأنسة "بريسكوت":

- إنه جد مغرم بها. فنظر "كانون" إلى شقيقته بشك في حين ارتفع صوت الموسيقى فجأة بنغمات مضطربة تجمع على أثرها عدد من النزلاء في حلبة الرقص. أدارت الأنسة "ماربل" هي وزميلها مقاعدهم لمشاهدة الرقص، وكانت الأنسة "ماربل" تفضل منظر الراقصين والراقصات وهم يتمايلون ويتحركون في توافق بديع على صوت هذه الموسيقى الصاخبة، فهي ترى أن الرقص عمل واقعي وله تأثير قوي في المشاهدين. لأول مرة في تلك الليلة شعرت الأنسة "ماربل" بأنها ليست غريبة في هذا المكان... لقد أدركت أن أهم ما كان ينقصها هو تحديد أوجه التشابه بين الأشخاص الذين تراههم أول مرة والأشخاص الذين تعرفهم شخصياً من قبل، وهو أمر كان من السهل جداً على الأنسة "ماربل" أن تحققه، وقد شعرت في تلك اللحظة بأنها تستطيع أن تعقد بعض المقارنات الطريفة. فـ "موللي كيندال" تشبه تلك الفتاة اللطيفة، وإن كانت الأنسة "ماربل" قد نسيت اسمها، التي تعمل كمسارية في حافلات "سانت ماري ميد"؛ ذلك لأنها كانت تعني بالركاب عناية فائقة، ولم تكن تطلق صفارتها ليتحرك السائق قبل أن تتأكد من أن جميع الركاب الراغبين في النزول قد وصلوا إلى الأرض سالمين... أما "تيم كيندال" فكان يشبه رئيس السقاة في فندق "رويال جورج" في "مدشستر": كان واضح الثقة بنفسه ومع ذلك فقد كان دائماً بادي القلق، وهنا تذكرت الأنسة "ماربل" أنه كان يشكو من قرحة في معدته. والعقيد "بالجريف" لم يكن يفرقه شيء عن اللواء "ليروي" أو النقيب "فليمنج" أو أمير البحر "ويكلو" أو غيرهم من الضباط المتقاعدين. ثم انتقلت الأنسة "ماربل" إلى شخصية أخرى أكثر إثارة: "جريج" مثلاً. إن مقارنة "جريج" لم تكن سهلة لأنه كان أمريكياً... ربما كان يشبه السير "جورج ترولوب"، فقد كان حاضر النكتة في اجتماعات الدفاع المدني، أو لعله يشبه

السيد "مردوخ" القصاب. لم تكن سمعة السيد "مردوخ"، في الواقع فوق الشبهات وإن كان بعض أهالي القرية يقولون إن ما يقال عنه ما هو إلا مجرد إشاعات وإن "مردوخ" نفسه يحب أن يشجع الإشاعات. و"لاكي"؟ إن المقارنة هنا سهلة، فهي تشبه "مارلين" التي تعمل في حانة التيجان الثلاثة... و"إيفيلين هيلنجدون"؟ لا، إنها لا تستطيع أن تقارنها بأحد ممن تعرفهم مقارنة دقيقة. إنها في مظهرها العام تعتبر امرأة عادية، فهي طويلة ونحيفة لوحت الشمس بشرتها، وهو طراز كثير الشيع بين الإنجليزيات... ترى هل هي تشبه الليدي "كارولين وولف" زوجة "بيتر وولف" الأولى التي أقدمت على الانتحار؟ أو "ليزلي جيمس"، تلك المرأة الوديعا التي ينذر أن تظهر مشاعرها والتي باعت منزلها وغادرت القرية دون أن تخبر أحدا بمقصدها؟ والعقيد "هيلنجدون"؟ لم تجد الآنسة "ماريل" ما يساعدها في إيجاد شبيه لـ "العقيد"، ورأت أنه لابد لها أن تعرف المزيد عنه، فهو من ذلك النوع الهادئ اللطيف الذي تحار في معرفة كنه أفكاره... أوه... إن ذلك يذكرها بالعقيد "هاربر"... كان من هذا النوع من الرجال، وذات صباح وبكل هدوء قطع شربانه بالموسى ولم يعرف أحد مطلقاً السبب الذي دفعه إلى ذلك، وإن كانت الآنسة "ماريل" لديها بعض الشكوك عن حقيقة ذلك السبب.

اتجهت الآنسة "ماريل" بانظراها بعد ذلك نحو مائدة السيد "رافيل"... كان أهم ما يعرفه الجميع عنه هو الثراء، وأنه يأتي إلى جزر "الهند" الغربية كل عام، كما أنه شبه مشلول ويشبه في منظره أحد الجوارح التي بلغت أقصى حدود العمر، فقد كانت ملابسه تتهدل فوق هيكله العظمي الذي لا يكاد يكسوه سوى طبقات رقيقة من الجلد المملئ بالتجاعيد، أما عمره فرمما كان السبعين أو الثمانين أو حتى التسعين. كانت عيناه نفاذتين وتصرفاته يغلب عليها طابع الفظاظة، وإن لم يكن أحد ليهتم بذلك، أولاً لأنه على هذا القدر من الثراء، وثانياً لشخصيته المسيطرة التي توحى إليك بشعور خفي بأن السيد "رافيل" يستطيع أن يكون فظاً إذا شاء ومتى شاء.

كانت تجلس معه إلى المائدة سكرتيرته السيدة "والترز" التي كان شعرها الأشقر ذا لون أبيض يشوبه الاصفرار، في حين كانت معالم وجهها تنم عن الطيبة والركة.

وكان السيد "رافيل" كثيراً ما يبدي نحوها أشد صنوف الغلظة، ومع ذلك فقلما كان يبدو عليها شيء من التأثير، وكان ذلك منها على سبيل عدم الاهتمام وليس ولاء لمخدومها، وكان تصرفها هذا أشبه ما يكون بتصرف الممرضة الممتازة، ولم تستبعد الآنسة "ماريل" احتمال أنها فعلاً كانت تعمل ممرضة. وها قد اقترب من مائدة السيد "رافيل" شاب طويل القامة وسيم المظهر يرتدي سترة ناصعة البياض، ووقف بجوار مقعد الرجل العجوز الذي نظر إليه بهدوء ثم أشار إليه أن يجلس، فجلس الشاب منصاعاً للأمر. وقد خمنت الآنسة "ماريل" أن هذا الشاب لابد أن يكون هو السيد "جاكسون" وصيف السيد "رافيل". وأخذت الآنسة "ماريل" تتأمل الشاب بمزيد من الاهتمام... أما في بار الفندق فقد وقفت "موللي كيندال" تصلب ظهرها ثم خلعت حذاءها ذا الكعب العالي، وعند ذلك لحق بها "تيم كيندال" قادماً من الشرفة، ولما وجدها بمفردها قال:

— هل أنت تعب يا حبيبتي؟

— قليلاً.. الظاهر أنني أجهدت قدمي كثيراً الليلة.. فنظر إليها "تيم" بقلق وقال:

— ألا ترين أنك ترهقين نفسك أكثر من اللازم؟ إنني أدرك تماماً ما في عملنا هذا من مشقة. فضحكت "موللي" وأجابت:

— لا تكن سخيّاً يا "تيم"... إنني أحب المكان هنا. إنه رائع... أليس هو ذلك الحلم الذي كنت أراه دائماً وإذا به يتحقق؟

— إنه لشيء رائع فعلاً.. أن يكون الإنسان نزيلاً هنا... ولكن إدارة العمل نفسه، فهذا ما أسميه عملاً شاقاً. فقالت "موللي" متفلسفة:

— إنك لا تستطيع أن تحصل على شيء دون ثمن، اليس كذلك؟ فقطب "تيم" جبينه وقال:

— هل تظنين أن كل شيء يسير الآن على ما يرام؟ هل تعتقدين أننا نجحنا؟
— بالتأكيد نجحنا.

— ... وقدامى النزلاء؟ ألا تظنين أنهم يقولون: "إنه لم يعد كما كان في عهد الزوجين "ساندرسن"؟

— لابد أن يقول بعضهم مثل هذا الكلام، فهم يفعلون ذلك دائماً. ولكن الذين

يقولون ذلك ليسوا إلا عددًا قليلًا من العجائز الذين يغرمون بالثرثرة. أنا واثقة بأننا أفضل من آل "ساندرسن"، فنحن على الأقل أكثر شبابًا وأجمل منظرًا. إنك لتفتن تلك القطط الهرمة وتحاول الظهور كما لو كنت تريد مطارحة الغرام لمن بلغت الأربعين أو جاوزتها. أما أنا فلا أنفك أغمز بطرف عيني لكبار السن من الرجال وأثير فيهم كوامن غرائزهم، وألعب معهم دور الابنة الحلوة الصغيرة التي يفضلها العاطفيون منهم. الواقع أننا بدأنا بداية طيبة للغاية. وهنا زال التقطيب عن وجه "تيم" وقال:

- إذا كان هذا هو شعورك... أما أنا فأشعر بالوجل. لقد قامرنا بكل ما نملك لإنجاح هذا المشروع، استقلت من وظيفتي... فقاطعت "موللي":
- خيرًا فعلت. لقد كانت وظيفة مثبطة للهمم. فضحك "تيم" وقبلها فوق أرنبه أنفها في حين أردفت "موللي":
- كما قلت لك، لقد بدأنا بداية طيبة للغاية، فلماذا هذا القلق المستمر؟
- أعتقد أن هذه هي طبيعتي. إن ما يجول بخاطري دائماً هو: "لنفترض أن شيئاً ما حدث".

- وماذا يمكن أن يكون هذا الشيء؟
- لا أدري. قد يغرق أحد النزلاء مثلاً...
- لا أظن أن ذلك يمكن أن يحدث... إن هذا الشاطئ من أكثر الشواطئ أمناً، ولدينا هنا ذلك الحارس السويدي البليد الذي لا يني عن مراقبة المستحمين.
- إنك تجعليني أشعر بالغباء. توقف "تيم" قليلاً ثم استطرد بتردد:
- ألم تعاودك تلك الأحلام ثانياً؟ ولكن "موللي" ضحكت وأجابت:
- لقد كانت مجرد خزعبلات.

الفصل الثالث

كانت الآنسة "ماربل" تتناول إفطارها في حجرتها عادة، وكان يتكون غالباً من الشاي وبيضة مسلوقة وشريحة من الفاكهة المحلية. فرغت الآنسة "ماربل" من تناول إفطارها كما فرغت في نفس الوقت من اتخاذ قرارها فيما يختص ببرنامج

اليوم. لم يكن الامر في الواقع يحتاج إلى اتخاذ قرارات، فهي ستغادر فراشها وقتما تشاء، وتتمهل في حركاتها لاسيما والجو أقرب إلى الحرارة، كما أن مفاصلها لم تعد كسابق عهدها من الليونة وسلاسة الحركة، وبعد أن تستريح لبضع دقائق ستأخذ أدوات غزلها وتسير متمهلة قاصدة مبنى الفندق، وهناك تقرر أين تتخذ مجلسها لتبدأ تسليتها اليومية: هل تجلس في الشرفة المطلة على البحر أم تستأنف سيرها إلى الشاطئ؟ وهناك تستطيع مراقبة المستحمين والأطفال؟ كانت في العادة تفضل الاختيار الأخير. أما بعد الظهر فسوف تستقل إحدى سيارات السياحة لتتجول في القرية، وإن كانت في الواقع لا تهتم بذلك كثيراً. وأخيراً لوحت بيدها بئس وقالت لنفسها: "إن اليوم مع كل ذلك سوف يمر كباقي الأيام". ولكن هذا التصور من الآنسة "ماربل" كان أبعد ما يكون عن الواقع القريب. بدأت الآنسة "ماربل" في تنفيذ برنامجها كما خططت له، وبينما هي في طريقها إلى الفندق قابلت "موللي كيندال". وللمرة الأولى لاحظت الآنسة "ماربل" أن تلك الشابة المشرقة لم تكن لتبتسم كعادتها، بل إن ما بدا عليها من وجوم جعل الآنسة "ماربل" تبادلها قائلة:

- أيتها العزيزة، هل حدث شيء؟ أومأت "موللي" برأسها وترددت لحظة، ثم قالت:

- إنك ستعرفين إن عاجلاً أو آجلاً. إن الجميع سيعرفون، إنه العقيد "بالجريف"... لقد مات. فصاحت الآنسة "ماربل" مستنكرة:

- أتقولين إنه مات؟

- نعم، مات في أثناء الليل.

- يا إلهي! لكم أنا آسفة.

- أجل، إنه لفظيع أن تحدث وفاة هنا... إن ذلك يجلب الحزن والغم للجميع، ولو أن "العقيد" بالتأكيد كان متقدماً في السن. لم ترع الآنسة "ماربل" لهذه العبارة الأخيرة، فهي لم تكن لتؤمن بأن كل من تقدمت به السن يصبح عرضة للموت في أي لحظة، فقالت:

- لقد كان بالأمس يبدو مرحاً وفي أتم صحة.

- كان يشكو من ارتفاع ضغط دمه.

– ومع ذلك فإن علاج ارتفاع ضغط الدم لم يعد مستعصياً على الطب، وهناك العديد من العقاقير والأقراص. إن العلم يتقدم بخطوات واسعة.

– الحق معك، ولكن ربما يكون "العقيد" قد نسي تناول أقرصه أو لعله تناول منها أكثر مما يجب، كما يحدث أحياناً مع الأنسولين مثلاً. ولكن الآنسة "ماريل" لم تجد وجهاً للمقارنة بين ارتفاع ضغط الدم ومرض السكر، فقالت:

– وماذا قال الطبيب؟

– لقد استدعينا الدكتور "جراهام"، وهو طبيب شبه متقاعد ويقوم الآن في الفندق، وقد ألقى نظرة على "العقيد"، كما جاء الطبيب المحلي بعد ذلك ليحرر شهادة الوفاة. إن كل شيء يبدو طبيعياً، ومثل هذه الوفيات محتملة الحدوث عندما يكون ضغط الدم مرتفعاً ولاسيما إذا أفرط المريض في تناول الشراب، و"العقيد" كما تعلمين كان بعيداً عن الاعتدال في هذه الناحية.. خذي الليلة البارحة مثلاً...

– أجل لقد لاحظت ذلك.

– ويحتمل أن يكون قد نسي تناول الأقراص... كان ذلك من سوء حظ الرجل العجوز، وعلى كل حال فالإنسان لا يمكن أن يعمّر إلى الأبد.. ليس كذلك؟ غير أن الحادث يسبب لنا قلقاً بالغاً – أقصد لـ"تيم" ولي – فقد يظن البعض أن للطعام الذي نقدمه للنزلاء دخلاً فيما حدث.

– ولكن لا شك في أن أعراض التسمم من الأكل تختلف تماماً عن أعراض ارتفاع ضغط الدم.

– هذا صحيح، ولكن الناس يتكلمون، وإذا ما صمموا على أن الطعام كان رديئاً وغادروا الفندق ثم أخبروا أصدقاءهم... فقالت الآنسة "ماريل" موسية:

– لا أعتقد أن هناك ما يستحق أن يشغل بالك. وكما ذكرت الآن فإن رجلاً عجوزاً مثل العقيد "بالجريرف" – ولا بد أنه جاوز السبعين – معرض للوفاة في أي وقت.. إن الجميع سيعتبرون الحادث أمراً عادياً وإن كان يدعو إلى الأسف.

– لو أن الحادث لم يكن بهذه المفاجأة! حقيقة كان كل شيء مفاجئاً... كان هذا هو رأي الآنسة "ماريل" بعد أن افترقت عن "موللي" وواصلت طريقها وهي تتخيل العقيد "بالجريرف" في الليلة الماضية وهو يضحك ويثرثر بمرح زائد مع

الزوجين "هيلنجدون" و "دايسون". وعندما خطرت ببالها هذه الاسماء تباطأت في سيرها ثم توقفت فجأة.. لقد قررت عدم مواصلة السير إلى الشاطئ واختارت ركناً ظليلاً في شرفة الفندق وجلست فيه، ثم أخرجت خيوط غزلها وأخذت الإبرتان تتحركان بين يديها في حركة سريعة كأنما كانتا تودان اللحاق بسرعة أفكارها... إن الأنسة "ماربل" ليست راضية عن طبيعة الحوادث... كلا، إنها ليست راضية أبداً، فقد حدث كل شيء بسرعة غير طبيعية. أخذت الأنسة "ماربل" تستعرض حوادث الأمس: العقيد "بالجرريف" وقصصه... إليها. وربما كان من الأفضل لو أنها أصغت إليها بمزيد من الاهتمام. كان "العقيد" قد بدأ بالحديث عن "كينيا" ثم انتقل إلى "الهند" ومنها إلى الحدود الشمالية الغربية وتطرق الحديث بعد ذلك لسبب ما إلى حوادث القتل، وهنا لم تكن الأنسة "ماربل" مصغية. لقد تحدثت عن قضية شهيرة حدثت في الجزيرة وتحدثت عنها الصحف.. أخذ بعد ذلك - عندما سقطت منها كرة خيوط الغزل وانحنى ليلقطها لها - يتحدث عن صورة... صورة قاتل... أو هكذا قال. وهنا أغضت الأنسة "ماربل" عينيها وأخذت تحاول أن تتذكر كيف تسلسلت القصة... الواقع أنها كانت قصة مضطربة، سمعها "العقيد" في ناديهِ أو في أحد الأندية الأخرى رواها له طبيب، وكان الطبيب قد سمعها بدوره من طبيب آخر، وقام أحدهما بالتقاط صورة لشخص كان قاتلاً... أجل... تلك هي القصة.. لقد بدأت تفاصيلها تعود إلى ذاكرة الأنسة "ماربل".

الفصل الرابع

كان الدكتور "جراهام" رجلاً لطيفاً متقدماً في السن، بلغ حوالي الخامسة والستين. وكان قد زاول مهنة الطب في جزر "الهند" الغربية سنوات طويلة، ولكنه أصبح الآن في شبه تقاعد بعد أن ترك معظم مرضاه لزميل له من أهالي الجزر. وقد بادر الدكتور "جراهام" بالحضور إلى حجرة الأنسة "ماربل" وحياها برقة وسألها عما تشكو منه، ولحسن الحظ فإن من كان في مثل سن الأنسة "ماربل" كفيل بأن يجد سبباً أو آخر للشكوى، مما يمكن مناقشته بسهولة مع الطبيب، علاوة على

بعض المبالغات من جانب المريض. وقد ترددت الآنسة "ماربل" بين أن تختار لشكواها كتبها أو ركبته، وأخيراً فضلت الركبة. أبدى الدكتور "جراهام" تلعطاً زائداً مع الآنسة "ماربل" وإن أحجم عن إخبارها بأن من كان في مثل سنّها يكون دائماً عرضة لمثل هذه الاضطرابات، ثم كتب لها بعض الأقراص التي لا تخلو منها رويشة طبيب. ومن جهة أخرى فقد كانت خبرة الدكتور "جراهام" السابقة تجعله يدرك أن كثيراً من كبار السن يشعرون بالوحدة عند قدومهم إلى "سانت أونوريه"؛ ولذلك فقد أثر أن يبقى بعض الوقت في صحبة الآنسة "ماربل" يتبادل معها الحديث لعله بذلك يستطيع أن يرفه عنها بعض الشيء. وقد شعرت الآنسة "ماربل" بالخلل لاضطرابها إلى الكذب على مثل هذا الرجل الطيب، وإن أدركت أنه لم يكن أمامها أي وسيلة أخرى. نشأت الآنسة "ماربل" على تقديس الحق، وكانت في الواقع امرأة صادقة. ولكن عندما كان أذاؤها لواجبها في بعض الظروف يفرض عليها فرضاً الالتجاء إلى بعض الأكاذيب، كانت مهارتها في التظاهر تجعل من الصعب التفرقة بين تلك الأكاذيب والحقيقة. سعلت الآنسة "ماربل" بافتعال واعتذرت للطبيب عن ذلك، وقالت بصوت حاولت أن تكسبه رقة وأنوثة:

- هناك شيء يا دكتور "جراهام" أود أن أسالك عنه، والواقع أنني لم أكن لأرغب في ذكره، ولكنني في الحقيقة لا أدري ماذا أفعل، فهو أمر مهم، بالنسبة إليّ، وأرجو أن تستطيع تقدير موقفني ولا تجد فيما سأطلبه منك باعثاً على المضايقة أو الاجترأ. أجاب الدكتور "جراهام" على هذه المقدمة الطويلة بقوله:

- هل هناك ما يشغل بالك يا آنسة "ماربل"؟ أرجو أن تسمح لي بمساعدتك! - إن الأمر يتعلق بالعقيد "بالجريرف". أليس من المحزن أن يموت هكذا فجأة؟ لقد كانت صدمة شديدة لي عندما علمت بالنبيّ هذا الصباح.

- نعم، كانت وفاته مفاجأة.. كان يبدو في أحسن حالاته ليلة أمس. كان الدكتور "جراهام" يتكلم برقة ولكن يتحفظ. وكان من الواضح أن وفاة العقيد "بالجريرف" بالنسبة إليه لم تكن حدثاً خارجاً عن المألوف، مما أدخل الشك في نفس الآنسة "ماربل" في أنها قد تكون مبالغاً في تصوراتها، وأن طبيعتها المتشككة هي التي تقودها إلى تخيل الحوادث مما جعلها تفقد الثقة بأحكامها... ولكن هل هي أصدرت حكماً بالفعل أم أنها مجرد شكوك؟ ومهما يكن من أمر

فقد سبق السيف العَدَل، وها هي قد خطت الخطوة الأولى ولم يعد أمامها سبيل للتراجع، فقالت:

– كنت أتبادل معه أطراف الحديث بعد ظهر أمس، وكان يروي لي بعض ما صادفه في حياته من طرائف ومغامرات... لقد زار بعضاً من أغرب بقاع الأرض. فأجابها الدكتور، وهو الذي سبق أن واجه الكثير من ذكريات "العقيد" التي كانت تبعث في نفسه الملل:

– فعلاً.

– ثم أخذ يتحدث عن أسرته وعن طفولته، كما حدثته عن أبناء وبنات إخوتي، وكان يصغي إليّ باهتمام واضح. ثم أطلعته على صورة كانت معي لأحد أبناء إخوتي، وهو صبي في غاية الظرف، وإن لم يعد صبياً، ولكنه بالنسبة إليّ سيظل دائماً ذلك الصبي الطريف. فعلق الدكتور متادباً وهو يعجب متى تبدأ تلك العجوز في طرق الموضوع:

– فعلاً.

– وقد ناولته الصورة وما إن أخذ يتأملها حتى قدم علينا ذلك الرباعي الطريف – أقصد أولئك الهواة بجمع الزهور الغريبة والفراشات – العقيد "هيلنجدون" وزوجته، على ما أظن.

– أجل... الزوجان "هيلنجدون" والزوجان "دايسون".

– تماماً... لقد انضموا إلينا فجأة وهم يضحكون ويتصايحون وطلبوا شراباً وأخذنا جميعاً نتجاذب أطراف الحديث، وفي خلال ذلك أخرج "العقيد" محفظته ودون وعي منه وضع فيها الصورة وأعادها إلى جيبه... لم يستلفت الأمر انتباهي في ذلك الوقت ولم أتذكر موضوع الصورة إلا بعد أن افترقنا، فقلت لنفسي: "يجب ألا أنسى أن أطلب من "العقيد" أن يعيد لي صورة "دينزل" العزيز"، ثم تذكرتها فعلاً ليلة أمس بينما كانت الموسيقى تعزف والجميع يرقصون، ولكنني لاحظت أن "العقيد" كان في حالة مرح وانشراح فلم أشأ أن أزعجه وقررت أن أرجئ مطالبته بالصورة إلى الصباح. وهنا توقفت الأنسة "ماريل" وهي تلهث، في حين حاول الدكتور "جراهام" مساعدتها فقال:

– لقد فهمت تماماً ما ترمين إليه... وهو أمر طبيعي أن ترغب في استعادة الصورة، أليس هذا هو ما تريد؟ أومأت الأنسة "ماريل" برأسها بشوق وقالت:

- أجل... أجل... هو هذا. إن تلك الصورة هي الوحيدة التي عندي وأنا لا أملك السلبية ولا أستطيع أن أتصور فقدانها.. إن "دينزل" المسكين توفي منذ خمس أو ست سنوات وكان أحب أبناء إخوتي إليّ، والصورة هي الأثر الوحيد الذي يذكرني به، وهذا هو السبب الذي جعلني أفكر في أن ألجأ إليك، لعلك تستطيع مساعدتي على استرجاعها، فأنا أخشى أن ألجأ إلى غيرك فيتهمونني بالسخافة، وقد يتهمون عليّ... لا اعتقد أنه يوجد غيرك من يستطيع أن يفهمني. فقال الدكتور:

- بالتأكيد، بالتأكيد. إنني أقدر موقفك تماماً.. إن شعورك هذا شعور طبيعي جداً، والواقع أنني سأقابل المسؤولين من رجال الأمن المحليين بعد قليل؛ لأن الجنازة كما تعلمين ستكون باكرة، واليوم سيحضر مندوب من الإدارة المحلية للاطلاع على أوراق "العقيد" وحصر مخلفاته توطئة للاتصال بأقرب أقاربه... إنك تدرकिन بالتأكيد مثل هذه الإجراءات المعتادة، فإذا أمكنك أن تصفي لي الصورة.

- كان المنظر يمثل واجهة منزل وأحواض الزهور التي أمامه ويشمل منظرًا لشخص أقصد "دينزل" - خارجاً من الباب الأمامي للمنزل... كان أحد أبناء إخوتي الآخرين، وهو من هواة الزهور هو الذي التقط الصورة، وكان هدفه هو تصوير بعض فصائل الزهور النادرة التي كانت تنمو أمام المنزل، وعندما فتح "دينزل" الباب وهم بالخروج شملته الصورة، وعلى الرغم من أنها كانت مهزوزة إلا أنها كانت جميلة جداً وكنت أعتز بها غاية الاعتزاز وأحملها معي دائماً. فاجاب الدكتور وهو يشعر بأنه قد آن الأوان لإنهاء هذا الحديث:

- حسناً.. إن كل شيء واضح لي الآن، وأعتقد أنني لن أجد صعوبة ما في استعادة الصورة وإحضارها لك. ثم نهض الدكتور "جراهام" من مقعده في حين ابتسمت الأنسة "ماربل" وقالت:

- إن هذا الكرم زائد منك يا دكتور... إنك في غاية اللطف... إنك بالتأكيد تفهم وتقدر موقفني، أليس كذلك؟

- بالتأكيد، بالتأكيد. قال ذلك وهو يمد يده، محيياً ويستطرد قائلاً:

- أما بخصوص ركبتك فلا يقلقك أمرها.. عليك بتمرينها يومياً برفق، أما الأقراص فسأرسلها إليك فوراً... تناولي منها قرصاً ثلاث مرات في اليوم.

الفصل الخامس

أقيمت الصلاة على جثمان العقيد "بالجريف" في اليوم التالي، وقد حضرتهما الآنسة "ماريل" برفقة الآنسة "بريسكوت" في حين قام شقيقها بإجراءات القداس، وما إن تم ذلك حتى عادت الحياة في الجزيرة إلى طبيعتها اليومية. وبعد ظهر ذلك اليوم جلست الآنسة "ماريل" في ركنها المعتاد منهمكة في غزلها، وإذا بالدكتور "جراهام" يقبل نحوها ويجلس على المقعد المجاور لها. وأزاحت الآنسة "ماريل" خيوط غزلها جانباً وردت على تحية الدكتور الذي بدأ حديثه فوراً وبلهجة يشوبها الاعتذار قائلاً:

— أخشى يا آنسة "ماريل" أنني أحمل إليك أخباراً غير سارة.

— حقاً أهي بشأن.....

— نعم.. إننا لم نعثر على صورتك الثمينة، وأخشى أن يكون ذلك مبعث مضايقة شديدة لك.

— أجل.. إنه لكذلك فعلاً.. ومع ذلك فإن أردت الحق فيأني لا أظن أن الامر يستحق كل هذا الاهتمام... إنها كما ترى مسألة عاطفية بحتة، وقد أدركت ذلك الآن... تقول إنها لم تكن في محفظة العقيد "بالجريف"؟

— كلا، ولا في أي مكان آخر بين مخلفاته... كانت هناك بعض الخطابات وقصاصات الصحف وبعض الصور القديمة ولكن لم يكن من بينها صورة بالوصف الذي ذكرته لي.

— هذا غريب... وعلى كل حال لا يسعني إلا شكرك يا دكتور "جراهام"، مع أسفي لما سببته لك من إزعاج.

— لم يكن في الأمر أي إزعاج، وأنا شخصياً أعرف من واقع تجاربي الماضية مدى أهمية الذكريات العائلية ولا سيما عندما يتقدم بنا العمر. لقد خيل إلى الدكتور "جراهام" أن الآنسة العجوز قد تلقت الصدمة بشجاعة فائقة، كما خيل إليه أنه من المستحيل أن يكون العقيد "بالجريف" بعد أن عاد إلى حجرته أخذ يعيث بمحتويات محفظته فعثر على الصورة ولكنه كان قد نسي كل شيء عنها ولم يستطع أن يفسر الطريقة التي وصلت بها إلى محفظته فمزقها

باعتبارها شيئاً عديم الأهمية. ولكن الواقع أنها كانت ذات أهمية عظيمة بالنسبة إلى هذه السيدة العجوز الطيبة، ولحسن الحظ أنها واجهت الامر بانسراح وتقبل. كان هذا هو تفكير الدكتور "جراهام"، أما الآنسة "ماربل" فإنها كانت أبعد من أن تتلقى الامر بأي انسراح أو تقبل.. لقد شعرت الآن بأنها محتاجة إلى بعض الوقت لكي تستطيع ترتيب أفكارها، وإن كانت قد صممت على ألا تترك فرصة وجود الدكتور "جراهام" دون أن تستغلها إلى لأقصى حد. وسرعان ما وصلت معه جبل الحديث بحماس لم تحاول أن تخفيه، في حين ظن الرجل الطيب أن هذا الحماس يرجع إلى ما تشعر به العجوز الطيبة من وحدة، وكمحاوله منها للتغلب على ما أحدثه في نفسها فقدان الصورة العزيزة لديها، فاستجاب لمحاولتها وأخذ يحدثها عن الحياة في "سانت أونوريه" وعن الأماكن العديدة التي قد ترغب الآنسة "ماربل" في زيارتها. ولكن سرعان ما عاد الحديث ليحوم حول العقيد "بالجريف" عندما قالت الآنسة "ماربل":

— إنه لمن المؤسف أن يموت الإنسان هكذا بعيداً عن وطنه وأهله، وإن كان العقيد "بالجريف" كما أخبرني بنفسه ليس له من الأهل من هو قريب الصلة به، والظاهر أنه كان يعيش بمفرده في "لندن". فاجابها الدكتور "جراهام":

— إنه كان كثير الترحال، وبصفة خاصة في الشتاء... إنه لم يكن يحب جو "إنجلترا"، وأنا شخصياً لا ألومه على ذلك.

— الحق معك، وربما كانت لديه أسباب صحية تضطره إلى قضاء الشتاء خارج "إنجلترا"، كأمراض الرئة مثلاً.

— كلا... لا أظن "العقيد" يشكو من رئتيه.

— ولكنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم.. إن الجميع يتحدثون عن ذلك.

— هل حدثك بنفسه في هذا الشأن؟

— كلا، كلا... إن هذا المرض لم يرد على لسانه مطلقاً.. لقد سمعت به من

الآخرين.

— أحقاً؟

— أعتقد أن الوفاة تكون متوقعة في مثل هذه الحالة؟

— ليس بالضرورة، توجد الآن وسائل عديدة للتحكم في ارتفاع ضغط الدم.

- لقد كانت وفاته فجائية، وأظن أنك لم تدهش لها.
- الواقع أنني لم أدهش كثيراً بالنسبة إلى رجل في مثل سن "العقيد"، ولكنني قطعاً لم أكن أتوقعها، وأصارحك القول إنه كان يبدو دائماً في أحسن حال، وإن كنت لم أفحصه طبيياً ولم يسبق لي أن قمت بقياس ضغط دمه أو شيء من هذا القبيل. فسألته الآنسة "ماربل" ببراءة ظاهرة:
- هل يستطيع الإنسان - أقصد الطبيب - أن يعرف ما إذا كان الشخص يشكو من ارتفاع ضغط الدم بمجرد النظر إليه؟
- كلا... ليس بمجرد النظر إليه، بل لابد من إجراء بعض الفحوص.
- أوه... أليس هو ذلك الحزام الذي تلفونه حول الذراع وتنفخون فيه؟ لكم أمقته. وعلى كل حال فإن طبيبي الخاص أكد لي أن ضغط دمي معتدل جداً بالنسبة إلى سني.
- يسرني أن أسمع منك ذلك.
- ولكن العقيد "بالجرريف" كان شديد الوله بالشراب.
- نعم وهو ما لا يجدر بمن يشكون من ارتفاع ضغط الدم أن يفعلوه.
- ألا يتعاطى المريض أقراصاً معينة لهذا المرض؟
- بلى وتوجد عدة أنواع من هذه الأقراص، وقد كانت هناك زجاجة منها في حجرة "العقيد"، أقراص "السيرينايت". ما أروع التقدم العلمي في هذه الأيام!
- لقد أصبح في استطاعة الطب أن يأتي بالمعجزات. ومع ذلك فهناك منافس واحد للطب، وهو الطبيعة وكثيراً ما تنجح بعض طرق العلاج المنزلية من وقت إلى آخر.
- كطريقة وضع نسيج العنكبوت على الجرح.. كانوا يفعلون ذلك دائماً عندما كنت طفلة.
- إنها طريقة معقولة.
- وكذلك لبخة بذر الكتان على الصدر، والتدليك بزيت الكافور في حالات السعال.
- يبدو أنك تعرفين الكثير من وسائل العلاج الطبيعي وعلى فكرة كيف حال ركبتك؟ ألم تسبب لك متاعب جديدة؟
- كلا إنها أحسن حالاً بكثير.

- هذا جميل، وإن كنت لا أستطيع أن أحدد ما إذا كان هذا التحسن يرجع إلى الأقراص أو إلى الطبيعة... أكرر أسفي لأنني لم أستطع مساعدتك بشأن الصورة..

- يكفيني ما أظهرت من كرم ولطف بالغين. إنني في الواقع أشعر بالخجل لما أخذته من وقتك. هل قلت إنه لم تكن هناك أي صور في محفظة "العقيد"؟

- بل كانت هناك صورة لـ "العقيد" نفسه وهو في شبابه ممتطياً صهوة جواد، وصورة أخرى لفهد قتيل و"العقيد" يقف إلى جواره وقد وضع إحدى قدميه فوقه. وكان هناك أيضاً بعض صور تذكارية من هذا القبيل. ولكن وبكل تأكيد لم تكن هناك صورة كالتي وصفتها لي.

- إنني ما قصدت أن أتشكك في قولك، فأنا واثقة بأنك لم تقصر في البحث عنها ولكنك تعلم مدى اهتمامنا بمثل هذه السفاسف. فأمّن الدكتور "جراهام" على كلامها وهو يتنسم وقال:

- كنوز الماضي.. هيه؟ ثم حياها وانصرف. ظلت الآنسة "ماربل" في مكانها تنظر إلى أشجار النخيل وإلى البحر الهادئ بتأمل وتفكير. والغريب أنها لم تفكر في إخراج خيوط غزلها من كيسها.. إنها الآن تملك حقيقة واحدة على الأقل ويجب عليها أن تحلل هذه الحقيقة وتكشف عن معناها: ذلك أن الصورة التي كان "العقيد" قد أخرجها من محفظته ثم أعادها إليها بسرعة لم تعد موجودة في المحفظة بعد وفاته، ولم تكن تلك الصورة من النوع الذي يمكن القول إن "العقيد" قد يمزقه أو يلقي به جانباً. ولقد رآه بعينيها وهو يعيدها إلى المحفظة، وكان يجب أن تكون موجودة بها بعد وفاته. لو أنها كانت نقوداً لا يمكن القول إنها سرقت، ولكن من ذا الذي يفكر في سرقة صورة؟ إلا إذا كان هناك سبب خاص يدعو إلى ذلك... وهنا اكتسى وجه الآنسة "ماربل" بمسحة من الجدية وكان عليها أن تتخذ قراراً: هل ستترك العقيد "بالجريف" يرقد هادئاً في قبره أم أنها ستثير المتاعب؟ ليس من الأفضل أن تترك الأمور تجري في أعنتها؟ إن "العقيد" قد رحل إلى العالم الآخر ولم يعد هناك ما يمكن أن يضره ولكن هل كانت مجرد مصادفة أن يرحل عن هذا العالم في تلك الليلة بالذات؟ أم أن هناك احتمالاً في أنها ليست مصادفة بأي حال من الأحوال؟ إن الأطباء يتقبلون وفاة كبار السن بسهولة وبصفة خاصة في حالة العقيد "بالجريف" الذي وجدوا في حجرته زجاجة من الأقراص التي يجب أن

يتناولها يومياً كل مريض بارتفاع ضغط الدم. ولكن إذا كان هناك من سرق الصورة من المحفظة فإن هذا السارق كان بإمكانه أن يضع زجاجة الأقراص في حجرة "العقيد"، وهي شخصياً لم يسبق لها أن شاهدت "العقيد" يتناول أي نوع من الأقراص، كما أنه لم يتحدث إليها مطلقاً عن ارتفاع ضغط دمه. إن كل ما ذكره "العقيد" خاصاً بصحته لم يكن يتعدى تلك العبارة التي كان يرددها دائماً: "لم أعد شاباً كما كنت"، كما أنها لاحظت أحياناً أن تنفسه يضيق، ولابد أنه كان يشكو من ربو خفيف، ولا أكثر من ذلك. غير أن هناك من ذكر أن العقيد "بالجريف" كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم... أكانت "موللي"؟ أم الآنسة "بريسكوت"؟ للأسف إنها لا تتذكر. وهنا زفرت الآنسة "ماربل" وأخذت تخاطب نفسها: "والآن يا "جين"... ماذا تقترحين أو ماذا تريين؟ ألا يحتمل أن تكوني قد خلقت لنفسك أوهاماً لا أساس لها من الصحة؟ ماذا لديك لتبني عليه كل هذه الوسواس؟" وللمرة الثانية أخذت تستعيد لنفسها، خطوة خطوة، تفاصيل الحديث الذي دار بينها وبين "العقيد" حول القتل وحوادث القتل. وعادت الآنسة "ماربل" تخاطب نفسها: "وحتى لو أن... يا إلهي... إنني لا أدري كيف أنصرف". ولكنها كانت تعلم تماماً أنها كانت تنوي أن تحاول التصرف.

الفصل السادس

استيقظت الآنسة "ماربل" مبكرة، وكعادة كثير من كبار السن كان نومها خفيفاً تتخلله فترات من اليقظة كانت تقضيها في التخطيط لبعض الأعمال التي تنوي القيام بها في اليوم أو الأيام التالية، وكانت تلك الأعمال في العادة ذات طابع شخصي أو عائلي، ولم تكن تهم أحداً غيرها. ولكن في هذا الصباح ظلت الآنسة "ماربل" تفكر بعمق ويتمعن في "جريمة قتل"، وفيما يجب أن تفعله لو تبين أن شكوكها تحققت... لن يكون الأمر سهلاً ولم يكن لديها سوى سلاح واحد لا غير يمكنها استخدامه، ذلك هو التحدث مع الآخرين. إن من عادة العجائز من النساء أن يثرثن، وإذا كان معظم الناس يتضايقون من مثل هذه الشرثرة إلا أن أحداً ما كان ليشك في أن وراءها أغراضاً خاصة، وستراعي الآنسة "ماربل" بالتأكيد ألا تسال

اسئلة مباشرة (والواقع انها هي نفسها لم تكن تعرف بعد ما هي الاسئلة التي تريد ان تسالها). ومع كل فإن ما تحتاج إليه أولاً هو معرفة المزيد عن بعض الشخصيات، ولذا فقد أخذت تستعرضهم في مخيلتها. يجب أولاً أن تعرف المزيد عن العقيد " بالجريرف " وإن كانت تشك في أن هذه المعرفة ستفيدها؛ لأنه إذا كان "العقيد" قد قتل فمن المؤكد أن الدافع إلى قتله لا يرجع إلى وجود أسرار في حياته الخاصة، أو إلى وجود أموال تشير طمع من سيرتها، وليس هو بالتأكد من أجل الانتقام. والواقع أنه على الرغم من أن "العقيد" كان هو الضحية فإن الوضع هنا يعتبر من الحالات النادرة التي لا تساعد فيها زيادة المعرفة بأحوال القتل على الاستدلال على القاتل. إن النقطة الوحيدة الظاهرة في هذا الوضع كما خيل إليها، هي أن "العقيد" كان يتكلم أكثر مما يجب. لقد وقفت الآنسة "ماريل" على حقيقة مهمة من الدكتور "جراهام". ذلك أن "العقيد" كان يحتفظ في محفظته بعدة صور، إحداها له وهو على صهوة جواد والثانية مع فهد ميت، وبعض الصور الأخرى التي من هذا النوع. إذن فلماذا كان "العقيد" يحتفظ بمثل هذه الصور؟

إن خبرة الآنسة "ماريل" الطويلة نتيجة اختلاطها بكثير من رجال الجيش المتقاعدين توحى إليها بأن احتفاظ "العقيد" بتلك الصور يرجع إلى أنه كان يدخر في ذاكرته قصصاً عنها وكان يجد متعة خاصة في روايتها. فإذا ما بدأ يروي قصة عن الفهد الشرس الذي تمكن من اصطاده في أثناء خدمته في "الهند"، ومتى وصل إلى النقطة المثيرة في القصة أخرج محفظته وأخرج منها صورته مع الفهد ليربها لمستمعيه؛ ولذا فإن قصته عن القاتل المشتبه فيه سوف تحتاج في الوقت المناسب إلى إبراز صورته من المحفظة ليعزز بها روايته. كان "العقيد" يستخدم هذا النمط من العرض في حديثه معها. وعندما تطرق الحديث بينهما إلى حوادث القتل ولكي يركز الاهتمام في قصته فإنه فعل ما كان يفعله دائماً في مثل هذه الأحوال فأخرج الصورة وهو ينوي أن يعرضها ويعلق عليها بقوله مثلاً: "والآن هل يخطر ببالك أن مثل هذا الشخص قاتل؟" الواضح الآن أن هذه الطريقة كانت عادة لديه، كانت قصة القاتل واحدة من بين مجموعة القصص التي يختزنها في ذاكرته ويحتفظ لكل منها بالصورة المؤيدة لها. وفي هذه الحالة، كما تبادر لذهن الآنسة "ماريل"، لا بد أنه روى قصته لشخص آخر غيرها في الجزيرة، أو ربما لأكثر من

شخص واحد . فإذا كان الأمر كذلك فإنها تستطيع بدورها أن تقف من هذا الشخص على تفاصيل القصة ، وربما أيضا على أوصاف الشخص الذي كان في الصورة . وهنا هزت الأنسة "ماريل" رأسها وقد شعرت بالارتياح لهذه النتيجة التي توصلت إليها في تفكيرها وهي تقول : " سوف أبدأ من هنا " . من جهة أخرى فهناك أيضا الأربعة الذين اعتبرتهم موضع الشك ، وإن كان الواقع أن عددهم يجب أن يكون اثنين فقط طالما كان العقيد "بالجريرف" يتحدث عن رجل ، وهذان الاثنان هما العقيد "هيلنجدون" والسيد "دايسون" وكلاهما لا يبدو عليهما أي مظهر من مظاهر الإجرام . ومع ذلك فإن القاتل عادة لا يبدو عليه ما يدل على أنه مجرم . وفي هذه الحالة ، هل يحتمل أن يكون هناك غيرهما ؟ إنها عندما أدارت رأسها لتلتفت خلفها لم تشاهد أحداً . بالتأكيد كانت هناك كبينة السيد "رافيل" ، فهل كان من الممكن أن يكون شخص ما قد خرج منها ثم عاد فدخلها ثانية قبل أن تتمكن الأنسة "ماريل" من التلفت خلفها ؟ وإذا كان ذلك ممكناً فليس هناك من يمكنه أن يفعل ذلك سوى وصيف السيد "رافيل" ، وماذا كان اسمه ؟ أجل ، "جاكسون" .

فهل يمكن أن يكون "جاكسون" هو الذي ظهر في الصورة خارجاً من باب المنزل في اللحظة التي التقطت فيها الصورة ؟ من الجائز أن "العقيد" لم يكن قد دقق النظر في الصورة جيداً أو أنه لم يكن قد تأمل "جاكسون" جيداً ، وهذا محتمل ؛ لأن "جاكسون" لا يبدو أن يكون وصيفاً ولذا فهو ليس من الشخصيات التي تسترعي اهتمام باقي النزلاء . ولذا فما كاد "العقيد" يخرج الصورة من محفظته وينظر إليها حتى وقعت عيناه فجأة على "جاكسون" وهو خارج من باب الكبينة فحدثت المعرفة في الحال . تقلبت الأنسة "ماريل" في فراشها وقد استقر رأيها على برنامج اليوم وهو لا يعدو الحصول على المزيد من المعلومات عن كل من الزوجين "هيلنجدون" والزوجين "دايسون" والوصيف "آرثر جاكسون" . كان الدكتور "جراهام" هو الآخر من الذين استيقظوا مبكرين هذا الصباح . كان من عادته إذا ما استيقظ في أثناء الليل أو قبل طلوع النهار أن يتقلب في فراشه بعض الوقت ثم يعاود النوم . ولكنه في هذا الصباح كان يحس بالقلق ، وكان عجزه عن العودة للنوم شيئاً غير عادي لم يسبق أن حدث له منذ زمن طويل . ترى ما سبب هذا القلق ؟

الواقع أنه لم يستطع أن يجد له تعليلاً، ومع ذلك فقد ظل يفكر... لا بد من أنه شيء ما يتعلق بالعقيد "بالجريرف" ... وبوفاته... ومع ذلك فلم يتمكن من تحديد هذا الشيء، أو الربط بينه وبين الأرق الذي حل به. أم تراه شيئاً مما كانت تثرثر به تلك المرأة العجوز؟ إنه يأسف لضياح الصورة، وفي الوقت نفسه فهو يشعر نحوها بالإعجاب لتقبلها الصدمة بصدر رحب. ولكن ترى ما تلك الكلمة العابرة التي قالتها والتي سببت له هذا القلق، إذا كانت قد قالت فعلاً تلك الكلمة؟ إن وفاة العقيد "بالجريرف" كانت طبيعية لاشك في ذلك، أو على الأقل هذا هو ما يعتقده، فلم القلق إذن؟ لقد كان من الواضح أنه في مثل حالة "العقيد" الصحية. وهنا توقف الدكتور "جراهام" في تفكيره وهو يعجب... هل هو حقاً يعرف شيئاً عن حالة "العقيد" الصحية؟ إن الجميع يقولون إنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم، ولكن الدكتور "جراهام" نفسه لم يسبق له أن تحدث مع "العقيد" في هذا الشأن، وليس ذلك بالمستغرب، فهو لم يتحدث كثيراً مع "العقيد". لقد كان "العقيد" رجلاً ثقيل الظل، وهو يتحاشى دائماً الأشخاص الذين من هذا الطراز. لماذا إذن هذا الشعور الخفي بأن هناك شيئاً غير طبيعي؟ إن كل شيء ليس على ما يرام؟ هل هو حديث تلك المرأة العجوز؟ ومع ذلك فهي لم تقل شيئاً. ومهما يكن من أمر فلماذا يشغل نفسه بهذا الموضوع وهو لا صلة له به؟ إذ إن السلطات المحلية ومعها طبيب الشرطة مقتنعون تمام الاقتناع، فقد عثروا على زجاجة أقراص "السيريناييت" في حجرة "العقيد" وعلموا أنه تحدث أمام بعض النزلاء عن ارتفاع ضغط دمه. وأخيراً تمكن الدكتور "جراهام" من أن يسترخي ويعود إلى النوم... وفيما وراء منطقة الفندق حيث توجد مجموعة من الأكواخ على حافة أحد الخلجان الصغيرة نهضت الفتاة "فيكتوريا جونسو" جالسة في فراشها... كانت إحدى فتيات "سانت أونوريه" الوطنيات اللاتي يعملن في الفندق. كانت ذات قوام شاب ممشوق أشبه ما يكون بالرخام الأسود يتمنى أي مثال أن ينحت مثله.. تخللت الفتاة شعرها الطويل بأصابعها ثم زغدت بمرفقها رفيق فراشها في ضلوعه وهي تقول له:

— استيقظ يا رجل. فاجابها الرجل بصوت لا يزال يغلب عليه النعاس:

— ماذا تريدین؟ إن النهار لم يطلع بعد..

- قم يا رجل... إنني أريد أن أتحدث إليك. جالس الرجل في الفراش وهو يشد أطرافه ويتشاءب عن أسنان ناصعة البياض ثم قال:
- ماذا يقلقك يا امرأة؟
- إنه ذلك "العقيد" الذي مات الليلة الماضية، هناك شيء لا يعجبني، شيء لا يبدو طبيعياً.
- وما الذي يدعوك إلى القلق؟ كان عجوزاً ومات..
- أصغ إليّ. إن الموضوع يتعلق بتلك الأقراص التي سألني عنها الطبيب.
- وماذا بشأنها؟ ربما يكون قد تناول منها أكثر مما يجب.
- كلا... ليس هذا هو لب الموضوع. استمع إليّ.. قالت ذلك وهي تميل نحوه في حين أدار لها ظهره وعاد للرقاد وهو يتمتم:
- لا أجد أي غرابة في الأمر... إن ما تقولينه ليس إلا محض هراء...
- على كل حال سأتحديث في الأمر مع السيدة "كيندال" بمجرد أن يبرز الصباح... إنني أعتقد أن هناك خطأ ما. فقال الرجل دون اهتمام وإن كان صوته يحمل معنى الأمر للمرأة التي يعتبر نفسه زوجها الحالي:
- يجدر بك أن تتناسي الموضوع ولا تجري علينا المتاعب. ثم تشاءب ثانية وراح في سبات عميق.

الفصل السابع

كان الوقت ضحى على الشاطئ المواجه للفندق. خرجت "إيفيلين هيلنجدون" من الماء واستلقت على الرمال الذهبية الدافئة، ثم خلعت قلنسوتها وأخذت تنثر الماء عن شعرها بشدة. لم يكن الشاطئ كبيراً، وكان من عادة النزلاء أن يتجمعوا هناك كل صباح في حوالي الحادية عشرة والنصف، فكان هذا التجمع اليومي بمثابة اجتماع عام. وإلى يسار "إيفيلين" كانت السنيورا "دي كاسبيرو" - وهي إحدى سيدات "فنزويلا" الجميلات - تجلس في أحد المقاعد المستوردة خصوصاً للشاطئ، وإلى جوارها كان يجلس السيد "رافيل" العجوز الذي أصبح يعتبر بمثابة عمدة فندق "التخيل الذهبي" ويحتل المكانة التي لا يمكن لسوى رجل عجوز

مريض واسع الثراء أن يحتلها، وكانت "استر والترز" إلى جواره تسهر على راحته وقد تعودت أن تجعل دائماً في متناول يدها دفترًا وقلماً استعداداً لكتابة أية برقيات قد يطرأ على بال السيد "رافيل" أن يملئها عليها. كان هذا الرجل العجوز وهو في لباس البحر أشبه ما يكون بالهيكل العظمي وقد اكتسى بطبقة متهدلة من الجلد الجاف المليء بالتجاعيد. وعلى الرغم من أنه كان يبدو للناظر إليه كأنما هو موشك على الموت، فإن أهل الجزيرة يقولون إن منظره هذا لم يتغير طيلة الثماني السنوات الأخيرة... كانت عيناه الزرقاوان الحادتان أبرز ما فيه وهما تطلان فوق خديه المجعدين، في حين كانت أقصى متعة له أن يعارض كل ما يمكن أن يقوله الآخرون. وكانت الآنسة "ماربل" هي الأخرى تجلس على الشاطئ، وكعادتها كانت أصابعها منهمكة في الغزل وهي تصغي إلى كل ما يقال حولها وتشارك في الحديث من وقت إلى آخر. وعندما كانت تفعل ذلك كان كل من حولها يبدي دهشته؛ لأنهم كانوا ينسون وجودها بينهم. وقد نظرت إليها "إيفيلين هلينجدون" بتودد وعطف وهي ترى فيها امرأة عجوزاً لطيفة. أما السنيورا "دي كاسبيرو" فقد وضعت كمية أخرى من زيت الشمس فوق ساقها وهي تترنم بلحن إسباني جميل... كانت من ذلك الطراز النادر من النساء اللاتي لا يكثرن من الكلام، وقد نظرت إلى زجاجة الزيت باشمئزاز وهي تقول:

— هذا الزيت ليس بجودة "الفراغبيانو"، وهو غير موجود بهذه الجزيرة. أليس هذا مما يؤسف له! وقالت "استر والترز" تخاطب مخدومها:

— هل تنوي الاستحمام الآن يا سيد "رافيل"؟ فأجابها العجوز:

— سأستحم عندما أكون مستعداً.

— ولكن الساعة الآن تعدت الحادية عشرة!

— وماذا في ذلك؟ هل تظنينني من أولئك الرجال الذين يتقيدون بحركة الساعة؟ أفعل هذا الساعة، أفعل ذلك بعد عشرين دقيقة... أوه. كانت السيدة "والترز" قد أمضت في خدمة السيد "رافيل" مدة كافية لكي تعرف كيف تتصرف معه. كانت تعرف أنه يحتاج إلى فترة طويلة من الوقت بعد الحمام ليستعيد قواه؛ ولذلك فقد ذكرته بموعده الاستحمام قبل موعده المعتاد بحوالي عشر دقائق وهي تعلم أنها الفترة المناسبة لكي يعارضها ثم يعود للاستجابة لها دون أن

يبدو عليه أنه رضىخ لها . رفع السيد " رافيل " إحدى قدميه ونظر إلى الزحافات التي كان يلبسها وقال :

- إنني لا أحب هذه الزحافات ... لقد أخبرت ذلك الغبي " جاكسون " بذلك .. إنه لا يهتم بأية كلمة أقولها . فقالت السيدة " والترز " :

- سأحضر لك غيرها ... هل تود ذلك يا سيد " رافيل " ؟

- كلا ، لن تفعلني ... اجلسي مكانك والزمي الهدوء . وفي تلك اللحظة غيرت " إيفيلين " من وضعها فوق الرمال ويسطت ذراعها فوق رأسها ، أما الآنسة " ماربل " فكانت منهمكة في غزلها ، أو هكذا كان يبدو ، ثم مدت قدمها قليلاً فإذا هي تلمس يد " إيفيلين " الممدودة ، ولكنها أسرعت بالاعتذار إليها قائلة :

- كم أنا آسفة يا سيدة " هيلنجدون " ... لم أقصد أن المسك بقدمي .

- لا بأس عليك ... إن الشاطئ بدأ يزدحم . وعندما همت السيدة " هيلنجدون " بأن تغير موضعها على الرمال قالت الآنسة " ماربل " :

- أرجوك لا تغيري مكانك ... سأحرك مقعدي إلى الخلف قليلاً حتى لا تتكرر مني هذه المضايقة . وبعد أن عدلت الآنسة " ماربل " من مقعدها أخذت تتحدث بطريقة صبيانية مثرثرة :

- إنه لمدesh أن يكون الإنسان في هذا المكان .. هذه أول مرة أشاهد فيها جزر " الهند " الغربية وكنت أظن أنها من الأمكنة التي لا يصح لي أن أذهب إليها ، ومع ذلك فهأنذي هنا ... كل ذلك بفضل ابن أخي .. أعتقد أنك تعرفين هذا الجزء من العالم معرفة جيدة يا سيدة " هيلنجدون " ؟

- لقد حضرت إلى هذه الجزيرة مرة أو مرتين قبل ذلك وبالتأكيد زرت باقي الجزر .

- بالتأكيد للبحث عن الفراشات والزهور البرية أليس كذلك ؟ أنت وأصدقائك .. أم لعلهم أقرباؤك ؟

- مجرد أصدقاء لا أكثر ..

- وأنتم بالتأكيد تنقلون معاً ما دامت هوايتكم واحدة .

- أجل .. لقد سافرنا معاً لعدة سنوات خلت .

- أعتقد أنكم واجهتم بعض المغامرات المثيرة ؟ فاجابت السيدة " هيلنجدون "

وقد اكتسى صوتها برنة الشعور بالملل:

— لا أظن.. ويبدو أن المغامرات لا تحدث إلا للآخرين.

— ألم تقابلكم أفاع مثلاً أو حيوانات مفترسة أو بعض الوطنيين الثائرين؟ وهنا أضافت الأنسة "ماربل" تحدث نفسها: "كم أبدو سخيقة!". ولكن السيدة "هيلنجدون" أجابتها قائلة:

— لا أكثر من لدغات الحشرات.

— إن العقيد "بالجريف" المسكين لدغته أفعى في إحدى رحلاته.

— أحقاً؟

— ألم يحدثك بذلك؟

— ربما، ولكنني لا أتذكر.

— أعتقد أنك كنت تعرفينه جيداً، أليس كذلك؟

— العقيد "بالجريف"؟ كلا، لم أكد أعرفه.

— إنه كان لا يفتأ يروي القصص المثيرة. فتدخل السيد "رافيل" في الحديث قائلاً:

— كانت شخصيته تبعث على الملل، وفضلاً على ذلك فقد كان رجلاً سخيقةً. ولو أنه اهتم بأمور صحته كما يجب لما مات. وهنا حاولت السيدة "والترز" أن تذكره مرة ثانية بموعد استحمامه وتستحّته عليه ولكنه لم يعرها التفاتاً واستطرد قائلاً:

— أنا أعرف ما أقول.. لو أن كل إنسان عني بصحته لما واجهته أي متاعب في أي مكان.. انظروا إليّ... لقد يعس الأطباء مني منذ عدة سنوات ولكنني تحدّيتهم وخطّطت لنفسي قواعد صحية خاصة ساظل محافظاً عليها، وهانذا كما ترونني. ثم أخذ السيد "رافيل" يتلفت حوله معجباً بنفسه، وقد خيل إلى الأنسة "ماربل" أن وجود هذا الرجل في مثل هذا المكان يبدو خطأً جسيماً، في حين شاركت السيدة "والترز" في الحديث قائلة:

— إن العقيد "بالجريف" المسكين كان يشكو من ارتفاع ضغط دمه. فقال السيد "رافيل":

— هراء. ولكن "إيفيلين هيلنجدون" اعترضت قائلة بلهجة الواثق بما يقول:

- ولكن ذلك حقيقي .
- من قال ذلك ؟ هل هو الذي أخبرك ؟
- إن البعض يؤكد ذلك . فقالت الأنسة "ماربل" محاولة وصل الحديث :
- إن وجهه كان دائم الاحتقان . ولكن السيد "رافيل" اعترض على ذلك قائلاً :
- إن احتقان الوجه لا يعني بالضرورة ارتفاعاً في ضغط الدم . ومهما يكن من أمر فهو لم يكن يشكو من ارتفاع ضغط دمه لأنه قال لي ذلك . فسألته السيدة "والترز" :
- ماذا تعني بقولك إنه قال لك ذلك ؟ أقصد أن الإنسان لا يستطيع أن يقول عن نفسه إنه لا يشكو من ارتفاع ضغطه .
- بل يستطيع ... لقد نصحته ذات مرة - عندما رأيته يفرط في الشراب والطعام - بأنه يجب عليه أن يتجنب مثل هذا الإفراط وأن يحذر ارتفاع ضغط الدم ولا سيما لمن كان في مثل سنه ، وقد أجابني أنه لا يخشى شيئاً من تلك الناحية ؛ لأن ضغط دمه عادي جداً بالنسبة إلى سنه . فتساءلت الأنسة "ماربل" :
- ولكنه كان يتناول دواء لضغط الدم ، أقرصاً اسمها على ما أذكر "سيرينايت" !
- فقالت "إيفيلين هيلنجدون" :
- إذا سألتني رأيي لقلت لك إنه لم يكن ليحب أن يعترف بأنه مريض . وأعتقد أنه كان من أولئك الذين يخشون المرض ولذلك ينكرون أنهم مرضى . كانت تلك أطول عبارة نطقت بها السيدة "هيلنجدون" ، وقد نظرت إليها الأنسة "ماربل" متأملة في حين قال السيد "رافيل" بصوت متسلط :
- إن المشكلة هي أن كل واحد منا يهتم دائماً بمعرفة ما يشكو منه الآخرون ، ويعتقد أن كل شخص تعدى الخمسين لابد أن تكون وفاته ناجمة عن ارتفاع ضغط الدم أو انسداد الشريان التاجي أو ما شابه ذلك . وفي رأيي ، إن الإنسان إذا قال إنه لا يشكو مرضاً فلا بد من أن يكون قوله هذا صحيحاً ، إذ المفروض أن يدرك كل إنسان حقيقة حالته الصحية . كم الساعة الآن ؟ الثانية إلا ربعاً ؟ كان يجب أن استحم منذ أكثر من نصف ساعة . لماذا لا تذكيريني بمثل هذه المواعيد يا "استر" ؟
- ولكن السيدة "والترز" لم تجب هذا التنبيه بل نهضت واقفة وساعدت السيد "رافيل" بمهارة على أن يقف هو الآخر ، ثم قصداً معاً إلى حافة الماء وهي تسنده

بعناية ثم نزلا إلى الماء . هذا في حين فتحت السنيورا "دي كاسبيرو" عينيها وغمغت :

- ما أقبح الرجال العجائزا في رأيي، إنه يجب إعدام كل من تجاوز الأربعين، وقد يكون من الأفضل بعد سن الخامسة والثلاثين. أليس كذلك؟ وقبل أن يفكر أحد الحاضرين في الإجابة عن هذا السؤال حضر كل من "إدوارد هيلنجدون" و"جريجوري دايسون" وهما يعدوان وقال "جريج" مخاطباً "إيفيلين" :
- كيف حال الماء اليوم يا "إيفيلين"؟

- كحالته كل يوم.

- ألا يتغير أبداً أين "لاكي"؟

- لست أدري. ومرة ثانية أخذت الأنسة "ماربل" تنظر إلى الشعر الأسود المستلقي أمامها، في حين استطرد "جريج" :

- حسناً. سأقوم الآن بتقليد الحوت. قال ذلك وهو يخلع قميصه المشجر المتعدد الألوان وينطلق نحو الماء فيلقي بنفسه فيه وهو يزحف سابحاً. أما "إدوارد هيلنجدون" فقد جلس على الرمال بجوار زوجته وهو يقول لها :

- هل ستنزلين إلى الماء ثانية؟ فابتسمت "إيفيلين" ووضعت قلنسوتها فوق رأسها، ثم قامت مع زوجها متجهين إلى الماء وقد تشابكت أيديهما. فتحت السنيورا "دي كاسبيرو" عينيها مرة ثانية وقالت :

- كنت أظن في بداية الأمر أن هذين الزوجين يقضيان شهر العسل. إن الرجل يبدي نحوها تلطفاً زائداً ومع ذلك فقد قيل لي إنهما متزوجان منذ أكثر من ثماني سنوات. أليس ذلك بعيداً عن التصديق؟ ومرة ثانية لم يجيبها أحد في حين قالت الأنسة "ماربل" :

- إنني لأعجب أين ذهبت السيدة "دايسون" ..

- أتقصدين "لاكي"؟ لا بد أنها الآن مع أحد الرجال.

- هل تظنين ذلك؟

- بل هذا مؤكد .. إنها من ذلك الطراز وإن لم تعد شابة. وزوجها هو الآخر، إن عينيها لا تفتآن تحومان في كل مكان وهو لا يني عن مغازلة الجميع وفي كل وقت. إنني أعرف ذلك.

– بالتاكيد، لابد أن تعرفي . فالقت السنيورا "دي كاسبيرو" على الأنسة "ماريل" نظرة متسائلة وكأنها لم تكن تتوقع مثل هذا التعليق غير أن الأنسة "ماريل" كانت تنظر إلى الأمواج بنظرات تشع منها البراءة والسذاجة .

– هل أستطيع أن اتحدث إليك يا سيده "كيندال"؟ فاجابت "موللي"، وكانت تجلس إلى مكتبها في الفندق :

– بالتاكيد يا "فيكتوريا". أقفلت "فيكتوريا جونسون" باب الحجرة واقتربت من المكتب بقامتها الفارعة وشبابها المتدفق وزيها الأبيض الناصع بحركة بطيئة متوجسة، وقالت هامسة :

– أريد أن أخبرك بشيء يا سيده "كيندال" لو سمحت .

– حسناً، ما هو؟ هل هناك ما يقلقك؟

– لا أدري بالضبط .. إن الأمر يتعلق بالرجل العجوز الذي توفي بالفندق، السيد "العقيد"، لقد توفي في أثناء نومه .

– أجل، أجل . وماذا في ذلك؟

– لقد عثروا على زجاجة أقراص في حجرته، وقد سألني الطبيب عنها .

– حسناً؟

– عندما دخل الطبيب حجرة السيد "العقيد" أخذ ينظر حوله ثم وجد بعض العقاقير ومنها أقراص لعسر الهضم ومسحوق للأسنان وبعض أقراص الأسبيرين وأقراص ملينة ثم وجد تلك الأقراص المسماة "السيرينايت" .

– حسناً!

– عندئذ نظر الطبيب إلى الزجاجة وهز رأسه وقد بدا عليه أنه اقتنع بشيء ما . ولكن عندما فكرت في الأمر بعد ذلك تذكرت أن تلك الزجاجة لم تكن موجودة في حجرة السيد "العقيد" قبل وفاته، ولم يسبق لي أن شاهدتها من قبل أما باقي العقاقير فإني أعرفها كلها، وكنت أشاهدها دائماً .. مسحوق الأسنان والأسبيرين ولوسيون ما بعد الحلاقة وباقي المجموعة، أما تلك الأقراص – أقراص "السيرينايت" فلم يسبق لي أن شاهدتها من قبل . بدت الحيرة على وجه "موللي" وقالت :

— إذن فانت تظنين ..

— لا أعرف يا سيدتي ماذا أظن .. كل ما أعرفه أن الوضع غير طبيعي ولذا آثرت أن أخبرك، فقد ترين من الضروري أن تخبري الطبيب؛ إذ ربما يكون في الأمر شيء .. ألا يحتمل أن يكون شخص ما قد وضع تلك الأقراص خصوصاً لكي يأخذ منها السيد "العقيد" ويموت؟

— أوه ... إني لا أظن ذلك محتملاً مطلقاً. هزت "فيكتوريا" رأسها وقالت:
— من يدري؟ كثير من الناس يفعلون الشر. أدارت "موللي" نظرها خارج النافذة ... كان المكان يبدو جنة أرضية بشمسه المشرقة وبحره الهادئ الجميل وشعبه المرجانية والموسيقى والرقص .. كل ذلك كان كفيلاً بأن يجعل من المكان جنة، ومع ذلك تخللها ظل من الشر .. شبح الأفعى وهي تنفث سمومها ... ألا ما أبغض وقع هذه الكلمات على السمع! وفجأة تحولت "موللي" نحو الفتاة وقالت بشيء من الحدة:

— سوف أقوم بتحريات يا "فيكتوريا" فلا تقلقي، ومهما يكن من أمر فإنه يحسن بك أن تتكلمي الأمر ولا داعي لبث الإشاعات. وبينما كانت "فيكتوريا" على وشك الانصراف دخل "تيم كيندال" ولما شاهد الفتاة خارجة قال:
— هل حدث شيء يا "موللي"؟ ترددت "موللي" قليلاً ولم تشأ أن تخفي عنه الأمر، فالفتاة جديرة بأن تذهب إليه فيما بعد، ولذا فقد قصت عليه ما قالته لها "فيكتوريا"، فقال:

— لا أستطيع أن أدرك لهذه السفسطة معنى، ومع ذلك فما تلك الأقراص؟
— الواقع أنني لا أدري تماماً يا "تيم" .. إن الدكتور "روبرتسون" عندما حضر قال إن هناك شيئاً ما يتعلق بارتفاع ضغط الدم على ما أظن ..
— ما وجه الغرابة في ذلك؟ أعني أنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم، وبالتالي فمن الطبيعي أن يتناول تلك الأقراص. اليس كذلك؟ كل من يشكون من هذا المرض يفعلون ذلك، وقد شاهدت بنفسي الكثيرين منهم.
— أجل .. ولكن "فيكتوريا" تظن أنه ربما يكون قد تناول بعض تلك الأقراص، وأنها هي التي كانت السبب في وفاته.
— يا حبيبتي ... إن ما تقولينه لا يستقيم والمنطق. أتريد أن تقول إن بعضهم قد

- استبدل بالاقراص الخاصة بارتفاع ضغط الدم أقراصاً أخرى سامة .
- إن الأمر يبدو بعيداً عن العقل، إذا ما وصفته بهذا الشكل . ولكن هذا هو ماخطر ببال "فيكتوريا" .
- إنها لفئة غبية، ومع ذلك فيمكننا أن نذهب للدكتور "جراهام" ونسأله المشورة .. فهو لا بد أنه يستطيع أن يشير علينا بما هو صواب، وإن كنت أرى أن الموضوع كله سخيّف ولا يستحق أن نخبر به الدكتور "جراهام" .
- هذا هو ما أراه أيضاً .
- بحق السماء ما الذي جعل الفتاة تظن أن أحداً استبدل تلك الاقراص ! هل تعين أن الاقراص التي كانت بالزجاجة ليست هي أقراص "السيرينيات" ؟ فقالت "موللي" وقد بدت عليها الحيرة :
- لا أدري بالضبط ماذا أعني ... إن "فيكتوريا" تظن أن تلك كانت أول مرة تشاهد فيها زجاجة "السيرينيات" في حجرة "العقيد" .
- ليس ذلك هو السخف بعينه ! إنه كان مضطراً إلى تناول تلك الاقراص باستمرار ليتجنب ارتفاع ضغط دمه .. نطق "تيم" بهذه العبارة في مرح ظاهر وغادر الحجرة ليبدأ أعمال الفندق بالتشاور مع رئيس السقاة، ولكن "موللي" لم تستطع أن تطرد الموضوع من تفكيرها بمثل هذه السهولة، فبعد أن خف ضغط العمل بعد إتمام ترتيبات الغداء عادت لتحدث زوجها في الموضوع وقالت :
- "تيم" .. لقد فكرت طويلاً .. إذا كانت "فيكتوريا" ستظل تتحدث عن هذا الموضوع، أفلا يجدر بنا أن نستشير أحداً في شأنه ؟
- يا فتاتي العزيزة .. إن "روبرتسون" وباقي رجال الأمن قد فحصوا كل شيء وألقوا كل ما عن لهم من أسئلة في حينه ..
- هذا صحيح ... ولكنك تعلم كيف يفعل مثل هؤلاء الفتيات ...
- حسناً، حسناً . سأقول لك ماذا يجب أن نفعله ... سنذهب إلي الدكتور "جراهام" وهو يستطيع أن يتصرف . كان الدكتور "جراهام" جالساً في شرفة الفندق وبين يديه كتاب يقرؤه عندما دخل عليه الزوجان، وقد بدأت "موللي" فوراً في سرد القصة . كان حديثها متقطعاً لفرط انفعالها، فتدخل "تيم" وناب عنها في استكمال القصة، فقال :
- إن الأمر يبدو لي سخيّفاً ... وبقدر ما أستطيع أن أمنتج فإن الفتاة

"فيكتوريا" تظن أن شخصاً ما وضع أقراصاً سامة في زجاجة ... ما اسمها ... فأتى الدكتور "جراهام" العبارة قائلاً:

- "السيرينايت". ولكن ما الذي أوجد لديها هذه الفكرة؟ هل شاهدت شيئاً أو سمعت شيئاً ... أقصد ما السبب الذي جعلها تفكر مثل هذا التفكير؟ فقال "تيم" بلهجة اليائس:

- لا أدري. ربما كانت الزجاجة مختلفة، هل تظنين ذلك يا "موللي"؟
- كلا. أظن أنها قالت إنه كانت ثمة زجاجة مكتوب عليها اسم الدواء ... سيرين ...
أكمل الدكتور "جراهام" العبارة للمرة الثانية فقال:
- ... "نايت". أجل. إنه عقار معروف جيداً، و"العقيد" كان يتعاطاه باستمرار.
فقالت "موللي":

- ولكن "فيكتوريا" تقول إنها لم تر تلك الزجاجة في حجرة "العقيد" من قبل.
فصاح الدكتور متعجباً:

- لم يسبق لها أن رأت الزجاجة من قبل؟ ما الذي تعنيه بذلك؟
- لا أدري وإيم الله ... هذا هو ما قالته لي ... لقد ذكرت أنه كان هناك من المستحضرات والعقاقير على رف الحمام ... الأشياء المعتادة، مثل مسحوق تنظيف الأسنان والاسبيرين ولوسيون ما بعد الحلاقة ... لقد ذكرت بياناً كاملاً ومطولاً، وقالت إنها كانت دائماً تنظف المكان وتعرف بيان الأشياء الموجودة به عن ظهر قلب، فيما عدا تلك الزجاجة .. "السيرينايت" .. فإنها لم ترها إلا في اليوم التالي للوفاة. فقال الدكتور "جراهام" وقد تقطب جبينه:

- هذا غريب. هل الفتاة متأكدة؟ كانت الحدة التي بدت في سؤال الدكتور قد جعلت الزوجين يحملقان إلى وجهه، إذ لم يكن أحد منهما يتوقع أن يظهر الدكتور "جراهام" مثل هذا الاهتمام، وقالت "موللي" ببطء:
- كان يبدو لي أنها واثقة ... وقال "تيم":

- ألا يحتمل أنها لم تكن تسعى إلا للإثارة؟ فقال الدكتور "جراهام" بتصميم ظاهر:
- اعتقد أنه من الأفضل أن أتحدث شخصياً مع الفتاة. كان السرور يبدو واضحاً على وجه الفتاة عندما وصلت وطلبت منها "موللي" أن تعيد سرد روايتها أمام الدكتور،
فقالت:

– أنا لا أريد أن أزوج نفسي في المشاكل... إنني لم أضع تلك الزجاجة هناك ولا أعرف من وضعها. فسألها الدكتور "جراهام":

– ولكنك تظنين أنها وضعت هناك؟

– ليس هناك تفسير آخر، فإن الزجاجة لم تكن هناك من قبل يا دكتور.

– ألا يحتمل أن يكون العقيد "بالجريريف" كان يحتفظ بها في أحد الأدراج أو في حقيبته أو أي مكان من هذا القبيل؟ هزت الفتاة رأسها بعناد وقالت:

– وهل يفعل ذلك إذا كان مضطراً إلى تناول تلك الأقراص طوال الوقت؟ فقال الدكتور "جراهام" بتأن:

– كلا، كلا. إنها من العقاقير التي يجب تناولها عدة مرات في اليوم. ألم تشاهده يتناول من هذه الأقراص أو أية أقراص أخرى مشابهة؟

– لم تكن هناك أقراص من هذا النوع قبل الوفاة. عندما انتشر الخبر بأن تلك الأقراص كان لها دخل في وفاته، سببت له تسمماً أو شيئاً من هذا القبيل، فكرت في احتمال أن يكون له عدو وضعها هناك عمداً لقتله. فقال الدكتور "جراهام" بحدة:

– هراء يا فتاتي. محض هراء. أخذت الفتاة بهذا التحول في كلام الدكتور فسألته:

– هل تعني يا دكتور أن تلك الأقراص كانت دواء ودواء جيداً؟

– إنها دواء جيد، ليس هذا فقط بل وضروري، ولذا فلا داعي لقلقك يا "فيكتوريا". إنني أستطيع أنؤكد لك أنه لم يكن هناك أي خطأ فيما يختص بهذا الدواء، بل إنه كان الدواء المناسب تماماً للحالة التي كان يشكو منها. وعادت الابتسامة إلى وجه الفتاة وبدأت أسنانها اللؤلؤية وهي تقول:

– لا شك في أنك أزحت حملاً ثقيلاً عن كاهلي يا سيدي الدكتور. ولكن الحمل كان قد انتقل إلى كاهل الدكتور "جراهام". إن القلق الذي راوده وهو في الفراش والذي بدا وقتها كالسراب أصبح الآن حقيقة ملموسة.

الفصل الثامن

عندما شاهد السيد "رافيل" الأنسة "ماريل" وهي تقترب من المكان الذي كان يجلس فيه مع سكرتيرته، مط شفتيه وقال:

- إن هذا المكان لم يعد كما كان. إن الإنسان لم يعد يستطيع أن يخطو فيه خطوة دون أن تتعثر قدماءه في دجاجة عجوز... لماذا بحق السماء يأتي النساء العجائز إلى جزر "الهند" الغربية؟ فسألته "استر والترز":

- وإلى أين تقترح أن يذهبن؟

- فليذهبن إلى "شلتنهام" أو "توركوي" أو "لاندريندود ويلز" .. إن مجال الاختيار واسع وأنا واثق بأنهن سيحببن أي مكان من تلك الامكنة ويسعدن فيه.
- إن نفقات المجيء إلى جزر "الهند" الغربية لا يتحملها إلا القليل منهن... ليس الكل سعيد الحظ مثلك.

- هذا حقيقي، ومع ذلك فما أنا إلا كتلة من الآلام والأوجاع، فهل تستكشرين عليّ بعض المتعة وأنت... ما هو العمل الذي تقومين به؟ إنك لا تفعلين شيئاً... هيه.. هل أتممت كتابة الخطابات؟
- لم أجد متسعاً من الوقت.

- واين يضيع وقتك؟ لقد أحضرتك معي إلى هنا لتؤدي عملاً لا لتجلسي في الشمس وتستعرضي قوامك. إن من يستمع لمثل هذه العبارات من السيد "رافيل" لابد أن يعتقد أنه ما من إنسان يستطيع تقبلها أو تحملها، غير أن "استر والترز"، وقد عملت معه عدة سنوات، تعلم جيداً أن مثل هذه الثورة الكلامية من مخدومها لا ضرر منها البتة. إن الرجل كان يقاسي آلاماً متواصلة وكانت مثل تلك الثورات من الوسائل التي يستخدمها للتخفيف عن نفسه، ومهما كانت العبارات التي ينطق بها فإن السيدة "الترز" لم تكن لتغيرها اهتماماً. اقتربت منهما الأنسة "ماريل" بمقعدها وقالت:

- ياله من صباح جميل! فاجاب السيد "رافيل":

- ولم لا؟ أليس لهذا جئنا إلى هنا؟ فضحكت الأنسة "ماريل" ضحكة خافتة وقالت:

- إنك لشديد القسوة... لا شك في أن الجو هو موضوع كل حديث إنجليزي. ثم نظرت إلى الخيوط التي تغزل بها وقالت:

- إن الإنسان منا لكثير النسيان... لقد نسيت إحضار اللون المطلوب. قالت ذلك ووضعت كيس الغزل فوق منضدة الحديقة وانجهت نحو كбинتها، في حين صاح السيد "رافيل":

- "جاكسون" وعندما جاء "جاكسون" مهرولاً قال له السيد "رافيل":
- عد بي إلى الداخل.. ستقوم بعمل التدليك لي الآن قبل أن تعود تلك الدجاجة الثائرة... وليس معنى ذلك أن التدليك الذي تقوم به يفيدني.. لم يتكلم "جاكسون" واكتفى بأن ساعد مخدومه على الوقوف وصحبه إلى الداخل. نظرت السيدة "استر والترز" إليهما وهما ينصرفان ثم أدارت رأسها، بينما عادت الآنسة "ماربل" ومعها كرة من الخيط وجلست إلى جوارها وهي تقول:

- أرجو ألا يكون في جلوسي معك أي إزعاج لك! فاجابتها السيدة "الترز":
- بالتأكيد لا. إنني لن أمكث طويلاً على كل حال إذ إنني مضطرة إلى العودة لكتابة بعض الخطابات التي أملاها عليّ السيد "رافيل"، ولكنني أفضل أن امتع نفسي بهذه الشمس الجميلة بضع دقائق أخرى. جلست الآنسة "ماربل"، وبصوت حاولت أن تكسبه رقة وعذوبة بدأت حديثها وهي تحاول أن تزن المرأة الجالسة إلى جوارها.. لم تكن "استر" بالمرأة الفاتنة، ولكن كان باستطاعتها أن تكون جذابة لو أرادت، وقد عجبت الآنسة "ماربل" للسبب الذي يدعوها إلى عدم الاهتمام بزينتها... كان من المحتمل أن السيد "رافيل" قد لا يعجبه ذلك، وإن كانت الآنسة "ماربل" تستبعد هذا الاحتمال، فهي تعلم الآن أن اهتمام السيد "رافيل" ينصب كله على ذاته، ومادام هو لا يشعر بإهمال من يستخدمهم فإن سكرتيرته تستطيع، لو شاءت، أن تتزين كما تشاء لتبدو كحورية من حوريات الجنة دون أن يعترض. فضلاً على ذلك فإن السيد "رافيل" يأوي إلى فراشه مبكراً، وفي ساعات المساء عندما تعزف الموسيقى النحاسية ويدور الرقص فإن "استر والترز" تستطيع بكل سهولة أن... وهنا توقفت الآنسة "ماربل" في تأملاتها قليلاً محاولة أن تجد الكلمة المناسبة... نعم تستطيع أن تزدهر.. إن "استر" كانت تستطيع أن تزدهر

وتبرز في ساعات المساء. وأخيراً تمكنت الآنسة "ماربل" من أن تدبر دفعة الحديث نحو "جاكسون"، وهنا كان رد الفعل الذي أظهرته السيدة "والترز" غير محدد المعالم، وكان مما قالته:

- إنه ذو كفاءة ممتازة وهو مدلك ماهر.

- أعتقد أن له مدة طويلة في خدمة السيد "رافيل"؟

- كلا... إنها لا تتجاوز تسعة أشهر... وأظن..

- هل هو متزوج؟ بدت الدهشة على وجه "استر" لهذه المقاطعة وقالت:

- متزوج؟ لا أظن ذلك. إن هذا الموضوع لم يرد على لسانه مطلقاً. توقفت "استر" قليلاً في حين ظلت الآنسة "ماربل" صامتة، ثم أردفت وشبح ابتسامة يعلو شفيتها:

- كلا. إنه بكل تأكيد غير متزوج. وقد فسرت الآنسة "ماربل" هذه الإجابة بأن أضافت إليها فيما بينها وبين نفسها: "وعلى كل حال فإن تصرفاته أبعد ما تكون عن تصرفات الرجل المتزوج". ومع ذلك فكم من الرجال المتزوجين يتصرفون التصرف اللائق بالازواج؟ إن الآنسة "ماربل" تستطيع أن تعد عشرات الأمثلة على ذلك! ثم قالت ساهمة:

- إن له مظهراً جذاباً. ولكن "استر" علقت على هذه الملاحظة دون اهتمام قائلة:

- أجل، أعتقد ذلك. استأنفت الآنسة "ماربل" محاولتها وزن شخصية المرأة التي تتحدث إليها وهي تتساءل: "ترى هل هي لا تهتم بالرجال؟ قد تكون من ذلك الطراز الذي لا يهتم إلا برجل واحد... إنهم يقولون إنها أرملة...". ثم عادت الآنسة "ماربل" إلى إلقاء الأسئلة فقالت:

- هل عملت مع السيد "رافيل" طويلاً؟

- أربع أو خمس سنوات، بدأت بعد وفاة زوجي، فقد وجدت نفسي مضطرة إلى العمل... إن لي ابنة بالمدارس وزوجي لم يترك لنا شيئاً.

- لا بد أنك تجددين صعوبة كبيرة في العمل مع السيد "رافيل"؟

- الواقع خلاف ذلك، ولا سيما عندما تتمكنين من التوصل إلى أعماق نفسه... إنه سريع الغضب وشديد المعارضة، وأعتقد أن مشكلته الحقيقية هي أنه سريع

التضجر من الناس . لقد بلغ عدد الذين شغلوا وظيفة وصيف له خمسة في خلال سنتين، وهو يحب أن يستخدم وجوها جديدة كلما أمكن ليستطيع الاحتفاظ بالسيطرة عليها، أما معي فقد كنا دائماً متفاهمين .

– يبدو أن السيد "جاكسون" شاب خدوم .

– إنه لبق إلى أقصى حد وواسع الإدراك . وبالتأكيد فهو أحياناً ... ترددت السيدة "والترز" في اختيار التعبير المناسب، فبادرت الآنسة "ماربل" تحاول معاونتها، فقالت :

– ... يجد نفسه في مواقف صعبة؟

– أجل .. هو ذلك، يصعب عليه فيها الاختيار وعلى كل حال فإنني أعتقد أنه يحاول أن ينعم بوقته كما يجب . أخذت الآنسة "ماربل" تفكر في هذه التعبيرات، ولكنها لم تجد فيها ما يساعدها كثيراً، ومع ذلك فإنها لم تياس وعاودت ثرثرتها إلى أن تمكنت من إدارة دفة الحديث إلى ذلك الرباعي من هواة الطبيعة، الزوجان "هيلنجدون" والزوجان "دايسون" . قالت السيدة "والترز" :

– إن الزوجين "هيلنجدون" يأتیان إلى هنا كل سنة وذلك منذ ثلاث أو أربع سنوات، ولكن "جريجوري دايسون" يتردد على هذه الجزيرة منذ وقت أبعد من ذلك بكثير، وهو ملم بجغرافية الجزر تماماً .. لقد كان مجيئه إلى هنا في أول الأمر بصحبة زوجته الأولى ... كانت صحتها ضعيفة وكان عليها أن تقضي الشتاء في الخارج وعلى الأقل في منطقة حارة .

– وهل توفيت أم طلقت منه؟

– كلا ... إنها توفيت، وأعتقد أن وفاتها كانت هنا . لا أقصد هذه الجزيرة بالذات ولكن في إحدى جزر "الهند" الغربية . وقد اقترنت وفاتها ببعض الإشاعات أو إذا شئت فسمها بعض الفضائح ... إن "جريج" لا يتحدث عنها مطلقاً، أما هذه المعلومات فقد أمدني بها شخص آخر، وقد استطعت أن أستنتج منها أنهما لم يكونا على وفاق .

– وبعد وفاتها تزوج زوجته الحالية، "لاكي"؟ وقد نطقت الآنسة "ماربل" هذا الاسم الأخير بلهجة يشوبها عدم الرضا وكأنها تود أن توحى لمستمعتها بأن الاسم غير معقول، ولكن السيدة "والترز" أجابتها :

- أجل، وأعتقد أنها تمت بصلة قرابة إلى زوجته الأولى.
- وهل ترجع معرفتهما بالزوجين "هيلنجدون" إلى زمن بعيد؟
- أظن أنها بدأت منذ بدأ "هيلنجدون" يأتي إلى هنا، أي منذ ثلاث أو أربع سنوات، لا أكثر.
- إن الزوجين "هيلنجدون" يبدوان في غاية الظرف، ويتميزان بالهدوء.
- أجل. كلاهما هادئ الطبع.
- إن الجميع هنا يشيدون بإخلاص كل منهما للآخر. كان السؤال طبيعياً ولكن السيدة "والترز" نظرت إليها بحدة وقالت:
- وأنت، هل تظنين أن الحقيقة خلاف ذلك؟
- أنت نفسك لا تظنين ذلك يا عزيزتي، أليس كذلك؟
- الواقع أنني أحياناً أعجب..
- إن الرجل الهادئ من طراز العقيد "هيلنجدون" كثيراً ما ينجذب إلى المرأة اللعوب. وهنا توقفت الآنسة "ماربل" قليلاً ثم استطردت:
- "لاكي"... يا له من اسم غريب. هل تظنين أن السيد "دايسون" لديه أية فكرة عن... أقصد عما يجري؟ غير أن السيدة "والترز" علقت على هذا السؤال فيما بينهما وبين نفسها دون أن تصرح بالإجابة على مسمع من الآنسة "ماربل":
- "يا لهؤلاء العجائز... لا يحبين أكثر من أخبار الفضائح...". ثم استطردت بشيء من عدم الاكتراث:
- ليس لدي أية فكرة. أما الآنسة "ماربل" فسرعان ما انتقلت إلى موضوع آخر فقالت:
- إنه لحادث مؤسف هذا الذي حل بالعقيد "بالجرريف". ألا تشاركينني هذا الرأي؟ أجابت السيدة "والترز" بالموافقة وإن كانت لهجتها لا تدل على اقتناعها بما قالت، ثم أضافت:
- إن ما آسف له حقاً هو حال الزوجين "كيندال".
- الحق معك... إنه لمن سوء الحظ فعلاً أن يحدث شيء كهذا في أي فندق.
- إن القوم يأتون إلى هنا لقضاء وقت سعيد، أليس كذلك؟ إنهم يريدون أن ينسوا متاعبهم وأمراضهم وأخبار الوفيات ومطالبات الضرائب وغير ذلك من

متاعب الحياة العادية. صممت السيدة "والترز" لحظة قصيرة، ثم استطردت بلهجة جد مختلفة:

- إنهم لا يحبون ما يذكرهم بالموت. وضعت الآنسة "ماريل" معدات غزلها جانباً وقالت بشيء من الحماس:

- إنك لعلی صواب يا عزيزتي، لقد أحسنت التعبير عن الواقع، فهو كما ذكرت تماماً.
- وكما ترين فهما لا يزالان في عنفوان الشباب ولم يكد يمضي على استلامهما الفندق من آل "ساندرسن" سوى بضعة أشهر، ولذا فهما في أقصى حالات القلق نحو نجاح مشروعهما ولاسيما أنه ليست لهما خبرة سابقة بإدارة الفنادق.
- وهل تظنين أن هذا الحادث قد يضر بهما؟

- لا أظن ذلك. إن الإنسان ينسى مثل هذه الحوادث بعد يوم أو اثنين في مثل هذا المكان، فالقوم لا يأتون إليه إلا بقصد المتعة والاستجمام... إني أعتقد أن أي حادث وفاة لا بد أن يهزهم، ولكن ثقي بأن تأثير ذلك لا يمكن أن يستمر أكثر من أيام قليلة، أو بعبارة أخرى بمجرد إتمام مراسم الجنازة.. هذا بالتأكيد ما لم يطرأ بعد ذلك ما يذكرهم به. وقد أوضحت ذلك لـ "موللي" ولكنها مع الأسف من النوع الذي ينساق وراء الأفكار السوداء.

- هذا عجيب لأن "موللي" تبدو دائمة المرح وكأنها لا تعرف للهموم معنى.
- يخيّل إليّ أن جزءاً كبيراً من هذا المظهر مفتعل، والحقيقة في رأيي أنها من ذلك الطراز الشديد القلق الذي لا يفتأ يتخيّل أنه سيفشل في كل عمل يؤديه.
- كنت أظن أن "تيم" هو الذي يجب أن يكون أكثر قلقاً من "موللي".
- كلا... إني لا أعتقد ذلك.. إنها هي التي تشعر دائماً بالقلق، أما هو فإن قلقه راجع إلى ما يلاحظه عليها من قلق.

- إن تعبيرك هذا يستحق الاهتمام...
- في اعتقادي أن "موللي" تبذل المستحيل لكي تبدو دائماً مرحة وسعيدة، وهذا الجهد الذي تبذله يسبب لها نوعاً من الإجهاد، ثم هناك تلك النوبات من الانقباض التي تنتابها.. إني أخشى ألا تكون حالتها العقلية كاملة الاتزان.
- يا للشابة المسكينة... إن هذه الحالة ليست نادرة الحدوث، ومعظم الناس يدركون وجودها.

- أجل.. إن المصاب بهذه الحالة ينجح دائماً في التظاهر بعكسها، وعلى كل حال فلا أعتقد أن لدى "موللي" ما يستوجب القلق من هذه الناحية، فالناس الآن يموتون في كل وقت، بالسكتة القلبية أو نزيف المخ أو ما شابه ذلك وبمعدل أكبر بمراحل مما كان عليه الحال قديماً... إن ما يزعج الناس اليوم إنما هي حوادث التسمم أو الحميات أو ما شابه ذلك.

- إن العقيد "بالجريف" في أحاديثه معي لم يشير مطلقاً إلى أنه يشكو من ارتفاع ضغط الدم.. هل قال لك أنت شيئاً من ذلك؟

- لا بد من أنه ذكر ذلك لشخص ما، ولكنني لا أعلم من هو. ربما كان السيد "رافيل"، ويدعوني إلى هذا الظن أن السيد "رافيل" يحب دائماً أن يقول عكس ما يقصد... تلك هي طبيعته.. ولكنني واثقة بأن "جاكسون" حدثني عن ذلك في وقت ما، وأذكر أنه قال لي إن "العقيد" يجب أن يكون أكثر حرصاً بالنسبة إلى كمية الشراب التي يتناولها. فقالت الأنسة "ماربل" بتمهل:

- لقد فهمت... أعتقد أنك كنت تعتبرين "العقيد" شخصية مملة؟ كان مغرماً برواية القصص، ولا بد من أنه كان يكرر معظمها.

- هذا هو أسوأ ما في الأمر... إنك تسمعين القصة مرة بعد أخرى ويستمر التكرار ما لم تتداركيه.

- الواقع أنني لم أكن أهتم كثيراً بهذا التكرار لأنني تعودت الاستماع إلى هذا الطراز من رواة القصص ولم أكن لأصغي إليهم بانتباه؛ لذلك فعندما تتكرر رواية القصة أكون قد نسيت وقائعها ولا أجد حرجاً من إعادة الاستماع إليها. فضحكت "استر" بابتهاج وقالت:

- يا لك من ماهرة!

- وهناك قصة بعينها كان شديد الاهتمام بروايتها... إنها خاصة بجريمة قتل.. لا بد أنه رواها لك؟ وقبل أن تجيب "استر" عن هذا التساؤل فتحت حقيبة يدها وأخذت تنقب فيها، ثم أخرجت منها أصبع أحمر الشفاه وقالت:

- كنت أظن أنني فقدته. أرجو معذرتك، ماذا كنت تقولين؟

- كنت أتساءل عما إذا كان العقيد "بالجريف" قد روى لك قصته المفضلة عن جريمة القتل.

- أعتقد أنه فعل ذلك، على ما أظن فهي تدور حول حادث انتحار بالغاز ليس كذلك؟ غير أن الزوجة هنا هي التي قتلت زوجها. أعني أنها أعطته مخدرًا أو شيئاً من هذا القبيل ثم وضعت رأسه في فرن الغاز. أليست هذه هي القصة التي تقصدينها؟ أخذت الآنسة "ماربل" تدقق النظر إلى السيدة "والترز" وقالت: - كلا، ليست هذه هي القصة التي أقصدها.
- إنه كان يروي العديد من القصص، وكما قلت فإن الإنسان لم يكن يهتم بحسن الإصغاء.
- كان معه صورة داب على عرضها على مستمعيه.
- أوه، الآن وقد ذكرت ذلك أعتقد أنه كان يفعل ذلك، وإن كنت لا أذكر مضمون الصورة... هل أراها لك؟
- كلا، لم يطلعني عليها، إذ إننا قوطعنا...

الفصل التاسع

- بدأت الآنسة "بريسكوت" كلامها فائلة وهي تخفض من صوتها وتتلفت حولها بحذر:
- إن القصة التي سمعتها... أدنت الآنسة "ماربل" مقعدها من مكان جلوس الآنسة "بريسكوت"، وكانت تلك أول فرصة تمكنت من انتهازها لكي تنفرد بشقيقة القسيس؛ ذلك لأن رجال الدين عادة يقدسون صلات القرابة ولذا فقد كان من النادر أن تجد أحد الشقيقتين دون الآخر، ومن الطبيعي أنه لم يكن باستطاعة المرأتين أن يشبعا فضولهما في الثروة والحديث عن الآخرين مع وجود الشقيق إلى جوارهما... وقد استطردت الآنسة "بريسكوت" قائلة:
 - يبدو لي، ولو أنني بالتأكيد لا أحب أن أخوض في أسرار الغير، كما أنني في الواقع لا أعرف شيئاً مطلقاً عن هذا الموضوع..
 - إنني أدرك ذلك تماماً...
 - كما قلت فإنه يبدو لي أنه كانت هناك شبه فضيحة عندما كانت زوجته الأولى لا تزال على قيد الحياة. والظاهر أن هذه المرأة هي "لاكي" - وباله من اسم -

وأظن أنها كانت ابنة عم الزوجة الأولى، قدمت إلى هذه الجزيرة للانضمام إلى الزوجين، كما أظن أنها كانت تشترك مع الزوج في بعض أبحاث النباتات والفراشات أو ما شابه ذلك. ثم أخذ الناس يتهايمسون، إذ إنهما كانا على وفاق تام فيما بينهما.. أنا واثقة بأنك تدركين ما أرمي إليه...

- إن للناس قوة ملاحظة دقيقة، أليس كذلك؟

- ثم حدث أن الزوجة توفيت فجأة..

- هل كانت وفاتها هنا، على هذه الجزيرة؟

- كلا، كلا. أظن أنهم كانوا في ذلك الوقت في جزيرة "المارتينيك" أو "توباجو"، ولكنني علمت من بعض معارفي الذين كانوا معهم في ذلك الوقت ثم جاءوا إلى هذه الجزيرة وأخذوا يتحدثون، علمت منهم أن الطبيب الذي فحص الزوجة المتوفاة لم يكن مقتنعاً تماماً. وهنا بلغ اهتمام الأنسة "ماريل" الذروة وصاحت:

- حقاً!

- لم يكن الأمر بالتأكيد ليعدو مجرد التهامس، ومع ذلك فإن السيد "دايسون" تزوج ثانية وبسرعة... خفضت الأنسة "بريسكوت" من صوتها واستطردت قائلة:

- بعد وفاة زوجته بشهر واحد على ما أعتقد.

- شهر واحد؟! تلاقى أنظار المرأتين بتفاهم مشترك وقالت الأنسة "بريسكوت" معلقة:

- كان هذا التصرف منه يدل على تجرده من الذوق. فقالت الأنسة "ماريل":

- فعلاً، إنه تصرف مجرد من الذوق. ثم أضافت متسائلة:

- هل تركت مالا؟

- الواقع لست أدري. ولابد من أنك سمعته وهو يكرر عبارته الخاصة بزواجه الحالية وهي أنها مفتاح حظه..

- نعم لقد سمعته.

- والبعض يظنون أنه كان سعيد الحظ أن تزوج امرأة ثرية. ثم أضافت الأنسة "بريسكوت" وهي تتظاهر بأنها تريد أن تكون عادلة في حكمها:

— ولا يفوتنا بالتأكيد أنها أيضاً جميلة جداً.. أنا شخصياً اعتقد أن زوجته الأولى هي التي كانت تمتلك مالا.

— وهل الزوجان "هيلنجدون" على شيء من الثراء؟

— أعتقد أنهما في حالة يسر... لا أقصد من ذلك أنهما على ثراء كبير، ولكن أحوالهما متيسرة.. إن لهما ولدين في المدارس الخاصة ومنزلاً جميلاً في "إنجلترا" على ما أظن، وهما يتنقلان طيلة فصل الشتاء. وفي هذه اللحظة انضم إليهما "كانون" واقترح أن يقوموا بنزهة على الأقدام على الشاطئ، فاستجابت الأنسة "بريسكوت" فوراً لاقتراح شقيقها ونهضت معه، أما الأنسة "ماربل" فقد فضلت البقاء في مكانها. وبعد بضع دقائق مربها "جريجوري دايسون" متجهاً نحو الفندق، فلوح لها محيياً وهو يقول:

— ترى فيم تفكرين؟ ابتسمت له الأنسة "ماربل" رداً على تحيته دون أن تجيب عن سؤاله، وإن أخذت تسائل نفسها: "ترى ماذا يكون شعوره لو أنني أجبت أنه كنت أتساءل عما إذا كان قاتلاً؟" والواقع أن الأنسة "ماربل" كانت تعتقد أنه من المحتمل جداً أن يكون "جريجوري دايسون" قاتلاً... إن كل شيء يتطابق تماماً، ولا سيما تلك القصة التي تدور حول وفاة زوجته الأولى، وما لا شك فيه أن العقيد "بالجريف" كان يتحدث عن "قاتل زوجته".. لقد كان المانع الوحيد لصحة هذا الاحتمال، كما تعتقد الأنسة "ماربل"، أنه يطابق الوقائع مطابقة تكاد تكون كاملة. ولكنها عادت تلوم نفسها وهي تشعر بأنه لا حق لها في أن تختار القاتل طبقاً لمواصفاتها الخاصة.. وبينما هي مستغرقة في هذه الأفكار انتفضت فزعة على صوت أجش آت من خلفها يقول:

— هل شاهدت "جريج" يا آنسة...؟ التفتت الأنسة "ماربل" نحو مصدر الصوت لتجد "لاكي" وهي في حالة اضطراب ظاهر فأجابتها:

— لقد مر من هنا منذ لحظات متجهاً نحو الفندق. تتمتع "لاكي" ببعض الفاظ مبهمة وأسرعته مهرولة، في حين قالت الأنسة "ماربل" تحدث نفسها: "إن عمرها لا يقل عن الأربعين وهي تبدو مستكملة له تماماً هذا الصباح". وقد جعلتها هذه الأفكار تشعر بالشفقة، شفقة على جميع النساء من طراز "لاكي" اللاتي تبدو عليهن مظاهر التقدم في السن بوضوح. وعندما سمعت الأنسة "ماربل" بعض

الاصوات خلفها مرة أخرى التفتت نحو مصدرها وشاهدت السيد "رافيل" مستنداً إلى ذراع "جاكسون" وهما يغادران الكبينة. أجلس "جاكسون" مخدومه بمقعده ذي العجلات وظل واقفاً إلى جواره، إلا أن السيد "رافيل" لوح له بعصبية يصرفه، فامتثل الشاب وانصرف عائداً إلى الفندق. لم تضع الآنسة "ماريل" وقتاً، فالسيد "رافيل" لا يتواجد بمفرده إطلاقاً ومن المحتمل أن تأتي السيدة "الترز" الآن لتلحق به، والآنسة "ماريل" تريد أن تتحدث معه على انفراد، وها هي فرصتها ويجب أن تنتهزها وبسرعة. لم يكن السيد "رافيل" من أولئك الرجال الذي يطيقون الاستماع لثرثرة العجائز من النساء وقد يقرر العودة لكبنته إذا هو أحس بأن السيدة "ماريل" تطارده. إلا أنها قررت المجازفة، فاتجهت نحوه وقربت مقعداً إلى حيث كان يجلس، ثم جلست وقالت:

- سيد "رافيل"، إنني أريد أن أطلب منك شيئاً.
- حسناً، حسناً. ما هو؟ أتريدين اشتراكاً أو تبرعاً لإحدى الجمعيات؟ أم هي إرسالية دينية في "إفريقيا" أو كنيسة تحتاج إلى إصلاح؟
- أجل.. إنني أهتم بأشياء عديدة من هذا القبيل وسأكون سعيدة لو أنك تبرعت لها، ولكن ليس هذا هو ما كنت أريد أن أطلبه منك... إنني كنت أود أن أسالك عما إذا كان العقيد "بالجريرف" قد حدثك بقصة تتعلق بجريمة قتل.
- أوه. إذن فقد حدثك بها أنت الأخرى! واعتقد أنك صدقته.
- الواقع أنني لا أدري ماذا يجب أن أصدق.. هل لك أن تخبرني بما حدثك به بالضبط؟

- كان الرجل دائب الشرثرة عن مخلوقة جميلة تعتبر صورة طبق الاصل من "لوكريشيا بورجيا": جميلة، شابة، ذات شعر ذهبي، وما إلى ذلك. بدت الدهشة على وجه الآنسة "ماريل" وقالت:

- ومن كان ضحيتها؟
- زوجها بالتأكيد.. ماذا كنت تتوقعين؟
- واستخدمت السم؟
- كلا... أظن أنها أعطته مخدراً ثم وضعت رأسه في فرن الغاز. كانت امرأة واسعة الحيلة وقد ادعت أن الرجل مات منتحرأ، ولم تكن هناك أية صعوبات في

تبرئتها بحجة انتفاء المسؤولية أو شيء من هذا القبيل، وهو التعبير الذي يستخدمونه اليوم إذا كان المتهم امرأة جميلة أو صبيًا فاشلاً بالغت أمه في تدليله.

— هل اطلعك "العقيد" على صورة فوتوغرافية؟

— ماذا تقولين؟ صورة للمرأة؟ كلا... ولماذا يفعل ذلك؟

— أوه... شعرت الأنسة "ماربل" بالحيرة، فإن الحديث قد اتخذ طريقًا يختلف تمامًا عما كانت تتوقعه. والظاهر أن العقيد "بالجريف" كان يقضي معظم وقته في رواية قصص جرائم القتل، ولم يكن ليكتفي بقصص المغامرات والحيوانات المفترسة، وربما كانت لديه قائمة طويلة بمثل تلك القصص، وقد بوغت الأنسة "ماربل" وهي في تأملاتها تلك بصوت السيد "رافيل" وهو يصيح منادياً "جاكسون" دون أن يجيبه أحد، فنهضت الأنسة "ماربل" من مقعدها وهي تقول:

— هل أذهب لأبحث لك عنه؟ ولكن السيد "رافيل" أجابها:

— لن تجديه، ولا بد من أنه منهمك في مطارداته الغرامية، فهذا هو كل ما يهتم بعمله... لا فائدة من هذا الرجل فأخلاقه لا تعجبني وإن كان يوافقني إلى حد ما.

— سأذهب لاستدعائه. عثرت الأنسة "ماربل" على "جاكسون" جالساً في الطرف القصي من شرفة الفندق يحتسي شراباً مع "تيم كيندال"، فقالت:

— إن السيد "رافيل" يطلبك. رفع "جاكسون" كأسه وأفرغ ما فيها في جوفه، ثم نهض واقفاً وهو يقول:

— ها قد عدنا... لا راحة للأشرار... كنت أظن أن مكالمتين تليفونيتين والتوصية على وجبة غذائية خاصة كفيلة بأن تهين لي ولو ربع ساعة من الراحة.. شكراً لك يا سيد "كيندال" على هذا الشراب. وبعد أن انصرف "جاكسون" قال "تيم":

— إنني أشعر بالشفقة على هذا الشاب.. إنني أحاول أن أقدم له شراباً من وقت إلى آخر للترفيه عنه. هل لك في شراب يا آنسة "ماربل"؟ ما رأيك في كوب من عصير الليمون الهندي؟ إنني أعلم أنك مغرمة به.

— ليس الآن، شكراً... أعتقد أن خدمة رجل مثل السيد "رافيل" لا بد أن تكون مهمة شاقة. إن المرضى— وخصوصاً المقعدين منهم — يصعب إرضائهم.

- ليس هذا فقط هو ما قصده .. إن المرتب الذي يدفعه السيد "رافيل" مرتب ضخيم يستحق أن تصحبه بعض الأهواء الشخصية .. إن السيد "رافيل" في الواقع ليس رديفاً .. في الواقع أنا أقصد .. تردد "تيم" في اختيار عبارته في حين نظرت إليه الأنسة "ماريل" بترقب فاستطرد قائلاً:

- كيف أعبر عن ذلك .. إن ما أعنيه هو أن الأمر بالنسبة إليه صعب من الناحية الاجتماعية .. إن القوم هنا متعجفون ليس بينهم من هو في مستواه الاجتماعي .. إن "جاكسون" أفضل قليلاً من مجرد خادم ولكنه دون المتوسط بالنسبة إلى النزلاء، أو هذا هو ما يعتقدونه، بل إن السكرتيرة نفسها - السيدة "والترز" - تشعر بأنها من طبقة أعلى من طبقته .. ألا يكفي ذلك لكي يشعر بصعوبة مركزه؟ توقف "تيم" لحظة ثم استطرد:

- الواقع أن المشاكل الاجتماعية في مكان كهذا لا حصر لها. وهنا مربهما الدكتور "جراهام" وفي يده كتاب وانجه إلى إحدى الموائد المطلة على البحر. فقالت الأنسة "ماريل":

- إن الدكتور "جراهام" يبدو قلقاً.

- أوه ... إننا جميعاً يخالجننا نفس الشعور.

- أنت أيضاً؟ أيرجع ذلك إلى وفاة العقيد "بالجريف"؟

- كلا. إن هذا الحادث لم يعد يقلقني، ويبدو أن الجميع قد نسوه .. كلا .. إن ما يقلقني هو زوجتي، "موللي". هل تعرفين شيئاً عن الأحلام يا آنسة "ماريل"؟ فصاحت الأنسة "ماريل" بدهشة:

- الأحلام؟

- أجل، وأقصد الأحلام المزعجة .. إن مثل هذه الأحلام تمر بنا جميعاً في وقت أو آخر، ولكن يبدو أن "موللي" تراودها هذه الأحلام طول الوقت .. إنها تزعجها إلى حد كبير. هل تظنين أن هناك ما يمكن عمله أو وصفه للتخفيف عنها؟ إن لديها بعض الاقراص المنومة، ولكنها تقول إن هذه الاقراص تزيد من حدة تلك الأحلام، إذ إنها تحاول الاستيقاظ من النوم فلا تستطيع من تأثيرها المخدر.

- وما موضوع تلك الأحلام؟

- إنها ترى أشياء أو أشخاصاً يطاردونها، أو يراقبونها ويتجسسون عليها، ولقد

بلغ من شدة تأثير هذه الاحلام فيها أنها لا تستطيع التخلص منها حتى في اليقظة .
- لاشك في أن الطبيب ...

- إن لديها عقدة نفسية نحو الأطباء .. إنها لا تقبل استشارة طبيب ... على كل حال آمل أن تكون هذه مجرد حالة طارئة وأن تمضي بسلام .. إنني كلما فكرت في مدى السعادة التي كنا ننعيم بها، ثم هذا التحول الذي أصابها أخيراً ... إنها تبدو شخصاً آخر منذ ... لم يستكمل " تيم " كلامه ونهض واقفاً وهو يقول :

- لا بد لي من أداء أعمالنا اليومية ... هل أنت واثقة بأنك لا تريدين كوباً من العصير؟ هزت الآنسة رأسها وظلت في مكانها تفكر ... كان وجهها قد اكتسى بمسحة من الجدية والتصميم، ثم حولت نظرها إلى الدكتور "جراهام" وسرعان ما توصلت إلى قرار . نهضت من مقعدها واتجهت نحو الطبيب وقالت :

- يجب أن أعتذر إليك يا دكتور "جراهام" . نظر إليها الدكتور "جراهام" بدهشة وقال :

- حقاً؟ ثم قام من مجلسه وقدم لها مقعداً ودعاها إلى الجلوس، فجلست واستطردت وهي تنظر إليه بإصرار :

- أخشى أن أكون قد ارتكبت عملاً شائئاً ... لقد كذبت عليك كذبة كبيرة . لم يبد على الدكتور "جراهام" شيء من الانفعال ولم يزد ما اعتراه على الدهشة . قال :

- حقاً؟ على كل حال يجب ألا تجعلني ذلك يشغل بالك . أخذ الدكتور يعجب ويتساءل عما كذبت فيه تلك العجوز الطيبة . أهو سنها؟ ولكنه بقدر ما يتذكر فإنه لم يسمعها تتحدث عن سنها، ومع ذلك فطالما تريد الاعتراف فلتفعل . قال :

- حسناً؟ إنني مصغٍ إليك .

- هل تذكر حديثي معك بشأن صورة ابن أختي، تلك الصورة التي ذكرت لك أنني أريتها للعقيد "بالجرريف" وأنه لم يعدها إلي؟

- بالتأكيد أذكر ذلك، وإني لاكرر أسفي لعدم استطاعتنا العثور عليها . فقالت الآنسة "ماربل" بصوت الطفل الذي وجد متلبساً :

- لم يكن هناك أي شيء من ذلك .

- عفواً .. ماذا تقولين؟

- لم يكن هناك أي شيء مما قلته لك ... لقد اخترعت القصة بأكملها . بدا الضيق على وجه الدكتور "جراهام" وقال :

- اخترعتها ! ولكن لماذا؟ فأخذت الأنسة "ماريل" تقص عليه القصة . أخبرته بكل شيء بوضوح ودون توقف أو تردد، روت له ما قصه عليها العقيد "بالجريف" عن القاتل وكيف كان على وشك أن يطلعها على تلك الصورة، ثم ارتبأكه المفاجئ وانتقلت بعد ذلك إلى قلقها الشخصي وإلى قرارها الأخير أن تتوصل إلى تفسير للوقائع، ثم قالت :

- والواقع أنني لم أجد أية وسيلة لتنفيذ هذا القرار إلا باللجوء إلى الكذب، فأرجو أن تغفر لي .

- هل ظننت أن الصورة التي كان "العقيد" سيطلعك عليها هي صورة قاتل؟
- هذا هو ما قاله لي، وعلى الأقل فقد ذكر لي أن الصورة كان قد أعطائها له أحد معارفه وهو الذي روى له قصة الرجل الذي ارتكب جريمة القتل .

- أجل، أجل .. ولكن، أقصد هل صدقته؟
- لا أدري إذا كنت صدقته أو لم أصدقته في تلك اللحظة، ولكن، وكما ترى، لقد مات في اليوم التالي . كان وقع هذه العبارة الأخيرة ذا تأثير واضح في الدكتور فقال :
- أجل، لقد مات في اليوم التالي .

- ... واختفت الصورة . نظر إليها الدكتور "جراهام" وهو لا يدري تماماً ماذا يقول، ولكنه سألها :

- لا تؤاخذيني يا آنسة "ماريل"، هل ما تقولينه لي الآن صحيح؟
- أنا لا أعجب من شكك، ولو كنت مكانك لفعلت، ولكنه صحيح . إنني أعرف أنك لا تملك من الأدلة على صحته سوى قلبي، ومع ذلك فحتى إذا لم تصدقني فقد شعرت بأنه من الواجب عليّ أن أخبرك .

- لماذا؟

- أدركت أنه لا بد لك من الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات .. في حالة ..
- في حالة ماذا؟
- في حالة ما إذا قررت أن تتخذ أي إجراء بصده .

الفصل العاشر

كان الدكتور "جراهام" قد وصل إلى "جيمس تاون"، وفي مكتب رئيس المدينة جلس إلى المائدة الصغيرة التي تتوسط الحجرة، وجلس في مواجهته صديقه "دافنتري"، وهو شاب جاد في الخامسة والثلاثين من عمره، وكان يقول:

— لقد بدا حديثك غامضاً في التليفون يا "جراهام". هل هناك شيء خاص ذو أهمية؟

— الواقع أنني لست متأكداً، ولكنني أشعر بالقلق. نظر "دافنتري" إلى وجه الدكتور "جراهام" ثم حنى رأسه عندما دخل الخادم بالشراب وأخذ يتحدث عن إحدى رحلات صيد السمك التي قام بها أخيراً. وبعد أن انصرف الخادم اعتدل في مقعده وعاد يتأمل الرجل الجالس أمامه وقال:

— والآ.. هات ما عندك. أعاد الدكتور "جراهام" على مسمع صديقه تفاصيل الوقائع التي سمعها وكانت مبعث قلقه، وبعد أن انتهى من السرد أطلق "دافنتري" صفيراً طويلاً من فمه وقال:

— الآن فهمت.. إنك تظن أن هناك احتمالاً للاشتباه في وفاة "بالجرريف"؟ لم تعد متأكداً من أن الوفاة كانت طبيعية؟ ولهذه المناسبة، من الذي وقع شهادة الوفاة.. أعتقد أنه "روبرتسون"؟ ألم تساوره أية شكوك؟

— كلا، وأعتقد أنه عندما وقع الشهادة كان متأثراً بوجود أقراص "السيرينايت" في حجرة "بالجرريف"، وقد سألني عما إذا كان "العقيد" ذكر أنه يشكو من ارتفاع ضغط الدم، وقد أجبتة بالنفي؛ لأنه لم يسبق لي أن تبادلته معه أي حديث طبي، وإن كان الظاهر أنه تحدث عن هذا المرض مع آخرين في الفندق.. إن جميع الملابس، ومنها زجاجة الأقراص، وما كان "العقيد" يقوله للنزلاء، لم تكن لتدع مجالاً للاشتباه، وعلى هذا الأساس كان توقيع الشهادة أمراً طبيعياً، ولو أنه الآن يبدو خلاف ذلك. ولو كنت أنا المسؤول عن تحرير تلك الشهادة لفعلت نفس الشيء دون تردد.. إن جميع الشواهد تدل على أنه مات بتأثير ارتفاع ضغط دمه، ولولا موضوع تلك الصورة لما أعرت الموضوع أي اهتمام جديد.

— ومع ذلك فلا أخالك تعتمد كل الاعتماد على قصة خيالية قصتها عليك سيادة

عجوز؟ أنت تعرف تماماً طباع هؤلاء السيدات، فهن يحبن المبالغة.

- أعرف ذلك، وهذا هو ما قلته لنفسني في مبدأ الأمر، ولكنني في الواقع لا أستطيع أن أقنع نفسي تماماً. لقد كانت روايتها في غاية الوضوح والترابط.

- كل ذلك يبدو لي غير محتمل.. سيدة عجوز تروي قصة عن صورة لم يكن من الواجب أن تكون هناك.. عفواً، لقد اختلط عليّ الأمر، أنا أقصد العكس، أليس كذلك؟ غير أن الشيء الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه هو ما قالته الخادمة من أن زجاجة اقراص كانت السلطات قد اعتمدت عليها في إصدار قرارها بأن الوفاة طبيعية، تلك الزجاجة لم تكن في حجرة "العقيد" في اليوم السابق لوفاة، ومع ذلك فإن هناك عشرات التفسيرات لذلك. أليس من المحتمل أنه كان يحمل تلك الزجاجة في جيبه طول الوقت؟

- أعتقد أن هذا محتمل.

- أو أن الخادمة قد أخطأت وأنها لم تكن قد تنبّهت لوجود الزجاجة من قبل؟

- هذا أيضاً محتمل.

- إذن.. فقال "جراهام" بتأن:

- ولكن الفتاة كانت شديدة الثقة بما تقول.

- أنت تعلم أن أهالي "سانت أونوريه" سريعو الانفعال وعاطفيون.. هل تظن أن

الفتاة تعرف أكثر مما قالت؟

- هذا جائز.

- إذن فيجدر بك أن تحاول استدراجها لتبوح لك بكل ما تعرفه.. إننا لا نريد أن نشير

ضجة بلا داع، ما لم يكن لدينا شيء أكيد نستند إليه.. إذا لم يكن ارتفاع ضغط الدم

هو سبب الوفاة فما هو في رأيك السبب الحقيقي؟

- توجد اليوم وسائل عديدة...

- تعني وسائل لا تترك آثاراً يمكن معرفتها؟ فاجاب الدكتور "جراهام" بانفعال:

- أجل.. إن أحداً لم يعد يستخدم الزرنيخ..

- مهلاً يا "جراهام"... دعنا نوضح الأمور... إن الرأي كما رويت لي يتجه إلى اعتبار

أن زجاجة الاقراص قد استبدل بها زجاجة أخرى وأن العقيد "بالجريرف" مات مسموماً

بهذه الطريقة؟

- كلا.. هذا هو ما تستنتجه الفتاة "فيكتوريا"، ولكن ليس هو التحليل الصحيح

للموقف . فإذا كان الغرض هو التخلص من "العقيد" على وجه السرعة لكان الإجراء المنطقي هو إعطاؤه السم في الشراب، ثم توضع في حجرته زجاجة أقراص "السيرينايت" - وهو العقار الذي يؤخذ لخفض ضغط الدم - للإيهام بأن الوفاة طبيعية، وفي نفس الوقت تروج الإشاعة بأنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم .

- ومن الذي روج هذه الإشاعة؟

- لقد حاولت التوصل إلى ذلك ولكن دون جدوى .. لقد روجت الإشاعة بمهارة فائقة: "جاك" يقول إنه يظن أن "سميث" أخبره، وبسؤال "سميث" يجيب بالنفي ويقول إنه يذكر أن "جون" أخبره، في حين يقول "جون" إن أناساً كثيرين كانوا يتحدثون في هذا الموضوع وكان "جاك" من بينهم... وهكذا نعود إلى البداية .
- إن مروج هذه الإشاعة كان ماهراً جداً .

- أجل فبمجرد أن اكتشفت الوفاة كان الجميع يتحدثون عن مرض "العقيد" بارتفاع ضغط الدم ويتناقلون ما يبدو أن غيرهم كان يتحدث به .

- ألم يكن من السهل وضع السم له في الشراب؟

- كلا .. إن ذلك كان كفيلاً بإجراء تحقيق وربما اقتضى الأمر تشريح الجثة . أما بهذه الطريقة فإن الطبيب سيتقبل الوفاة ويوقع الشهادة دون تردد، وهو ما حصل فعلاً . لزم "دافنتري" الصمت وهو يفكر ثم رفع رأسه وقال :

- وما الذي تريدني أن أفعله الآن؟ هل أحول الموضوع إلى المباحث الجنائية؟ إن هذا قد يستدعي إخراج الجثة وعندئذ ستفوح روائح عديدة .
- بالإمكان تكتم الأمر .

- أظن ذلك ممكناً؟ وهنا في "سانت أونوريه"؟ فكر ثانية يا رجل، إن القرية كلها ستحدث بالخبر قبل أن نبدأ في التنفيذ . تنهد "دافنتري" بعمق بعد أن ختم عبارته ثم أردف قائلاً :

- ومع ذلك فإني أرى أنه لابد من عمل شيء، وإن كان رأيي الشخصي أن الأمر كله لا يعدو أن يكون مجرد أوهم .
- وهذا هو ما آمله أنا أيضاً .

الفصل الحادي عشر

أخذت "موللي" تعيد ترتيب بعض تجهيزات الموائد في قاعة الطعام فترفع سكيناً كانت زائدة على الحاجة وتصح من وضع إحدى الشوك وتحرك بعض الأكواب من مواضعها، وأخيراً وضعت يديها في خاضعتها ترقب نتيجة عملها، ولما اطمأنت إليها خرجت إلى الشرفة، وهناك لم تجد أحداً من النزلاء فسارت حتى الطرف القصي منها ووقفت مستندة إلى السياج. كان المساء على وشك أن يحل، وهو مساء ككل الأمسيات التي سبقتها، مساء حافل بالثرثرة والأحاديث والشراب، مليء بالبهجة وصفاء البال، وبعبارة أخرى فهو ذلك النوع من الأمسيات التي طالما تمننتها والتي ظلت تتمتع بها إلى بضعة أيام خلت. أما الآن فإن "تيم" نفسه يبدو نهبا للاضطراب والقلق. قد يكون من الطبيعي أن يقلق بعض الشيء، فإن هذه المغامرة التي أقدم عليها باقتناء هذا الفندق يجب أن تنجح، وليس أدعى لوجوب ذلك من أنه وضع كل ما يملك في هذا المشروع. ولكن "موللي" عادت تفكر في أن ذلك ليس هو في الواقع ما يقلقه.. إن مبعث قلقه هو أنا، وإن كنت لا أستطيع أن أجد سبباً لذلك. وبينما هي مستغرقة في هذه الأفكار فوجئت بيد تلمس كتفها، فالتفتت فزعة لتجد "جريجوري دايسون" وقد بوغت هو الآخر لما رآه من فزعها، فقال معذراً:

- إنني لشديد الأسف يا سيدتي الصغيرة. كانت "موللي" تكره أن يناديها أحد بالسيدة الصغيرة، فأجابته دون تردد:

- لم أسمعك وأنت قادم يا سيد "دايسون"، ولذا فقد أفرغتني.

- سيد "دايسون" ! لماذا هذا التكلف الليلة؟ ألسنا هنا جميعاً أسرة كبيرة سعيدة! إدوارد وأنا ولاكي وإيفيلين وأنت وتيم واستر ورافيل العجوز؟ إن هذه المجموعة كلها ليست إلا أسرة واحدة سعيدة. ابتسمت "موللي" برقة وهي ترى أنه قد عاد للشراب ثانية وقالت:

- إنني أحياناً أتغاضى عن وظيفتي كمضيفة لكم جميعاً. ولكننا - تيم وأنا - نرى أنه من حسن السلوك ألا نبالغ في رفع الكلفة.

- أوه... إننا لا نهتم بمثل هذه الرسميات... والآن يا "موللي"، أيتها الجميلة، ألا تتناولين معي كأساً؟

- ليس الآن، لا يزال أمامي ما يجب عمله. مد "جريج" ذراعه وأحاط به خصرها وهو يترنح قليلاً، ثم قال:

- لا تتهربي مني... إنك فتاة جميلة يا "موللي"... آمل أن يقدر "تيم" مأوتي من حظ.

- لا تخش شيئاً من هذه الناحية، فإنني كفيلة بأن أساعده على ذلك. ازداد ترنح "جريج" وقال مغاللاً:

- أتعلمين أنني على استعداد لأن أضحي بكل شيء في سبيلك؟ ولو أنني لأحب أن تسمع زوجتي ذلك. فقالت "موللي" وهي تحاول تغيير الموضوع:

- هل تتمتعتم برحلتكم بعد ظهر اليوم؟

- أظن ذلك. أتريدن الحق... إنني أشعر بالضجر أحياناً... ألا ترين أنه بالإمكان الشعور بالملل من الطيور والفراشات؟ ما رأيك في أن نخرج أنت وأنا للتنزه في أحد الأيام؟

- إنها لفكرة بديعة، سنرى ماذا يمكن عمله. قالت ذلك وهي تتخلص منه ضاحكة، وتسرع مهرولة إلى البار، وهناك استقبلها "تيم" قائلاً:

- مرحباً "موللي"... إنك تبدين في عجلة من أمرك... من هذا الذي كان معك في الخارج؟

- إنه "جريجوري دايسون".

- وماذا كان يريد؟

- كان يحاول مغالتي.

- عليه اللعنة.

- لا يشغلنك الأمرياً "تيم"... إنني قادرة تماماً على إيقافه عند حده. كان "تيم" على وشك أن يرد عليها عندما شاهد "فرناندو" رئيس السقاة فاتجه نحوه وأخذ يملئ عليه بعض التعليمات، في حين تسلمت "موللي" إلى المطبخ ودلفت من بابه الخلفي نحو الشاطئ. في تلك الأثناء كان "جريجوري دايسون" يتمتم ساخطاً وهو يسير ببطء عائداً إلى كбинته، وعندما اقترب منها سمع من خلفه صوتاً يناديه من بين الشجيرات... التفت "جريج" فزغاً نحو مصدر الصوت، وفي عتمة الغروب خيل إليه أنه يرى شبحاً ولكنه سرعان ما قهقه ضاحكاً عندما تحقق من أن الخيال

الأبيض الذي شاهده كان له وجه أسمر، وإذا بالفتاة "فيكتوريا" تخرج من بين الشجيرات إلى الممر وتهمس قائلة:

— سيد "دايسون"، لحظة من فضلك.

— حسناً... ماذا تريدین؟ كان "جريج" يشعر بالحجل لما اعتراه من فزع، ولذا فقد بدا صوته نافذ الصبر، أما الفتاة فقد مدت إليه يدها وفيها زجاجة صغيرة تحوي أقراصاً وقالت:

— لقد أحضرت لك هذه الزجاجة... إنها تخصك أليس كذلك؟

— أوه، زجاجة أقراص "السيرينايت" .. أجل، بالتأكيد... أين عثرت عليها؟

— وجدتھا في المكان الذي وضعت فيه... في حجرة السيد.

— ماذا تقصدين: في حجرة السيد؟

— السيد الذي توفي.. لا أظن أنه الآن ينام هادئاً في قبره.

— ولم لا بحق الشيطان؟ ظلت "فيكتوريا" صامتة تحملق إلى وجهه في حين استطرد:

— لا أدري عم تتحدثين. أتعنين أنك وجدت زجاجة الأقراص هذه في حجرة العقيد "بالجريف"؟

— هو ذلك يا سيدي... إن الطبيب ورجال الأمن الذين جاءوا من "جيمس تاون"، بعد أن فحصوا كل شيء، أعطوني كل ما كان في حمام السيد "العقيد" لآلقه بعيداً. معجون الأسنان ولوسيون ما بعد الحلاقة وباقي الأشياء التي كانت على الرف ومن بينها هذه الزجاجة.

— حسناً، ولماذا لم تلقها بعيداً هي الأخرى؟

— لأنها تخصك.. إنك قد افقدتها ولعلك تذكر أنك سألتني عنها.

— أجل، أجل، أذكر ذلك. كنت أظن أنني وضعتها في مكان ما ونسيته.

— كلا يا سيدي.. إنك لم تضعها في أي مكان... لقد أخذت من كابينتك ووضعت في كبينة السيد "العقيد". اشتدت لهجة "جريج" حدة وهو يقول:

— وكيف عرفت ذلك؟ توقفت الفتاة قليلاً وهي تبتسم وقد بدت أسنانها البيضاء ثم استطردت:

— بعضهم أخذھا ووضعھا في حجرة السيد "العقيد" وهانذا الآن أعيدها إليك.

- مهلاً يا فتاة ماذا تقصدين.. هل رأيت شيئاً؟ ولكن الفتاة أولته ظهرها وأطلقت ساقها للريح، وسرعان ما اختفت بين الأشجار. لم يحاول "جريج" أن يتبعها بل ظل جامداً في مكانه وأخذ يمر بيده ساهماً فوق ذقنه إلى أن سمع صوت زوجته وهي تقول له:

- ماذا دهاك يا "جريج"؟ هل رأيت شيئاً؟

- الواقع أن هذا هو ما خيل إليّ.

- من ذا الذي كنت تتحدث معه؟

- إنها الفتاة السمراء التي تقوم بنظافة الكبائن... أظن أن اسمها "فيكتوريا".

- وماذا كانت تريد؟ هل كانت تدعوك إلى مغازلتها؟

- كفك سخفاً يا "لاكى".. إن الفتاة تملكها فكرة سخيفة للغاية.

- أية فكرة؟

- هل تذكرين أنني لم أتمكن من العثور على زجاجة أقراص "السيرينايت" منذ

بضعة أيام؟

- إنك زعمت لي أنك لم تتمكن من العثور عليها. فصاح "جريج" بذهول:

- ماذا تعنين بقولك إنني "زعمت"؟

- بالله عليك، ألا تكف عن مؤاخذتي على كل عبارة أنطق بها؟

- إنني آسف.. إن الجميع هنا أصبحت تكتنفهم الأسرار. قال هذا ثم مد إليها

يده وبها زجاجة الأقراص واستطرد قائلاً:

- لقد أحضرتها لي الفتاة.

- هل كانت هي التي سرقتها؟

- كلا... لقد وجدتها في مكان ما على ما أظن.

- حسناً، وماذا في ذلك؟ أية غرابة في ذلك؟

- أوه، لا شيء... لعلها كانت تحاول إثارتني... هذا هو كل ما في الأمر.

- اسمع يا "جريج".. دعك من كل هذه الأحاجي وهلم بنا لنتناول كأساً قبل

العشاء. كانت "موللي" قد وصلت إلى الشاطئ وهناك جذبت أحد المقاعد القديمة

التي كان ينذر استعمالها وجلست بعض الوقت تتأمل البحر الممتد أمامها، وفجأة

دفنت رأسها في راحتها وأخذت تبكي. ظلت "موللي" تبكي فترة ليست

بالقصيرة إلى أن سمعت حفيفاً بالقرب منها فتلفتت فزعة لتجد السيدة "هيلنجدون" واقفة تنظر إليها، فقالت :

- أهلاً "إيفيلين" .. لم أسمعك قادمة. إنني ... آسفة.

- ماذا بك يا طفلي؟ هل أنت مريضة؟ قالت ذلك وجذبت مقعداً آخر وجلست بجوار "موللي" وهي تقول :

- هيا ... أخبريني .

- لا شيء ، لا شيء مطلقاً .

- بالتأكيد هناك شيء ما، وإلا لما جلست هكذا وحدك تبكين .. الا تستطيعين

إخباري؟ هل حدث سوء تفاهم بينك وبين "تيم"؟

- أوه، كلا .

- يسرني أن أسمع ذلك منك .. إنكما تبدوان دائماً سعيدين .

- ليس أكثر سعادة منك أنت و"العقيد" ... إنني و"تيم" نتحدث دائماً عمّا

يبدو عليك أنت و"إدوارد" من سعادة وقد مضى على زواجكما كل هذا الوقت .. إنه لزواج رائع .

- أوه .. اكتسى صوت "إيفيلين" حدة وهي تلفظ هذه الكلمة، ولكن "موللي"

لم تلاحظ ذلك، وقالت :

- إن الأزواج يتشاحنون دائماً، وإذا كان الحب الحقيقي سائداً بين الزوجين فإن

مثل هذه المشاحنات تمر وتنقضي دون أن تؤثر في الوئام بينهما، حتى ولو جرت تلك المشاحنات علناً . فقالت "إيفيلين" :

- بعض الأزواج يعيشون على هذا المنوال، والواقع هو كما تقولين .

- ولكنني أرى أن ذلك فظيع .

- إن أردت الحقيقة فإن رأيي مثل رأيك .

- ولكن ... إن مجرد التفكير في أنك، أنت و"إدوارد" ..

- لا فائدة يا "موللي" .. لا أستطيع أن أدعك تتخيلين مثل هذه الأشياء .. إنني

و"إدوارد" .. توقفت "إيفيلين" مترددة ثم أردفت :

- إذا أردت الحقيقة فإنني أنا و"إدوارد" لم نتبادل كلمة واحدة على انفراد طوال

السنوات الثلاث الماضية . فصاحت "موللي" وهي تمحلق إلى وجه "إيفيلين" :

- ماذا تقولين؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك.
- تلك هي الحقيقة .. لقد أجاد كل منا تمثيل الدور، ولسنا من ذلك الطراز الذي يتشاحن على الملأ، ومهما يكن من أمر فليس هناك ما يدعوننا إلى المشاحنة.
- ولكن ما السبب؟
- السبب المعتاد ..
- ماذا تعنين بذلك؟ أهنالك امرأة أخرى؟
- أجل، هناك امرأة أخرى بيننا، ولا أظن أنه من الصعب عليك أن تخمني من هي.
- أتقصدين السيدة "دايسون" .. "لاكي"؟ أو مات "إيفيلين" برأسها في حين قالت "موللي" :
- أنا أعرف أنهما يتبادلان المغازلة دائماً، ولكنني كنت أعتقد أن ذلك مجرد ...
- ... مجرد دعابة؟ دعابة بريئة ولا شيء وراءها؟
- ولكن لماذا؟ ألم تحاولي ... ولكن قد لا يكون لي الحق في طرح مثل هذا السؤال ..
- أسألي ما شئت، لقد تعبت من كتمان الأمر في صدري، تعبت من استمرار التظاهر بالزوجة المثالية السعيدة. إن "إدوارد" مدله بها وكان من الغباء أن جاءني وصارحني بالأمر. ربما كان تصرفه هذا مما ساعد على تخفيف حدة الصدمة علي. كان هدفه أن يكون أميناً ومخلصاً فلا يخفي علي حقيقة شعوره، وإن فاته أن ذلك لن يكون سهلاً علي.
- هل اقترح عليك الانفصال؟
- إن لنا ولدين كما تعلمين، وكلانا مغرم بهما إلى أقصى حد ... إنهما في المدرسة بـ "المجترات" وقد أردنا ألا نهدم بيتنا، ثم إن "لاكي" نفسها لم تكن لترغب في الطلاق. إن "جيريج" واسع الثراء، فقد تركت له زوجته الأولى ثروة ضخمة، ولذا فقد اتفقنا على إبقاء الحال على ما هي عليه: "إدوارد" و"لاكي" في سعادتهما الآثمة، و"جيريج" ينعم بجهله بكل ما يجري حولنا، وأنا و"إدوارد" مجرد صديقين. كان صوت "إيفيلين" يقطر مرارة مما دعا "موللي" لسؤالها:
- وكيف تتحملين مثل هذه الحياة؟

- إن الإنسان كفيل بأن يتعود أي شيء... ولكن أحياناً..

- أجل؟

- ينتابني أحياناً شعور قوي يدفعني إلى قتل تلك المرأة. فزعت "موللي" لما خالط صوت "إيفيلين" من مرارة، ولم تعلق على هذه العبارة في حين تابعت "إيفيلين":

- دعينا نكف عن الحديث عني، ولننتحدث عنك أنت، أريد أن أعرف ما بك؟ لزمت "موللي" الصمت بضع لحظات، ثم قالت:

- كل ما في الأمر أنني أشعر.. أشعر بأن بي شيئاً ما غير طبيعي.

- غير طبيعي؟ ماذا تعنين بذلك؟ هزت "موللي" رأسها بأسى وقالت:

- إنني خائفة. إنني خائفة جداً.

- وماذا يخيفك؟

- كل شيء.. إن الخوف ينمو في داخلي.. إنني أسمع حفيفاً بين الشجيرات، وصوت خطوات متلصصة، ويخيل إليّ أن هناك من يراقبني ويتجسس عليّ طول الوقت. هناك من يكرهني.. هذا هو ما أشعر به. نعم... هناك من يكرهني. أخذت "إيفيلين" بهذا الكلام وقالت:

- يا طفلي العزيزة.. منذ متى وأنت بهذه الحال؟

- لا أدري.. لقد بدأت أشعر بها تدريجاً، وليس هذا فقط بل هناك أشياء أخرى.

- وما هي؟

- تأتي أوقات لا أستطيع أن أتذكر ما جرى فيها.

- أتعنين أنك تتعرضين لنوبات من فقدان الذاكرة... أو الغيبوبة؟

- أظن ذلك.. أعني أنه في بعض الأحيان وقد تكون الساعة الخامسة مثلاً أجد

نفسي عاجزة عن تذكر ما حدث قبلها منذ الساعة الواحدة أو الثانية.

- أوه.. لا بد من أنك غفوت بعض الوقت، إن هذا يحدث كثيراً.

- كلا، ليس الأمر كذلك إطلاقاً، فإنه بعد فترة الضياع تلك لا أشعر بأنني كنت

نائمة؛ لأنني أجد نفسي في مكان مختلف، وفي بعض الأحيان ألاحظ أنني أرتدي

ملابس مختلفة، وأحياناً أخرى أقول أشياء للآخرين أو أتحدث معهم ثم لا أذكر

شيئاً من كل ذلك فيما بعد . بدت الحيرة المشوبة بالعطف على وجه "إيفيلين" وقالت :

- "موللي" أيتها العزيزة، إذا كان الأمر كما تصفين يجب أن تستشير طبيباً .
- أوه... لا أستطيع... لا أريد ذلك ولا أطيق أن أقترّب من طبيب . أخذت "إيفيلين" تمحلق إلى وجه "موللي" ثم أمسكت بيدها بين يديها وقالت :
- يبدو لي أنك تعذبين نفسك دون داع . . إنك تعلمين أن هناك العديد من الاضطرابات العصبية التي لا خطر منها مطلقاً، والطبيب بإمكانه أن يطمئنك في خلال فترة علاج ليست بالطويلة .

- وقد لا يستطيع، أو يحتمل أن يجد لديّ حالة غير طبيعية .
- وما الذي يجعلك تظنين ذلك؟
- لأن... أوه... لا أجد لذلك سبباً .
- ألا تستطيع أسرّتك.. أليس لك أسرة؟ أمك أو أخواتك أو أي فرد من أقبائك أن يحضر إلى هنا؟

- لست على وفاق مع أمي.. كنا دائماً على غير وفاق... إن لي أخوات ولكنهن متزوجات وإن كنت أعتقد أنهن لن يرفضن المجيء لو طلبت منهن ذلك، ولكني لا أريد أحداً منهن، بل إنني لا أريد أحداً مطلقاً، فيما عدا "تيم" .
- وهل يعرف "تيم" بهذه الحالة؟ هل أخبرته؟

- في الواقع لم أخبره، ولكنني ألاحظ قلقه من ناحيتي، كما أنه يراقبني... يخيل إليّ أنه يحاول مساعدتي أو حمايتي . ومادام يفعل ذلك فإن معناه أنني محتاجة إلى الحماية . أليس كذلك؟

- مازلت عند رأيي، إن ذلك كله ليس إلا وهماً، ومع ذلك فاعتقد أنه لا بد لك من استشارة طبيب .

- الدكتور "جراهام" العجوز؟ إنه لن يجديني نفعاً .

- هناك غيره في الجزيرة .

- لا حاجة لي بغيره . الواقع أنني يجب ألا أفكر كثيراً في هذه الحالة، ويبدو لي أنك على حق وأن الأمر كله ليس إلا وهماً . يا إلهي... إن الوقت يمر سريعاً . كان يجب أن أكون الآن في قاعة الطعام للإشراف على إعداد العشاء . يجب أن أسرع

بالعودة. قالت ذلك وهي تنظر إلى "إيفيلين" بحدة، بل وبعداء، ثم أسرعت الخطى عائدة إلى الفندق و"إيفيلين" تشيعها بنظرات متحيرة قلقة.

الفصل الثاني عشر

- إنني أعتقد يا رجل أنني وقعت على شيء خطير.
- ما هذا الذي تقولينه يا "فيكتوريا"؟

- أقول إنني وقعت على شيء خطير، وهذا الشيء قد يعني مالاً، ومالاً كثيراً.
- استمعي إلي يا امرأة، يجب أن تتوخى الحذر وإلا وجدت نفسك في إشكالات لا قبل لنا بها... ألا يحسن أن تكلي الأمر لي؟ ضحكت "فيكتوريا" ضحكة طويلة، وقالت:

- تذرع بالصبر وسترى... إنني أعرف كيف أمسك بطرف الخيط... إنها ثروة...
ألا تدرك معنى الثروة يا رجل! هناك أشياء رأيتها وأشياء أخرى خمنتها وأعتقد أن تخميناتي صادقة. ومرة أخرى عادت ضحكتها العالية ترن في سكون الليل.

- "إيفيلين"...
- نعم؟ أجابت "إيفيلين هيلنجدون" دون اكتراث، بل إنها لم تهتم بالنظر إلى زوجها.

- هل لديك مانع من أن نحزم متاعنا ونعود إلى بيتنا في "إنجلترا"؟ كانت "إيفيلين" تمشط شعرها الأسود القصير، وعندما سمعت هذا الاقتراح من زوجها هبطت يداها جانباً ونظرت إليه، وقالت:

- اتعني... ولكن لم يكذب على وصولنا إلى الجزيرة أكثر من ثلاثة أسابيع
- أعرف ذلك، ولكن هل لديك مانع؟
- أتريد حقاً أن تعود إلى "إنجلترا"، إلى بيتنا؟
- أجل..

- وتترك "لاكي"؟ طرفت عينا "إدوارد" وقال:

- كنت تعرفين طول الوقت .. أن علاقتنا لا تزال مستمرة؟
- تمامًا .

- ولكن لم يبد منك ما يدل على ذلك!
- ولم لا؟ لقد ناقشنا الموضوع منذ سنوات مضت، ولم يرغب أحد منا في الانفصال، ولقد اتفقنا على أن يسير كل منا في طريقه على أن نحافظ على المظهر أمام الناس. وقبل أن يجيب "إدوارد" تابعت "إيفيلين":

- ولكن ما السبب الذي يجعلك الآن تلح في العودة لـ "إنجلترا"؟
- لاني على وشك الانهيار. إنني لم أعد أستطيع تحمل الموقف أكثر من ذلك. كلا.. لم أعد أستطيع. لم يكن المتكلم هو ذلك الرجل الهادئ المرح.. كانت يدها ترتجفان وقد تقلص وجهه ألماً، وأخذ يزدرد لعابه بصعوبة ظاهرة، وتابع قائلاً:
- لا شيء سوى أنني أريد مغادرة هذا المكان.

- لقد غرقت لأذنيك في حب "لاكسي" والآن أفقت لنفسك.. أهذا هو ما تريد أن تخبرني به؟

- أجل، ولا اعتقد أنك ستغفرين لي.
- دعنا لا نخوض في ذلك الآن.. كل ما أريد أن أعرفه يا "إدوارد" هو هذا الاضطراب الذي يبدو عليك.
- إنني لست مضطرباً.
- بل أنت كذلك.. لماذا؟
- ألا يبدو لك السبب واضحاً؟

- كلا.. دعنا نضع النقط فوق الحروف.. لقد أقمت علاقة مع امرأة أخرى، وهو أمر يحدث كثيراً، والآن انتهت النزوة، أم لعلها لم تنته؟ ربما لم تنته من جانبها هي، أهو كذلك؟ هل يعلم "جريج" بما يجري؟ لقد كنت دائماً أفكر في ذلك.
- لا أعرف... إنه لم ينطق بحرف وهو دائماً يبدو ودوداً.

- إن الرجال كثيراً ما يتصفون بالغباء. وقد يكون "جريج" مشغولاً بعلاقة أخرى تلهيه عن رؤية ما يدور حوله!

- هل حاول مغازلتك؟ أجيبني.. إنني أعرف أنه حاول ذلك.. فاجابت "إيفيلين" بغير اكتراث:

- هذا صحيح .. ولكنه يغازل الجميع . هذا هو طبعه ، ولذا فإن محاولاته لا تعني كثيراً ، إنها في رأيي مجرد عقدة التظاهر بالرجولة .
- وأنت ، هل تملين إليه ؟ "إيفيلين" .. أرجو أن تخبريني بالحقيقة .
- إنني فعلاً أميل إليه وأعجب بروحه المرحه ، إنه صديق عزيز .
- أهذا هو كل ما في الامر ؟ بودي لو أستطيع تصديقك . فقالت "إيفيلين" بجفاء :

- لا أستطيع إدراك أهمية ذلك بالنسبة إليك .
- أعتقد أنني أستحق ذلك منك . وهنا نهضت "إيفيلين" من مقعدها واتجهت نحو النافذة ، وظلت تنظر من خلالها بضع لحظات ، ثم عادت إلى مقعدها وقالت :
- بودي لو تخبرني بحقيقة السبب فيما يقلقك .
- لقد أخبرتك .
- إنني لأعجب ..
- لا يمكنك أن تدركي مدى شعور الإنسان عندما يتغلب على مثل هذه النزوة الجنونية .

- أستطيع أن أحاول ، وإن كان ما يقلقني الآن هو ما يبدو من أن "لاكي" لا يزال لديها ما تمسكه عليك . إنها ليست مجرد عشيقة ، إنها لبرؤة ذات مخالب حادة ..
"إدوارد" ... يجب أن تخبرني بالحقيقة ... تلك هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أن تضمن وقوفي إلي جانبك . فقال "إدوارد" بصوت خافت :
- إذا لم أغادر هذا المكان سريعاً فإنني سوف أقتلها .
- تقتل "لاكي" ؟ لماذا ؟
- بسبب ما جعلتني أفعله .
- وما هو ذلك ؟

- لقد ساعدتها على ارتكاب جريمة قتل . وأخيراً نطق "إدوارد" بالحقيقة وساد الصمت بين الزوجين بينما أخذت "إيفيلين" تحمق إلى وجه زوجها مشدوهة ثم قالت :

- أتدري ما تقول ؟
- أجل . لم أكن لأعلم أنني أفعل ذلك ، فقد كان الامر مقصوراً على أنني ابتعت

لها بعض العقاقير التي طلبتها من الصيدلية، ولم تكن لديّ أدنى فكرة عن الغرض الذي طلبتها من أجله... كانت قد طلبت مني أن أنسخ لها صورة من إحدى التذاكر الطبية..

- متى حدث ذلك؟

- منذ أربع سنوات، عندما كنا في جزيرة "المارتينيك"، وكانت زوجة "جريج" ..

- أنعني زوجة "جريج" الاولى.. "جيل"؟ أنعني أن "لاكي" سميتها؟
- أجل... وقد ساعدتها... وعندما تحققت... فقاطعتها "إيفيلين" قائلة:
- ... عندما تحققت مما حدث أخبرتك "لاكي" بأنك تعتبر شريكاً لها، فانت الذي نسخت التذكرة الطبية وأنت الذي ابتعت السم، اليس هذا هو ما حدث؟
- نعم، لقد قالت لي إنها فعلت ما فعلت بدافع الشفقة، إذ إن "جيل" كانت تتعذب، وهي التي طلبت من "لاكي" بإلحاح أن تجد لها الوسيلة التي تريحها من ذلك العذاب.

- القتل بدافع الشفقة! وأنت هل صدقت ذلك؟ لزم "إدوارد هيلنجدون" الصمت لحظة، ثم قال:

- كلا.. الواقع أنني لم أصدقها، كل ما في الأمر أنني قبلت ما قالت لانني كنت أريد أن أصدقها، لأنني كنت مغرماً بها.

- وبعد ذلك؟ بعد أن تزوجت "جريج" .. هل ظللت على تصديقك لها؟

- لقد حاولت إقناع نفسي بتصديقها.

- ما مدى ما يعلمه "جريج" عن الموضوع؟

- لا شيء البتة.

- إنه ليصعب عليّ تصديق ذلك.. وهنا انفجر "إدوارد" صائحاً:

- "إيفيلين"... يجب أن أتحرر من كل هذه القيود... إن هذه المرأة تدأب على تعذبي بما فعلت... إنها تعلم أنني لم أعد أهتم بها... يا إلهي... إنني أصبحت أمقتها، ومع ذلك فهي تجعلني أشعر بأنني لا أستطيع الفكاك من أسرها بسبب تلك الفعلة الشنعاء التي اشتركنا فيها معاً. أخذت "إيفيلين" تسير جيئة وذهاباً في الحجرة، ثم توقفت وواجهت زوجها قائلة:

- إن عيبك الأكبر يا "إدوارد" أنك شديد الحساسية، وفي الوقت نفسه يسهل التأثير فيك بدرجة غير معقولة .. إن هذه المرأة قد فرضت عليك الوضع الذي تريده مستغلة شعورك بالذنب .. ولا يسعني إلا أن أقولها لك صريحة إن الجريمة الحقيقية التي تثقل عليك هي جريمة الزنى وليس القتل .. لقد ثقلت عليك هذه العلاقة الآثمة مع "لاكبي"، وأدركت هي ذلك فعملت على أن تجعل منك مخلب القط لتنفيذ خطتها الإجرامية فنجحت في أن تجعلك تشعر بأنك شريك لها في جريمتها، ولكن ثق بأنك لست شريكاً. صاح "إدوارد" وهو يهم بالاقتراب من زوجته:

- "إيفيلين" .. ولكنها تراجعت بعيداً وأخذت تنظر إليه متفحصة ثم قالت:

- "إدوارد" .. هل كل ما ذكرته لي هو الصدق أم هو مجرد تظاهر؟

- "إيفيلين"، ولماذا انتظاهر بحق السماء؟

- لا أعرف .. قد يكون تساؤلي لمجرد أنني لم أعد أثق بأحد. ولأنني أوه ... أعتقد

أنني أصبحت لا أستطيع تمييز الحقيقة عندما أسمعها.

- دعينا ننسى كل ذلك ونعود إلى "إنجلترا"، إلى بيتنا.

- أجل .. سنفعل ذلك .. ولكن ليس الآن.

- ولم لا؟

- يجب أن نستمر في التظاهر كالعادة فترة أخرى من الوقت. هل تفهمني؟ إن ذلك من الأهمية بمكان. ويجب ألا نجعل "لاكبي" تشعر بادننى إحساس بما ننوي أن نفعله.

الفصل الثالث عشر

كان المساء يقترب من نهايته، وأخذت الفرقة الموسيقية النحاسية تهدئ من حماسها. ووقف "تيم" بالقرب من نافذة قاعة الطعام يتطلع إلى الشرفة، ثم أخذ يطفئ بعض أنوار الموائد التي غادرها أصحابها عندما سمع صوتاً يخاطبه من خلفه:

- "تيم"، هل أستطيع أن أحدث إليك لحظة؟ بوغت "تيم" والتفت نحو مصدر الصوت فوجد "إيفيلين":

- أهلاً "إيفيلين"، هل هناك ما أستطيع أن أؤديه لك؟ تلفتت "إيفيلين" حولها ثم قالت:

- لنجلس إلى تلك المائدة قليلاً. اتجهت "إيفيلين" نحو مائدة في أقصى الشرفة حيث كان المكان خالياً من النزلاء وجلست وأشارت إلى "تيم" أن يجلس أمامها ثم قالت:

- "تيم"، يجب أن تغفر لي إزعاجك، ولكنني قلقة بشأن "موللي". تهجم وجه "تيم" في الحال وقال بخشونة بادية:

- "موللي"!! ما الذي يقلقك بشأنها؟

- أعتقد أن حالتها لا تدعو إلى الاطمئنان... يبدو عليها الاضطراب واضحاً.

- الواقع أنها سريعة الاضطراب في هذه الأيام.

- ينبغي أن تعرضها على طبيب.

- أجل.. إني أعرف ولكنها لن تقبل ذلك.. إنها تكره الأطباء.

- وما السبب؟

- ماذا تعنين؟

- سألتك عن السبب.. لماذا تكره الأطباء؟ فأجاب "تيم" ببطء:

- إن كثيراً من الناس يخالجهم نفس الشعور أحياناً.. إن مجرد ذكر الطبيب

يجعلهم يخافون على أنفسهم.

- إنك قلق عليها أنت الآخر، أليس كذلك؟

- الواقع أن هذا صحيح.

- أليس هناك أحد من أسرته أو أقاربها يمكنه الحضور إلى هنا للبقاء بجانبها؟

- كلا.. إن ذلك لو حدث كفيل بأن يزيد الأمر سوءاً..

- وما مدى الشقاق بينها وبين أسرته؟

- كالمعتاد... إن أعصابها مشدودة من ناحيتهم.. إن العلاقة لم تكن قط طيبة

فيما بينهم، وبصفة خاصة مع أمها.. إن الأسرة كلها في رأيي غريبة الأطوار ولعل

ذلك هو ما دفعها إلى الابتعاد عنها، وإن كنت أعتقد أن ما فعلته هو الخير كل

الخير. فترددت "إيفيلين" قليلاً، ثم قالت:

- لقد أخبرتني بأنها تشكو من نوبات من الغيوبة، كما أنها خائفة من الناس،

وأعتقد أن هذه الحالة هي ما يسمونها بعقدة الاضطهاد. فصاح "تيم" منفعلًا:

- لا تقولي ذلك.. عقدة الاضطهاد! من السهل أن يقول البعض ذلك عن

الآخرين، ولكن هل مجرد أنها... أن أعصابها مضطربة قليلاً؟.. أعتقد أن مجرد مجيئنا إلى هذا المكان هو السبب.. إن الإقامة في جزر "الهند" الغربية لا تناسب جميع الناس.

— ولكن بالتأكيد لا يمكن أن تكون فتاة مثل "موللي" من هذا الطراز!
— أوه.. كيف يمكننا أن نعرف الأسباب التي تخيف بعض الناس.. ألا يخاف البعض من التواجد في حجرة واحدة مع قطة.. ألا يفزع البعض الآخر لمجرد سقوط ورقة شجرة عليهم!

— ولكن ألا ترى أنه من الواجب أن تعرضها على إخصائي في التحليل النفسي؟
إنني أكره أن أقترح عليك ذلك. فقال "تيم" بانفعال ظاهر:
— كلا، كلا.. إنني لن أسمح لمثل هؤلاء الإخصائيين بتعذيبها.. أنا لا أثق بهم وأعتقد أن تدخلهم يزيد الحالة سوءاً، فلو أن أمها لم تلجأ إليهم..
— إذن فقد كانت هناك سابقة من هذا القبيل في الأسرة، اليس كذلك؟ أعني ما يشبه.. عدم الاستقرار.

— لا أريد أن أتحدث بذلك... لقد انتزعتها من كل ذلك وهي على أتم صحة، وكل ما في الأمر أن أعصابها مضطربة، ومثل هذه الحالة لا تكون وراثية، إذ لا يكاد يخلو إنسان في وقتنا الحاضر من مثلها.. إن "موللي" كاملة الاتزان.. كل ما هنالك.. أعني أن وفاة ذلك "العقيد" العجوز هي التي أثارت كل هذا الاضطراب. فقالت "إيفيلين" ساهمة:

— الآن فهمت... ومع ذلك فلم يكن في وفاة العقيد "بالجريف" ما يدعو أي إنسان ليفقد السيطرة على أعصابه، ألا ترى ذلك؟

— أجل، بالتأكيد. لم يكن في الأمر ما يدعو إلى ذلك.. كل ما هناك أن الإنسان لا يسعه إلا الشعور بصدمة عندما يموت أحد، هكذا فجأة. كان "تيم" بادي اليأس، وقد شعرت "إيفيلين" بقلبها يعتصر شفقة عليه فوضعت يدها على ذراعه وقالت:

— آمل أن تكون مدركاً لما تفعل يا "تيم". وإذا كان هناك ما يمكنني عمله لمساعدتك، أقصد إذا أردت أن أصحب "موللي" إلى "نيويورك"، فإنني على استعداد لمرافقتها بالطائرة إلى هناك أو إلى "ميامي" أو إلى أي مكان آخر يمكنها أن

تجد فيه عناية طبية من الدرجة الأولى .

- هذا تلطّف عظيم منك يا "إيفيلين"، ولكن ثقي بان "موللي" بخير، وهي في سبيلها للتغلب على هذه الحالة الطارئة. هزت "إيفيلين" رأسها متشككة ثم استدارت وأخذت تنظر إلى الخارج عبر الشرفة .. كان معظم النزلاء قد أووا إلي كبائنهم فعادت أدراجها متجهة نحو مائتها لترى ما إذا كانت قد تركت شيئاً عليها وإذا بها تسمع صيحة من "تيم" ... توقفت "إيفيلين" والتفتت نحوه فوجدته يحملق نحو الدرج في أقصى الشرفة، فالتفتت بنظرها حيث كان "تيم" ينظر، وما كادت تفعل حتى شهقت شهقة عميقة ولم تنطق بحرف . كانت "موللي" تصعد الدرج قادمة من اتجاه الشاطئ وقد تقطعت أنفاسها وأخذت تلهث وجسمها يهتز وهي في حالة ذهول تام. صاح "تيم" :

- "موللي"، ماذا جرى؟ قال ذلك وهو يسرع نحوها كما أسرعت "إيفيلين" خلفه .. كانت "موللي" قد وصلت إلى أعلى الدرج ووقفت هناك ويدها خلف ظهرها، وأخذت تلهث بكلمات متقطعة :

- لقد عثرت عليها .. هناك بين الشجيرات. إنها هناك بين الشجيرات .. ويدي .. انظر إلى يدي .. ما إن مدت "موللي" يديها حتى صعقت "إيفيلين" عندما رأت البقع الحمراء الداكنة التي تلتطمحها .. كان منظر البقع داكناً في الضوء المتخافت ولكنها كانت واثقة بأن اللون كان هو الأحمر الداكن. صاح "تيم" بذهول :

- ماذا حدث يا "موللي"؟

- هناك ... بين الشجيرات. تردد "تيم" لحظات ثم أمسك بكتفي "موللي" وأزاحها قليلاً نحو "إيفيلين" ثم أسرع ينزل الدرج .. أحاطت "إيفيلين" الفتاة بذراعها وقالت :

- تعالي ... اجلسي يا "موللي" هنا. يحسن أن تشربي شيئاً. ارتمت "موللي" في أحد المقاعد ووضعت رأسها فوق ذراعها المستندة إلى المائدة .. ولم تحاول "إيفيلين" أن تلقي عليها مزيداً من الأسئلة وفضلت أن تتركها لتهدأ قليلاً وتستعيد صوابها، ولكنها قالت ملاطفة :

- سيكون كل شيء على ما يرام، سيكون كل شيء على ما يرام يا "موللي" .

- لا أدري .. لا أعرف ما الذي حدث، أنا لا أعرف شيئاً، لا أستطيع أن أتذكر.
ثم رفعت رأسها فجأة وصاحت:
- ماذا جرى لي؟ ما الذي جرى لي؟
- لا شيء يا طفلي، لا شيء. وهنا كان "تيم" قد عاد وأخذ يصعد الدرج
ببطء .. كان وجهه مبيضاً وبدا كالشبح. فنظرت إليه "إيفيلين" نظرة تساؤل فقال:
- إنها إحدى فتيات الفندق .. ما اسمها؟ "فيكتوريا" .. نعم. لقد طعنها
أحدهم بسكين.

الفصل الرابع عشر

كانت "موللي" ترقد في فراشها وقد وقف إلى أحد جانبيه كل من الدكتور
"جراهام" والدكتور "روبرتسون" طبيب شرطة جزر "الهند" الغربية، وفي الجانب
الآخر من الفراش كان يقف "تيم" .. كان "روبرتسون" يجس نبض "موللي"، ثم
أوما إلى الرجل الذي كان يقف عند مؤخرة الفراش وهو المفتش من قوة شرطة
"سانت أونوريه" وقال له:

- مجرد أقوال .. لا أكثر .. فحنى المفتش رأسه والتفت نحو "موللي" قائلاً:
- والآن يا سيدة "كيندال"، أخبرينا كيف عثرت على الفتاة. مرت لحظات وبدا
الجسم المسجى على الفراش كأنه لا يسمع، ثم انفرجت شفتاها قائلة في صوت
كأنه آت من بعيد:

- بين الشجيرات ... أبيض ..
- تقصدين أنك رأيت شيئاً أبيض بين الشجيرات .. ثم حاولت أن تعرفي
ما هو .. أليس كذلك؟

- نعم .. أبيض. كان ملقى هناك .. حاولت ... حاولت أن أرفع .. ولكنها ..
الدم لطيخ يدي. وهنا أخذت "موللي" ترتعد، فنظر الدكتور "جراهام" نحو
المفتش وهز رأسه في حين همس "روبرتسون":

- إنها لا تستطيع أن تتحمل أكثر من ذلك. ولكن المفتش استطرد قائلاً:
- ماذا كنت تفعلين في الممر المؤدي إلى الشاطئ يا سيدة "كيندال"؟

- دافئ... جميل.. عند الشاطئ.

- هل عرفت من تكون الفتاة؟

...- "فيكتوريا"... فتاة لطيفة... تضحك... تضحك دائماً.. والآن لن

تضحك ثانية. لن أنسى... ذلك المنظر.. لن أنساه أبداً.. لقد أخذ صوت الفتاة يرتفع بعصبية فصاح "تيم":

- "موللي"... كفى. وتكلم الدكتور "روبرتسون" بصوت رقيق ولكن بلهجة أمرّة، وقال:

- اهدئي... اهدئي. أرجو أن تسترخي.. والآن شكة بسيطة. قال ذلك وهو يغمد إبرة الحقن في ذراعها ثم استطرد موجهها كلامه إلى المفتش:

- إنها لم تعد في حالة تسمح باستجوابها ولمدة أربع وعشرين ساعة أخرى على الأقل. سأخبركما بمجرد أن تسمح حالتها بذلك.

أخذ العملاق الأسمر الوسيم يتنقل ببصره بين الرجال الجالسين إلى المائدة، ثم قال:

- أشهد الله أن هذا هو كل ما أعرفه... أنا لا أعرف شيئاً أكثر مما قلته لكم. كان العرق يكسو جبهته، أما "دافنتري" فقد أطلق زفرة يائسة ونظر إلى المفتش "ويستون" الذي كان يتصدر المائدة وأوماً إليه بأن يصرف الرجل. وما إن غادر "جيم إيلليس" الحجرة حتى قال المفتش:

- لا شك في أن الرجل يعرف أكثر مما قال، ولكننا لن نحصل منه على أكثر من ذلك. فسأله "دافنتري":

- وهل تظن أن له يداً في الموضوع؟

- لا أظن ذلك، فالمعروف أنهما كانا على وفاق تام.

- ألم يكونا متزوجين؟ فبدت ابتسامة على وجه المفتش وقال:

- كلا، لم يكونا متزوجين.. إن حالات الزواج في الجزيرة ليست كثيرة، وإن كانوا يعمدون أطفالهم.. لقد أنجب الرجل طفلين من "فيكتوريا".

- هل تظن أنه كان ضالماً معها فيما كانت تحاوله؟

- هذا غير محتمل، ولا أعتقد أن لديه الجرأة الكافية، كما أنني أعتقد أن ماكانت تعرفه الفتاة لم يكن بذات أهمية كبيرة.

- ولكن أهميته كانت كافية لتحاول استخدامها للابتزاز ..

- لا أدري إذا كان باستطاعتنا أن نسميه كذلك، بل إنني أشك في أن الفتاة كانت تعرف معنى هذه الكلمة، فالدفع في مقابل كتمان سر لا ينظر إليه على أنه ابتزاز .. إن بعض السياح الذين يأتون إلى الجزيرة من ذلك الطراز الذي لا ترتفع أخلاقياتهم فوق مستوى الشبهات.

- إنني أوافقك على أننا نشاهد هنا مختلف الأنماط الاجتماعية، فقد تكون من بينهم امرأة لا ترغب في أن يعرف أحد بعلاقاتها الغرامية، ولذلك تقدم هدية للفتاة التي تقوم على خدمتها. وهنا نجد أن "الدفع" إنما هو لكتمان السر.

- تماماً.

- ولكن الحالة التي أمامنا ليست من هذا الطراز .. إنها جريمة قتل.

- إنني أميل إلى الشك في أن الفتاة كانت تدرك مدى خطورة ما لديها من معلومات .. لقد رأت شيئاً أثار حيرتها، ونستطيع أن نفترض أن هذا الشيء كان يتعلق بزجاجة الأقراص، وأظن أن تلك الزجاجة تخص السيد "دايسون"، ولذا فيحسن أن نستدعيه الآن لسؤاله. دخل "جريجوري" الحجرة بطبيعته المرححة وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه وهو يقول:

- هانذا .. ما الذي أستطيع أن أفعله لمساعدتكم؟ إنه لحادث مؤسف، فقد كانت فتاة لطيفة .. كنا نحبها .. أعتقد أنه لا بد أن يكون في الأمر "رجل"، ولو أنها كانت تبدو دائماً سعيدة ولا تعترضها مشاكل من أي نوع .. بالامس فقط كنت أذاعبها. فقال المفتش:

- أعتقد يا سيد "دايسون" أنك تتناول عقاراً اسمه "سيرينايت"؟

- هذا صحيح .. إنها أقراص حمراء صغيرة.

- وهل لديك تذكرة طبية بها؟

- أجل، وأستطيع أن أطلعك عليها إن شئت ... إنني أشكو من ارتفاع قليل في ضغط الدم، كالكثير من الناس في هذه الأيام.

- قليلون هم الذين يدركون ذلك.

- الواقع أنني لا أحب أن أتحدث عن ذلك.. لقد كنت دائماً بصحة جيدة وأنا لا أحب من يدأب على التحدث عن مرضه.
- كم قرصاً تتناولها يومياً؟
- قرصين، ثلاث مرات في اليوم.
- وهل معك كمية كافية من هذه الأقراص؟
- نعم، عندي حوالي ست زجاجات، ولكنني أحتفظ بها في مكان أمين، أقصد في حقيبة ملابسي ومفتاحها معي ولا أترك في الخارج سوى زجاجة واحدة هي التي استعملتها.
- وقد افتقدت هذه الزجاجة من فترة مضت كما فهمت؟
- تماماً.
- وسالت عنها الفتاة "فيكتوريا"؟
- أجل.
- وماذا قالت لك؟
- قالت إن آخر مرة رأيته فيها كانت على رف الحمام في كابينتنا، ثم وعدت بالبحث عنها.
- وبعد...؟
- بعد ذلك ببعض الوقت جاءتني بالزجاجة وسألته عما إذا كانت تلك هي التي أفتقدها.
- وبماذا أجبته؟
- أجبته بالإيجاب، وسألته أين وجدتها فقالت إنها وجدتها في حجرة "العقيد" العجوز، وقد أبدت لها دهشتي وسألته عن الكيفية التي وصلت بها الزجاجة إلى هناك.
- وماذا كان ردها؟
- قالت إنها لا تعرف، ولكن...
- حسناً يا سيد "دايسون"؟
- الواقع أنني شعرت بأنها كانت تعرف أكثر مما قالت لي، ولكنني لم أعر الموضوع اهتماماً في ذلك الوقت.. إن أهميته لم تكن ظاهرة، وقد ظننت أنني ربما نسيتها

في قاعة الطعام أو في مكان ما ثم عثر عليها العقيد "بالجريف" وأخذها لسبب ما، وربما وضعها في جيبه وهو ينوي أن يعيدها إليّ.

— وهل هذا هو كل ما تعرفه؟

— هذا هو كل ما أعرف... آسف إذا لم أكن قد استطعت أن أفيدكم... هل الموضوع مهم جداً؟ ولماذا؟ هز "ويستون" كتفيه وقال:

— إزاء ما يكتنف الموضوع حالياً من غموض فإن كل شيء قد يكون مهماً.

— لا أستطيع أن أفهم ما دخل الأقراس هنا.. كنت أعتقد أنكم تريدون معرفة كيف أمضيت وقتي وأين كنت عندما طعنت تلك الفتاة التعسة.. لقد دونت كل ذلك بمنتهى الدقة. نظر إليه "ويستون" متاملاً وقال:

— أحقاً؟ إن ذلك سيساعدنا كثيراً. فقال "جريج" وهو يناوله قصاصة من الورق عبر المائدة:

— لقد فكرت في أن ذلك سيجنب الجميع متاعب لا داعي لها. أخذ "ويستون" يقرأ بإمعان في حين أدنى "دافنتري" مقعده من المفتش وأخذ هو الآخر يطالع ما حوته الورقة. وأخيراً قال "ويستون":

— إن الأمر يبدو في غاية الوضوح.. لقد كنت أنت وزوجتك في كابينتكما تغيران ملابسكما استعداداً للعشاء حتى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، ثم توجهتما معاً إلى الشرفة حيث تناولتما بعض الشراب مع السنيورا "دي كاسبيرو"، وفي الساعة التاسعة والربع انضم إليكم العقيد "هيلنجدون" وزوجته ثم ذهبتم جميعاً للعشاء. وبقدر ما تتذكر أويتما أنت وزوجتك إلى الفراش حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف.

— وبالتأكيد أنا لا أعرف في أية ساعة قتلت الفتاة.. كانت عبارة "جريج" تحمل معنى السؤال ولكن المفتش "ويستون" تظاهر بعدم ملاحظة ذلك في حين استطرد "جريج":

— كانت السيدة "كيندال" هي التي عثرت عليها بقدر ما أعلم؟ لا بد أنها كانت صدمة مروعة لها.

— أجل، وقد اضطر الدكتور "روبرتسون" إلى إعطائها مسكناً.

— أعتقد أن ذلك كان في وقت متأخر، بعد أن أوى معظم النزلاء إلى فراشهم؟

- أجل.
- هل كان قد مضى وقت طويل على وفاتها؟ أعني عندما عثرت عليها السيدة "كيندال"؟
- لسنا متأكدين تماماً من وقت الوفاة.
- مسكينة "موللي". لا بد أنها كانت صدمة شديدة لها... والحق يقال إنني لم أرها الليلة الماضية كالعادة، وقد ظننت أنها ربما كانت تشكو من صداع أو شيء من هذا القبيل وأنها لزمت حجرتها.
- متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيدة "كيندال"؟
- أوه، كان ذلك قبل أن أذهب لتغيير ملابسني، كانت في ذلك الوقت تعبت ببعض أدوات المائدة وكانت تعيد ترتيب السكاكين عليها. هز المفتش رأسه دلالة على الفهم ولم يجب في حين استطرد "دايسون":
- كانت بادية الابتهاج وكانت تمزح وتضحك.. إنها فتاة رائعة ونحن جميعاً نحبها... إن "تيم" لمحظوظ.
- شكراً لك يا سيد "دايسون". ألا يوجد لديك ما تضيفه بشأن الفتاة "فيكتوريا"؟
- كلا... لقد قلت لكم كل ما حدث... سألتني عما إذا كانت تلك هي زجاجة الأقراص التي كنت أبحث عنها وقالت إنها وجدتتها في غرفة "بالجرريف" العجوز.
- ألم يكن لديها أية فكرة عما وضعها هناك؟
- لا أظن ذلك.. الواقع أنني لا أستطيع أن أتذكر.
- شكراً لك مرة ثانية يا سيد "دايسون". غادر "جريجوري" الحجرة في حين أخذ المفتش "ويستون" ينقر بأصابعه على الورقة الموضوعية على المائدة وقال:
- كان ذلك بعد نظر منه أن يهتم هكذا بجعلنا نقف على تحركاته في الليلة الماضية. فسأله "دافترى":
- هل تظن أنه أبدى من الاهتمام أكثر مما يجب؟
- من الصعب أن نقول ذلك... إنك تعلم أن معظم الناس يشعرون بالقلق في مثل هذه الظروف ويهتمون كثيراً بتأمين براءتهم، وليس من الضروري أن يكون

ذلك راجعاً إليّ أن لديهم أي معلومات غير بريئة . ومن جهة أخرى قد يكون الأمر عكس ذلك تماماً .

- وماذا عن الفرص المتاحة؟ يبدو لي أنه لا يوجد أحد يملك دليل نفي قاطعاً . أضف إلى ذلك أن الفرقة الموسيقية كانت تعزف ومعظم النزلاء يرقصون والحركة على أشدها، وكان العشاء قد أوشك على الانتهاء والنزلاء يغادرون موائلهم .. النساء يذهبن لإصلاح زينتھن والرجال يتنقلون في أرجاء المكان، وفي مثل هذه الحالة كان من السهل على "دايسون"، أو أي شخص آخر أن يتسلل إلى الخارج، ولكن "دايسون" يبدي اهتماماً شديداً بإثبات أنه لم يفعل ذلك . توقف "دافنتري" قليلاً وهو ينظر إلى الورقة ثم استطرد بصوت حالم:

- إذن فإن السيدة "كيندال" كانت تعيد ترتيب السكاكين على الموائد .. إنني لأعجب إذا كان "دايسون" قد أثار هذه النقطة متعمداً ..
- هل تظن ذلك؟

- أعتقد أنه محتمل . وفي هذه اللحظة تناهت إلى سمع الرجلين أصوات ضوضاء خارج الحجرة التي كانا يجلسان فيها، ثم صوت رجل يعلو فوق صوت الضوضاء يطلب السماح له بالدخول وهو يقول:

- لديّ ما أقوله .. إن لديّ ما أقوله ويجب أن تسمحوا لي بمقابلة السيدين .. خذوني إلى الضابط المختص . وهنا فتح أحد رجال الشرطة باب الحجرة وقال:

- إنه أحد طهاة الفندق وهو يصصر على مقابلكما ويقول إن لديه ما يقوله . وقبل أن يجيبه أحد اندفع إلى الحجرة رجل يرتدي زي الطهاة وهو كوبي الأصل وليس من أهالي "سانت أونوريه" وقد أخذ يصيح:

- أريد أن أقول لكما شيئاً .. إنها مرت عن طريق المطبخ وكانت تمسك في يدها سكيناً نعم .. سكيناً .. مرت من خلال المطبخ وخرجت من بابه الخلفي إلى الحديقة .. لقد رأيته بعيني . فقال له "دافنتري":

- اهْدأ يا رجل، عم تتكلم؟

- سأقول لكم .. إنني أتكلم عنها .. كانت تمسك في يدها سكيناً ثم خرجت إلى الظلام، وكان ذلك قبل العشاء ولم تعد .

الفصل الخامس عشر

- هل نستطيع أن نتحدث معك قليلاً يا سيد "كيندال"؟
- بلا شك. تفضلاً. كان "تيم" جالساً إلى مكتبه عندما دخل عليه المفتش "ويستون" وبرفقته السيد "دافنتري"، فازاح جانباً بعض الأوراق التي كانت أمامه وأشار إليهما بالجلوس. كل وجهه يبدو متجهماً وقد كسسته مسحة من الكتابة والحزن. وما إن جلس الرجلان حتى أردف قائلاً:
- كيف حال التحقيق؟ هل وصلتكم إلى نتيجة؟ يبدو أن هذا المكان يلزمه النحس، فالنزلاء يرغبون في الرحيل ويسألون عن مواعيد الطائرات، ولا يحدث كل ذلك إلا في الوقت الذي بدا فيه أن كل شيء يسير نحو النجاح. يا إلهي.. إنكما لا تستطيعان أن تدركا كم يعني هذا المكان بالنسبة إلينا، لقد وضعنا فيه كل ما نملك. فقال المفتش:
- إني واثق بأن الأمر شاق عليك.. لا تظن أننا لا نشعر بالأسف من أجلكما.
- حبذا لو أمكن إنهاء التحقيق سريعاً.. تلك الفتاة التعسة "فيكتوريا".. ولكن يجب ألا أتحدث عنها هكذا.. كانت فتاة ممتازة. لا بد من أن يكون هناك سبب ما.. مؤامرة مثلاً أو علاقة غرامية.. ربما كان زوجها..
- ولكن "جيم" إيلليس لم يكن زوجها، كما أنه كان يبدو عليهما الاستقرار والطمأنينة.
- حبذا لو أمكن إنهاء كل ذلك بسرعة... أرجو المَعذرة.. كنتما تريدان التحدث إليّ... هل لديكما أي أسئلة؟
- أجل.. إن الأمر يتعلق بليلة الامس... طبقاً للتقارير الطبية يمكن القول إن "فيكتوريا" قتلت فيما بين الساعة العاشرة والنصف ومنتصف الليل، وبالنسبة إلى الظروف السائدة في الفندق فإن أدلة النفي التي حصلنا عليها ليس من السهل إثبات صحتها. فأكثر النزلاء كما تعلم كانوا في حركة دائبة، يرقصون ويخرجون إلى الشرفة ثم يعودون.. إن الأمر يبدو صعباً للغاية.
- إنني أدرك ذلك، ولكن هل يعني ذلك أنكم تأكدتم من أن قاتل "فيكتوريا" هو أحد النزلاء؟

- الواقع أننا لا يجب أن نغفل هذا الاحتمال يا سيد "كيندال" .. إن ما أرغب في سؤالك عنه بصفة خاصة يتعلق بما جاء بأقوال أحد الطهارة.

- حقاً؟ من هو؟ ماذا قال؟

- إنه كما علمنا أحد الكوبيين الذين يعملون بالمطبخ.

- إن لدينا اثنين من الكوبيين وواحداً من "برتوريكو".

- الرجل الذي أعنيه هو "أنريكو"، وهو يقرر أن زوجته مرت بالمطبخ قادمة من قاعة الطعام في طريقها إلى الحديقة وأنها كانت تحمل سكيناً. حملت "تيم" إلى وجه المفتش وصاح مدهوشاً:

- "موللي"، تحمل سكيناً! ومع ذلك فما المانع من ذلك.. أقصد.. ماذا تريدون قوله؟

- إنني أشير إلى الوقت... كان ذلك قبل وصول النزلاء إلى قاعة الطعام، وأعتقد أن ذلك لابد أن يكون في حوالي الثامنة والنصف... أنت نفسك كنت في قاعة الطعام في ذلك الوقت وكنت تتحدث إلى رئيس السقاة، "فرناندو"، على ما أعتقد.

- أجل. أجل. إنني أذكر ذلك.

- ثم جاءت زوجته قادمة من الشرفة؟

- نعم... إن من عاداتها دائماً أن تخرج إلى الشرفة للإشراف على ترتيب الموائد، فإن العمال يخطئون أحياناً في ترتيب أدوات المائدة أو تنسيقها. هذا هو ما حصل. بدا أنها كانت تصح من وضع بعض تلك الأدوات، ومن المحتمل أنها وجدت سكيناً أو ملعقة زائدة فحملتها في يدها.

- عندما دخلت من الشرفة إلى قاعة الطعام، هل حدثت؟

- نعم، لقد تبادلنا بعض العبارات.

- هل تستطيع أن تتذكر ما قالته لك؟

- أظن أنني سألتها عن كانت تتكلم معه هناك... كنت قد سمعت صوتها.

- وماذا كان جوابها؟

- قالت إنها كانت تتكلم مع "جريجوري دايسون".

- أجل، هذا ما قاله السيد "دايسون" أيضاً.

- لقد كان يحاول مغازلتها كما فهمت منها . وهو كثيراً ما يفعل ذلك، وقد شعرت بالضيق وقلت "عليه اللعنة" وقد ضحكت "موللي" وقالت إنها قادرة تماماً على إيقافه عند حده .. إن "موللي" فتاة يمكن الاعتماد عليها في هذه المواقف، وهي مواقف ليست دائماً بالسهلة . إننا لا نجرؤ على إغضاب النزلاء؛ ولذا فإن فتاة جميلة مثل "موللي" يجب أن تتصرف بلباقة في مثل هذه الظروف .. إن "جريجوري دايسون" لا يرى فتاة جميلة إلا وحاول مغازلتها .

- هل حدثت أية مشاحنة بينهما؟

- كلا، لا أعتقد ذلك، وكما قلت فإنها قد تصرفت معه بلباقة كالعادة .

- ألا تستطيع أن تتذكر بالتحديد ما إذا كانت تحمل سكيناً في يدها أم لا؟

- لا أتذكر، ولكنني أكاد أكون واثقاً بأنها لم تفعل بل إنني واثق بذلك .

- ولكنك قلت الآن ..

- مهلاً... إن ما كنت أعنيه أنها إذا كانت في قاعة الطعام أو في المطبخ فمن المحتمل أنها تناولت سكيناً أو كانت تحمل سكيناً في يدها ... والواقع أنني أتذكر ذلك تماماً... إنني أؤكد ذلك . فقال "ويستون" :

- فهمت . فحملق "قيم" إلى وجه المفتش وقد بدا عليه الاضطراب ثم قال :

- ما الذي ترمي إليه بحق السماء؟ ما الذي قاله ذلك الغبي اللعين "أنريكو" ..

أم هو "مانويل"؟

- لقد قال إن زوجتك مرت بالمطبخ وكان يبدو عليها الاضطراب وإنها كانت تحمل سكيناً في يدها .

- يا إلهي، إنه يجعل من الأمر مأساة .

- هل تبادلت حديثاً مع زوجتك في أثناء العشاء أو بعده؟

- كلا... لا أظن أن ذلك حدث... الواقع أنني كنت مشغولاً .

- هل كانت زوجتك موجودة بقاعة الطعام في أثناء العشاء؟

- أوه، أجل . إننا نشرف على راحة النزلاء ونراقب سير العمل .

- ألم تتحدث معها مطلقاً؟

- كلا.. لا أظن ذلك . إننا نكون دائماً مشغولين فلا يلاحظ أحدنا ماذا يفعل

الآخر، وبالتأكيد لا نجد الوقت كافياً للحديث .

- إذن فانت لا تذكر أنك تحدثت معها مطلقاً حتى اللحظة التي رأيتهما تصعد درج الشرفة بعد أول حديث بينكما في ذلك المساء بثلاث ساعات، بعد أن عثرت على الجثة؟

- تماماً... كانت صدمة شديدة.. لقد هزتها هزة عنيفة.

- إنني أدرك ذلك، فهي تجربة غير سارة. ولكن كيف حدث أنها كانت تسير في الممر المؤدي إلى الشاطئ؟

- لقد تعودت أن تخرج لاستنشاق الهواء بعد أن يخف ضغط العمل بعد العشاء... إنها تحاول بذلك أن تبتعد عن صخب النزلاء لتريح أعصابها بعض الوقت.

- عندما عادت، كنت تتحدث مع السيدة "هيلنجدون" على ما أعتقد؟

- نعم، وكان معظم النزلاء قد عادوا إلى حجراتهم.

- ماذا كان موضوع الحديث الذي دار بينك وبين السيدة "هيلنجدون"؟

- لا شيء محدد... ولكن ما سبب هذا السؤال ماذا قالت لكم؟

- لم تقل لنا شيئاً حتى الآن. إننا لم نسألها بعد.

- كان حديثنا متشعباً.. تحدثنا عن "موللي" وعن متاعب إدارة الفنادق وغير ذلك..

- ثم وصلت زوجتك وأخبرتكم بما حدث؟

- أجل.

- وكانت يداها ملطختين بالدماء؟

- بالتأكيد.. لقد أمسكت بالفتاة تحاول رفعها ولم تكن تعرف بعد ما حدث لها... بالتأكيد كان يجب أن تلتطخ يداها بالدم.. ولكن ماذا تقصد بذلك؟ إنك تهدف إلى شيء معين، أليس كذلك؟ فقال "دافنتري":

- أرجوك يا "تيم" أن تحافظ على هدوئك.. إننا ندرك مدى وقع الصدمة عليك، ولكننا يجب أن نستوضح جميع الحقائق. لقد فهمت أن حالة زوجتك الصحية لم تكن على ما يرام في الفترة الأخيرة...

- هراء.. إنها بخير.. لقد أثرت فيها وفاة العقيد "بالجرريف"، وهذا طبيعي.. إنها فتاة شديدة الإحساس. فقال "ويستون":

- إننا مضطرون إلى إلقاء بعض الأسئلة عليها متى سمحت حالتها بذلك .
- لن يكون ذلك الآن على كل حال ، فقد أعطاها الدكتور مسكنًا وطلب ألا يزعجها أحد ، ولن أسمح لأحد بأن يزعجها أو يقسو عليها . . هل هذا واضح ؟
- إننا لن نقسو على أحد . . كل ما نسعى إليه هو إلقاء الضوء على ما غمض من وقائع الحادث . . إننا لن نزعجها الآن ولكن لابد لنا من مقابلتها بمجرد أن يسمح لنا الطبيب . كان " ويستون " يتكلم بصوت هادئ رقيق ، فنظر إليه " تيم " وقد فغراه ولكنه لم يقل شيئاً .

جلست " إيفيلين هيلنجدون " في المقعد الذي قدمه لها المفتش " ويستون " وهي كاملة السيطرة على أعصابها كعادتها ، وأخذت تفكر بهدوء في الأسئلة التي أخذ يلقيها عليها المفتش قبل أن نجيب عنها وهي تنظر إليه بعينيها السوداوين اللتين يشع منهما بريق الذكاء ، ثم قالت :
- أجل ، كنت أتحدث مع السيد " كيندال " في الشرفة عندما وصلت زوجته إلى الدرج وأخبرتنا بالجريمة .
- ألم يكن زوجك موجوداً ؟
- كلا . . كان قد أوى إلى فراشه .
- هل كان لديك سبب معين للحديث مع السيد " كيندال " ؟ رفعت السيدة " هيلنجدون " حاجبيها الرفيعين معبرة عن الاستياء وقالت ببرود :
- يا له من سؤال غريب ! ومع ذلك فالجواب بالنفي . . . لم يكن هناك دافع خاص وراء حديثنا .
- هل ناقشنا حالة زوجته الصحية ؟ ومرة ثانية تباطأت " إيفيلين " في الرد ، ثم قالت :
- الواقع أنني لا أتذكر .
- هل أنت واثقة بذلك ؟
- هل أنا واثقة بأنني لا أتذكر ؟ يا لها من طريقة غريبة لصياغة السؤال . . إن الإنسان يتحدث في العديد من الموضوعات في أوقات مختلفة .

- لقد فهمت أن صحة السيدة "كيندال" لم تكن على ما يرام في الفترة الأخيرة.

- كانت تبدو في أحسن حال . ربما كانت تشعر ببعض الإجهاد، إذ لا شك في أن إدارة مكان كهذا تستتبع كثيراً من المتاعب، وهذه هي أول تجربة من نوعها بالنسبة إلى "موللي" .. بديهي أن تشعر بالارتباك من وقت إلى آخر.

- ارتباك .. أهذا هو الوصف الذي تقصدينه؟

- قد يكون تعبيراً غير عصري، ولكنه يؤدي نفس المعنى كالتعبيرات الحديثة التي يستخدمونها الآن في كل المناسبات: "التهاب فيروسي" في حالة اضطرابات الكبد؛ و"قلق نفسي" لما هو دون ذلك من متاعب الحياة اليومية. كانت ابتسامة "إيفيلين" وهي تقول ذلك قد جعلت "ويستون" يشعر ببعض الحرج .. لقد أدرك أن "إيفيلين هيلنجدون" امرأة ذكية، فنظر إلى "دافنتري" الذي ظل وجهه جامداً وهو يعجب لما قد يكون دائراً في ذهنه، وأخيراً التفت نحو "إيفيلين" وقال لها:

- شكراً لك يا سيدة "هيلنجدون".

- إننا لا نريد أن نضايقك يا سيدة "كيندال" ولكننا يجب أن نحصل على أقوالك فيما يختص بطريقة عثورك على الفتاة .. إن الدكتور "جراهام" ذكر لنا أن حالتك الآن تسمح لك بالتحدث إلينا. أجابت "موللي" وهي تبتسم بعصبية:

- أجل، إنني فعلاً في حالة طيبة الآن. إنها الصدمة التي نتجت من الحادث. كان ذلك فظيلاً.

- نعم، إنه حادث فظيع .. لقد علمت أنك خرجت للنزهة بعد العشاء؟

- أجل... إنني أفعل ذلك عادة .. لاحظ "دافنتري" أن "موللي" تتجنب مواجهة نظراته وأن أصابع يديها تتلوى وتلتف على بعضها البعض في حين سألها "ويستون":

- هل تذكرين في أية ساعة خرجت لتلك النزهة؟

- الواقع أنني لا أذكرها تماماً .. إننا في العادة لا نتحرك هنا في ساعات موقوتة.

- هل كانت الفرقة الموسيقية لا تزال تعزف؟

- أجل .. على الأقل أظن ذلك ... الواقع أنني لا أستطيع أن أتذكر.
- وفي أي اتجاه سرت؟
- على طول طريق الشاطئ.
- إلى اليمين أم إلى اليسار؟
- أوه .. أنا .. الواقع أنني لم لاحظ ذلك.
- ولماذا لم تلاحظي يا سيدة "كيندال"؟ تقطب جبين "موللي" وقالت:
- لا بد أنني كنت أفكر في أشياء أخرى.
- هل كنت تفكرين في شيء معين؟
- كلا ... لا شيء معين .. مجرد أعمال الفندق .. المهام التي يجب تاديتها أو الاهتمام بها .. ومرة ثانية عادت "موللي" لتحريك أصابعها بحركات عصبية، ثم أردفت:
- ... ثم .. لاحظت شيئاً أبيض .. في وسط الشجيرات، وثار فضولي لمعرفة كنهه، فالتجهمت نحوه وجذبتة .. أخذت "موللي" تزدرد لعبها بصعوبة ظاهرة، ثم قالت:
- كانت هي .. "فيكتوريا" .. مكومة هناك .. وحاولت رفع رأسها .. تلوثت يدي بالدم. وهنا توقفت "موللي"، وأخذت تنظر إلى الرجلين وكأنها تذكرت شيئاً كان غائباً عنها قالت:
- دماء على يدي ..
- أجل .. أجل .. كانت تجربة فظيعة يا سيدة "كيندال"، ولا داعي الآن للخوض في هذا الصدد .. كم من الوقت قضيته في التنزه قبل أن تعثري عليها؟
- لا أعرف .. ليست لدي أية فكرة عن ذلك.
- نحو ساعة؟ نصف ساعة؟ أو أكثر من ساعة؟
- لا أعرف .. فتدخل "دافتري" وسألها برفق:
- هل أخذت معك سكيناً عندما خرجت .. للنزهة؟ بدت الدهشة واضحة على وجه "موللي" وقالت:
- سكيناً؟ ولماذا آخذ معي سكيناً؟
- إن ما يدفعني إلى هذا السؤال هو أن أحد عمال المطبخ ذكر لنا أنه كانت في

يدك سكين عندما خرجت من المطبخ إلى الحديقة. قطبت "موللي" حاجبها وقالت:

- ولكنني لم أخرج من المطبخ.. أوه.. أنت تقصد قبل ذلك.. قبل العشاء.. لا.. لا أظن ذلك.

- ربما كنت تعيدين ترتيب أدوات المائدة..؟
- إنني أفعل ذلك عادة... إنهم كثيراً ما يضعون الأشياء في غير موضعها، وقد تنقص سكين أو قد تزيد، أو قد لا يضعون العدد الكافي من الشوك.. أخطاء من هذا القبيل..

- وهل حدث شيء من ذلك في ذلك المساء بالذات؟
- ربما... شيء من هذا القبيل.. إنه يحدث بطريقة آلية، والإنسان في مثل هذه الحالة لا يفكر، أو يتذكر.

- معنى ذلك أنه من المحتمل أن تكوني قد خرجت من المطبخ في ذلك المساء وأنت تحملين سكيناً في يدك؟

- لا أظن أن ذلك قد حدث... بل أنا واثقة بأنه لم يحدث.. إن "تيم" كان هناك ولا بد من أنه يعرف. سله. فسألها "ويستون":

- هل كنت تحبين تلك الفتاة.. "فيكتوريا"؟ هل كان عملها مرضياً؟

- نعم... كانت فتاة لطيفة جداً..

- ألم يحدث بينكما شجار؟

- شجار؟ بالتأكيد لا...

- ألم تهددك مطلقاً.. بأية طريقة؟

- تهددني؟ ماذا تعني؟

- لا يهم.. أليست لديك أية فكرة عما يمكن أن يكون قد قتلها؟ فقالت "موللي"

بإصرار:

- كلا، مع الأسف.

- حسناً، شكراً لك يا سيدة "كيندال"... أأمل ألا نكون قد آتعبناك..

- أهذا كل ما أردتم معرفته؟

- أجل، في الوقت الحاضر. فنهض "دافنتري" وفتح لها باب الحجرة وانتظر حتى

خرجت، ثم أقفل الباب وعاد إلى مقعده، وهو يكرر العبارة التي قالتها:
- إن "تيم" كان هناك .. ولابد من أنه يعرف. ثم استطرد:
- ولكن "تيم" يقول إنه واثق بأنها لم تكن تحمل سكيناً .. فقال له "ويستون"
بلهجة جادة:

- أعتقد أن أي زوج لابد أن يشعر بأن ذلك هو ما يجب أن يقوله.
- إن سكين المائدة لا تعتبر سلاحاً ملائماً لارتكاب جريمة قتل. والواقع
يا "ويستون" أنني لا أستطيع أن أصدق أن هذه الفتاة التي كنا نتحدث إليها منذ
لحظات يمكن أن تكون سفاكة دماء.

- ليس هناك داع لتصدق ذلك في الوقت الحاضر، هناك احتمال بأن تكون
السيدة "كيندال" قد خرجت إلى الحديقة قبل العشاء وهي تمسك في يدها سكيناً
وجدتها زائدة فوق إحدى الموائد .. بل ويحتمل أنها لم تدرك أنها كانت تحمل
سكيناً، أو أنها وضعتها في مكان ما، أو أنها سقطت منها فعر عليها شخص آخر
واستخدمها في ارتكاب الجريمة .. إنني أشاركك الظن أنها ليست قاتلة ..

- ومع ذلك فإني أكاد أكون واثقاً بأنها لم تذكر لنا كل ما تعرفه ... إن الغموض
الذي يحيط بتحديددها للوقت يبدو غير عادي .. أين كانت، وماذا كانت تفعل في
ذلك المكان؟ وحتى الآن يبدو أن أحداً لم يشاهدها في قاعة الطعام ذلك المساء ..
- كان الزوج موجوداً أما الزوجة فلا ...

- هل تظن أنها خرجت لتقابل شخصاً ما .. "فيكتوريا جونسون" مثلاً؟
- لا أستبعد ذلك، أو أنها قابلت الشخص الذي ذهب لمقابلة "فيكتوريا".
- هل تفكر في "جريجوري دايسون"؟

- إننا نعلم أنه كان يتحدث مع "فيكتوريا" قبيل الحادث، فمن المحتمل أن يكون
قد اتفق معها على أن يتقابلا مرة ثانية فيما بعد .. وكما تذكر فإن حركة النزلاء في
الشرقة كانت مستمرة، ما بين الرقص والشراب والتوجه إلى البار أو العودة منه ...
فقال "دافنتري" بضيق:

- لا يوجد من يستطيع أن يقدم لنا دليل نفي محكماً!

الفصل السادس عشر

لو أن أحداً تأمل تلك السيدة العجوز الرقيقة وهي تقف في شرفة كبينتها غارقة في بحار من التفكير العميق لظن أنه لا يمكن أن يكون هناك ما يشغل بالها أكثر من مجرد التفكير في تخطيط برنامج لنزهتها في ذلك اليوم، ومع ذلك فإن تلك العجوز الرقيقة كانت تفكر في أشياء بعيدة كل البعد عن ذلك.. كان تفكيرها مركزاً في محاربة الشر.. والواقع أن الأنسة "ماربل" كانت تتمتع بمحنة نفسها: "لا بد من عمل شيء". فضلاً على ذلك فقد كانت مقتنعة تمام الاقتناع بأن الوقت ضيق وأن السرعة واجبة. ولكن من ذا تستطيع أن تقنعه بهذه الحقيقة؟ لو أن الوقت كان متسعاً لكان باستطاعتها أن تكشف عن الحقيقة بنفسها.. لقد استطاعت فعلاً أن تكشف عن كثير من الغموض الذي يكتنف الحوادث الجارية في الجزيرة، ولكن ما كشفته لم يكن كافياً، لم يكن أمامها متسع من الوقت. وهنا زفرت بحرارة وهي تشعر بأنها وهي في هذه الروضة لا تجد أحداً من حلفائها الذين تركتهم في "إنجلترا" .. أين السير "هنري كليذرنج" الذي كان دائماً يصغي إليها بصبر وانتباه، وأين "ديرمونت" الذي كانت تعتبره ابناً لها والذي كان على الرغم من مركزه الرفيع في "اسكتلانديارد" يعتقد أن أي رأي تبديه الأنسة "ماربل" لا بد أن يكون وراءه شيء من الحقيقة أما هذا المفتش ذو الصوت الرقيق الذي يعمل في هذه البقعة النائية، فهل هو مستعد للاهتمام بما تبديه امرأة عجوز مثلها من شدة اهتمام؟ والدكتور "جراهام"؟ ومع ذلك فالدكتور "جراهام" ليس هو الشخص الذي تحتاج إليه الآن.. إنه بالغ الرقة، كما أنه بادي التردد، فليس هو بالرجل الذي يستطيع أن يتخذ قرارات أو إجراءات سريعة. كانت الأنسة "ماربل" مستغرقة في أفكارها لدرجة أنها لم تلتفت إلى الصوت الذي سمعته آتياً من خلفها، وإن كان عقلها الباطن قد فسره بأن شخصاً ما ينادي كلبه. ولكن عندما تكرر الصوت عالياً "هيه!" التفتت الأنسة "ماربل" نحو مصدره وإذا بالسيد "رافيل" يكرر عبارته للمرة الثالثة ويضيف إليها بفروغ صبر قائلاً:

— أنت... هناك... لم تدرك الأنسة "ماربل" أول وهلة أن عبارة مثل "أنت... هناك" يمكن أن تكون موجهة إليها؛ لأنها عبارة لم يسبق لأحد أن استعمالها

لمناداتها، وهي قطعاً طريقة أبعد ما تكون عن الذوق السليم للتخاطب . غير أن الأنسة "ماربل" لم تشعر بالضيق أو الغضب، فقليلون هم الذين كانوا يغضبون لتصرفات السيد "رافيل"، وهي التصرفات التي كان يغلب عليها حب التسلط والرغبة في الاستبداد.. كان السيد "رافيل" قانوناً قائماً بذاته، وكان الجميع يتقبلونه على هذا الأساس؛ لذلك فإن الأنسة "ماربل" نظرت إليه عبر المسافة القصيرة التي كانت تفصل بين كبينتيهما، حيث كان يجلس في شرفة كبينته وهو يشير إليها، فسألته :

– هل كنت تناديني؟

– بالتأكيد كنت أناديك.. من نظنين كنت أنادي... قطة؟ تعالي هنا..
التقطت الأنسة "ماربل" كيس غزلها وعبرت المسافة التي أوصلتها إلى كبينة السيد "رافيل" الذي أردف قائلاً:

– إنني لا أستطيع أن أذهب إليك ما لم يساعدي أحد؛ لذلك كان عليك أن تحضري إليّ.

– أوه.. إنني أدرك ذلك تماماً. أشار السيد "رافيل" إلى مقعد مجاور وقال :

– اجلسي.. إنني أريد أن أتحدث إليك... إن هناك شيئاً غريباً يجري فوق هذه الجزيرة.. جلست الأنسة "ماربل" وبحكم العادة أخرجت غزلها من الكيس وهي تقول :

– أجل، فعلاً.

– كفي عن هذا الغزل... إنني أكره النساء اللاتي يغزلن، فذلك مما يثير أعصابي. أعادت الأنسة "ماربل" خيوط غزلها إلى الكيس، ولو أنها لم تفعل ذلك بدافع من الرضوخ أو الاستسلام، بل فعلته بطريقة من يتجاوز عن سوء سلوك شخص مريض. واستطرد السيد "رافيل" :

– إن ثروة واسعة النطاق تجري هنا وأراهن على أنك في الصف الأول بين محرميها، أنت وذلك القسيس وشقيقته.

– أظن من الطبيعي جداً أن تدور الثروة في مثل الظروف التي نحن فيها.

– تلك الفتاة الوطنية التي قتلت، ووجدوها بين الشجيرات. قد يكون الأمر عادياً، إذ من المحتمل أن تكون الغيرة هي التي دفعت ذلك الرجل الذي كانت

تعايشه إلى قتلها. أو قد يكون قد اتخذ له ضجيرة أخرى فتملكتها الغيرة وتشاحننا.. إنها مشاكل الجنس في المنطقة الاستوائية.. هيه.. ما هو رأيك؟ هزت الآنسة "ماربل" رأسها وقالت:

— لا أرى هذا الرأي.

— والسلطات أيضاً لا ترى ذلك.

— إنهم قد يفضلون إليك باكثر مما يفضلون به إليّ.

— ومع ذلك فإنني أراهن على أنك تعرفين عن الموضوع أكثر مما أعرف.. إنك كنت تصغين إلى تلك الثرثرة..

— بالتأكيد كنت أصغي إليها.

— أليس لديك ما تفعلينه أفضل من ذلك؟

— إن الإصغاء إلى الثرثرة في مثل هذه الأحوال لمن أنجع الوسائل لجمع المعلومات. أخذ السيد "رافيل" يدقق فيها النظر متأملاً، ثم قال:

— أتعرفين.. لقد أخطأت في الحكم عليك، وأنا عادة لا أخطئ في الحكم على الناس... إنك تخفين أكثر مما يبدو عليك.. خذي مثلاً تلك الإشاعات حول العقيد "بالجريف" والقصص التي كان يرويها. إنك تظنين أنه قتل، أليس كذلك...؟

— إنني أخشى أن يكون الأمر كذلك..

— حسناً.. إنه لكذلك.. أخذت الآنسة "ماربل" شهيقاً عميقاً، ثم قالت:

— وهل هذا مؤكد؟

— أجل.. إنه أصبح مؤكداً.. لقد علمت ذلك من "دافنتري"، وأنا لا أذيع بذلك سراً إذ إن نتيجة التشريح سوف تعلن.. إنك قلت شيئاً ما لـ "جراهام" فذهب إلى "دافنتري"، و"دافنتري" ذهب إلى رئيس المدينة الذي أبلغ الأمر إلى إدارة المباحث، وقد اتفقت آراؤهم على أن الأمر محوط بالشكوك فقرروا استخراج جثة "العقيد" وتشريحها.

— وماذا وجدوا؟

— وجدوا كمية من مادة سامة لا يستطيع سوى الطبيب أن ينطق اسمها الصحيح، وبقدر ما أذكر فهي "ديفلور هيكساجونال كاربنزيل". لست واثقاً بأن

هذا هو الاسم الصحيح ولكنه يقاربه في النطق. واعتقد أن طبيب الشرطة قد قصد بهذا التعقيد ألا يعرف أحد حقيقة السم الذي تناوله "العقيد"، وأنا لا أستبعد أن يكون اسمه الدارج شيئاً ما مثل "فيرونال" أو شراب "ايستون" أو شيئاً من هذا القبيل. وعلى كل حال فإن الكمية التي وجدت بالجنة كانت قاتلة، كما أن أعراض التسمم بهذه المادة لا تختلف كثيراً عن أعراض ارتفاع ضغط الدم في حالة الإفراط في تعاطي الشراب. والواقع أن كل شيء كان يبدو طبيعياً؛ ولذا فإن أحداً لم يساوره أي شك. وكل ما أمكنهم لم يتعد قولهم: "مسكين العقيد بالجريف"، ثم أسرعوا بدفنه، أما الآن فهم يتساءلون عما إذا كان "المسكين" يشكو حقاً من ارتفاع ضغط الدم. وبالمناسبة، ألم يتحدث إليك "العقيد" في هذا الشأن؟

— كلا... —

— بالتأكيد، ومع ذلك فإن الجميع كانوا يعتقدون ذلك...

— الظاهر أنه أخبر شخصاً ما بأنه يشكو من تلك العلة.

— ذلك يذكرني بمن يقولون إنهم رأوا أشباحاً.. إنك لا تستطيعين أبداً مقابلة الشخص الذي رأى الشبح بنفسه، فهو دائماً إما ابن العم أو الصديق أو صديق الصديق. ولكن دعينا من ذلك مؤقتاً. إن الظن أنه كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم سببه وجود زجاجة في حجرته بها أقراص خاصة بعلاج هذا المرض، والآن نصل إلى لب الموضوع. إن ما توصلت إليه بتفكيري هو أن تلك الفتاة القتيلة كانت تثرثر بأن شخصاً ما قد وضع تلك الزجاجة في حجرة "العقيد" وأن الزجاجة تخص هذا المدعو "جريج".

— إن السيد "دايسون" يشكو فعلاً من ارتفاع ضغط الدم.. إن زوجته تقول ذلك..

— ولذا فقد وضعت الزجاجة في حجرة "العقيد" للإيهام بأنه كان يشكو من هذا المرض، وبذلك تبدو وفاته طبيعية.

— تماماً.. وقد تم ترويج الإشاعة بمهارة فائقة بأنه كثيراً ما كان يتحدث عن ارتفاع ضغط دمه.. ألا تعلم أنه من السهل جداً إذاعة قصة مختلقة؟ لقد مر بي الكثير من الأمثلة على ذلك في حياتي الطويلة.

- لا أستغرب ذلك .

- إن الامر لا يتطلب أكثر من همسة هنا وهمسة هناك ، والمتحدث عادة لا يقول إنه شاهد الوقائع بنفسه بل إنه سمع بها من السيدة "سميث" وإن السيدة "سميث" سمعت بها من العقيد "براون" وهكذا يستمر انتقال القصة من شخص إلى آخر حتى يصبح من الصعب جداً التوصل إلى مصدرها الأصلي .
- إن بعضهم كان ماهراً جداً .

- أجل .. أعتقد أن بعضهم كان ماهراً جداً .
- لا بد أن الفتاة شاهدت شيئاً أو عرفت شيئاً ، ثم حاولت استغلال هذا الشيء في الابتزاز . فقالت الآنسة "ماربل" :

- ومن الجائز أنها لم تفكر في الامر على أنه ابتزاز .. كثيراً ما يحدث في مثل هذه الفنادق الكبيرة أن الخادمة أو الخادم يعرف أشياء يعلم أن بعض الناس يهتمهم ألا يعرفها أحد ، ولذا فإن البعض يجزل لها أو له العطاء أو يقدم هدية أو هبة مالية ، ومن المحتمل أن الفتاة لم تكن في بداية الامر تدرك أهمية ما كانت تعرفه . فقال السيد "رافيل" وقد اكتسب صوته خشونة :

- مع ذلك فإن ما نالته كان طعنة في ظهرها .
- هذا صحيح ، ومن الواضح أن شخصاً ما كان يمنعها من الكلام .
- حسناً ... دعينا نسمع رأيك في الموضوع . أخذت الآنسة "ماربل" تنظر إليه وهي تفكر قبل أن تجيب ثم قالت :

- وما الذي يجعلك تظن اني أعرف أكثر مما تعرف يا سيد "رافيل" ؟
- قد لا تعرفين ، ولكن يهمني أن أعرف رأيك فيما تعرفين ؟
- ولكن ما السبب ؟

- ليس لدي الكثير مما أشغل به وقتي هنا ، سوى كسب المال .. بدت الدهشة على وجه الآنسة "ماربل" ، وقالت :
- تكسب مالاً؟ هنا ...

- أجل .. أستطيع أن أبعث ببعض البرقيات كل يوم ، وهي طريقة التسلية الوحيدة التي أمامي . فعدت الآنسة "ماربل" تساله وهي لا تكاد تصدق أذنيها :
- هل تشترك في عطاءات أو لعلك تضارب في البورصة ؟

- شيء من هذا القبيل .. إنني أراها وسيلة طريفة للمنافسة وهي تولد الشعور بالانتصار على المنافسين، وإن كان عيبها الوحيد أنها لا تشغل جزءاً كافياً من وقتي، وهذا هو السبب الذي جعلني أهتم بالأحداث الأخيرة .. إن "بالجريرف" كان يقضي معظم وقته في التحدث إليك، ولم يكن هناك من يهتم به من بين النزلاء سواك والآن أخبريني .. ماذا قال لك؟

- لقد قص عليّ عدداً غير قليل من القصص.

- أعرف ذلك، بل وأعرف أن معظمها كان يبعث على الملل، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إنك لتضطربين إلى الإصغاء إلى القصة نفسها أكثر من مرة، وإذا تصادف أن كان مجلسك قريباً منه وهو يقصها على غيرك لسمعتها مرات ومرات.

- الحق معك، وأخشى أن هذا هو ما يحدث عندما يتقدم الرجال في السن. نظر إليها السيد "رافيل" بحدة وقال:

- ولكنني لا أحكي قصصاً .. على كل حال استمري، كل ما حدث في الجزيرة مؤخراً كانت بدايته إحدى قصص "بالجريرف"، اليس كذلك؟

- لقد قال إنه يعرف قاتلاً، وهي كما ترى عبارة لا تعني شيئاً. توقفت الآنسة "ماريل" لحظة، ثم أردفت بصوت رقيق:

- ذلك لأنني أعتقد أن ذلك يمكن أن يحدث لمعظم الناس.
- أنا لا أفهمك.

- لا أقصد بذلك حرفية العبارة، ولكن لا شك في أنك لو عدت بذاكرتك إلى مختلف الأحداث التي مرت بك في حياتك لوجدت كثيراً من المناسبات التي فيها ببعض التلميحات العارضة، كان يقول مثلاً: "أوه، إنني أعرف فلاناً هذا جيداً .. لقد توفي فجأة، والجميع يقولون إن زوجته هي التي أودت بحياته، وإن كنت أعتقد أن ذلك ليس إلا من قبيل المبالغات" .. والآن يا سيد "رافيل" ألم يحدث أن سمعت شيئاً من هذا القبيل؟

- لا أستطيع أن أنكر ذلك، ولكنه لم يكن في وقت من الاوقات ذا صبغة جدية.

- تماماً، ولكن العقيد "بالجريرف" كان رجلاً جاداً، وأعتقد أنه كان يتلذذ

برواية القصة ولاسيما أنه كان يكسبها طلاوة بالإشارة إلى الصورة التي كان يحملها معه وهي صورة القاتل بطل قصته . لقد كان على وشك أن يطلعني عليها ولكنه لم يتمكن .

— ولماذا؟

— لأنه رأى شيئاً، واعتقد أنه رأى شخصاً، فقد احتقن وجهه فجأة وأسرع بإعادة الصورة إلى محافظته ثم أخذ يتحدث في موضوع آخر .

— وهل تعرفين ذلك الشيء أو الشخص الذي رآه؟

— لقد فكرت في ذلك كثيراً . لقد كنت أجلس أمام كيبنتي وكان هو يجلس في مواجهتي، ولا بد أن ما رآه كان خلف كتفي اليمنى .

— إن هذا يشير إلى الممر الذي كان يمتد خلفك إلى اليمين، وهو الممر الذي يوصل إلى الخليج الصغير وموقف السيارات .

— تماماً ..

— ومن كان قادماً من هذا الممر؟

— السيد "دايسون" وزوجته والعقيد "هيلنجدون" وزوجته .

— هؤلاء فقط؟

— لا أعرف .. وفي الوقت نفسه فإن كيبنتك تقع في نفس الاتجاه .

— أوه .. إذن فيجب أن نضيف إلى هؤلاء الأربعة كلا من "استر والترز" و"جاكسون" .. اليس كذلك؟ إن كلا منهما كان من الممكن أن يخرج من الكبينة ويعود إليها ثانية دون أن تريبه .

— هذا ممكن، فإنني لم ألتفت خلفي فوراً .

— لدينا إذن الزوجان "دايسون" والزوجان "هيلنجدون" و"استر" و"جاكسون"، واحد هؤلاء قاتل . وبالتأكيد يجب أن تضميني إلى القائمة . ابتسمت الأنسة "ماربل" ولكنها لم تعلق على ملاحظة السيد "رافيل" الأخيرة في حين تابع هو قائلاً:

— وقد تحدث "بالجرريف" عن القاتل على أنه رجل، أليس كذلك؟

— أجل .

— عظيم .. إننا نتقدم، فهذا يجعلنا نستبعد "إيفيلين هيلنجدون" و"لاكي"

و"استر والترز". فالقاتل الذي تبحثين عنه، يفرض أن كل هذه السخافات صحيحة، هو إما "دايسون" أو "هيلنجدون" أو هذا الوصيف اللثيم "جاكسون".

- أو أنت.. ولكن السيد "رافيل" تجاهل هذه الملاحظة، وقال:

- لا تحاولي إثارتني.. سأخبرك الآن بما يحيرني وهو ما يبدو أنك لم تفكري فيه.. إذا كان القاتل هو أحد هؤلاء الثلاثة فلماذا بحق الشيطان لم يتعرف إليه "بالجريرف" من قبل؟ لقد قضى الجميع أسبوعين في الفندق يحملق كل منهم إلى وجه الآخر طول الوقت.. إن هذا غير معقول..
- بل أراه معقولاً..

- أوضحي..

- بناء على قصة العقيد "بالجريرف" فإنه لم يشاهد القاتل شخصياً في أي وقت من الأوقات. كانت القصة قد رواها له طبيب، وهذا الطبيب هو الذي أعطاه الصورة. فمن الجائز أن يكون "العقيد" قد اكتفى بإلقاء نظرة سطحية على الصورة عندما أخذها من الطبيب، ثم وضعها في محفظته وظل محتفظاً بها على سبيل التذكار، ومن المحتمل أنه كان يخرجها في بعض المناسبات عندما يأخذ في رواية القصة، ومع ذلك فهناك شيء آخر يجب أن نلاحظه يا سيد "رافيل".. وهو أننا لا نعرف متى حدث كل ذلك، فهو لم يشر إلى هذه الناحية عندما كان يقص عليّ القصة؛ ولذا فمن الجائز أنها حدثت منذ سنة أو سنتين وربما خمسة أو عشرة أعوام وربما أكثر. إن بعض قصصه الخاصة بمغامراته في مجاهل "إفريقيا" ترجع إلى أكثر من عشرين سنة.

- أحقاً..؟

- ولذا فإنني لا أعتقد لحظة واحدة أن العقيد "بالجريرف" كان باستطاعته أن يتعرف الوجه الذي في الصورة إذا تصادف وقابل صاحبه مصادفة. إن ما أظنه قد حدث، بل إنني واثقة بأن ما حدث هو أنه عندما كان يروي لي القصة أخرج محفظته، ثم تناول الصورة وأخذ يتأملها قبل أن يعطيها لي، ثم رفع رأسه وإذا به يرى أمامه نفس الوجه، أو وجهاً قريب الشبه منه، قادماً نحوه من على بعد ثلاثة أو أربعة أمتار. كان الاهتمام بادياً على وجه السيد "رافيل" وهو يصغي إليها بانتباه، وقال:

- أجل... إن ذلك محتمل..

- وقد أذهلته المفاجأة فأسرع يعيد الصورة إلى المحفظة وأخذ يتحدث بصوت عالٍ في موضوعات أخرى.

- ولكنه لم يكن يستطيع أن يتأكد..

- كلا... لم يكن باستطاعته الجزم بأن الوجه الذي رآه والوجه الذي في الصورة كانا لرجل واحد. ولكنه كان يستطيع بعد ذلك أن يدرس الصورة جيداً ويدقق النظر إلى الرجل نفسه ويحاول أن يستقر على رأي فيما إذا كان الأمر مجرد تشابه في الملامح أو أن الرجل الذي رآه هو نفسه صاحب الصورة. أطرق السيد "رافيل" وهو يفكر، ثم هز رأسه وقال:

- لا يزال هناك شيء غير واضح لي.. إن الدافع للقتل لا يتلاءم مطلقاً وهذه الاحتمالات. أخبريني، هل كان حديثه معك بصوت عالٍ؟

- نعم. إن العقيد "بالجريف" كان يتحدث دائماً بصوت عالٍ.

- هذا صحيح. أجل.. ولذا فإن الشخص الذي كان يقترب منكما لا بد أن يكون قد سمع ما كان يقوله.

- بل إن صوته كان كفيلاً بأن يسمع من على مسافة ليست بالقريبة. هز السيد "رافيل" رأسه مرة ثانية، وقال:

- إن الأمر لعجيب، بل هو في غاية العجب.. إن أي إنسان كان لا بد أن يسخر من مثل تلك القصة. وكيف لا، فهذا رجل عجوز مخرف يروي قصة عن قصة أخرى سمعها ويحاول أن يعززها بصورة فوتوغرافية، والقصة نفسها تدور حول جريمة قتل حدثت منذ سنوات، أو على الأقل منذ سنة أو سنتين. فكيف يمكن لمثل هذه القصة أن تسبب قلقاً للشخص القاتل؟ ليس لدى "العقيد" أي برهان.. كل ما هناك أقوال متواترة لا دليل على صحتها، بل يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فإن هذا الشخص الذي نسميه القاتل كان باستطاعته أن يقول مثلاً: "نعم. إنني أجد شيئاً كبيراً بيني وبين صاحب هذه الصورة.. ها ها..". إن أحداً في اعتقادي لم يكن ليحمل استنتاجات العقيد "بالجريف" على محمل الجد، وأنا لا أستطيع أن أصدق ذلك.. كلا.. إن هذا الشخص، لو أنه كان فعلاً صاحب الصورة، لما كان لديه ما يخشاه مطلقاً، بل إنه كان جديراً بأن يستخف بمثل هذا

الاتهام؛ ولذا فلماذا بحق السماء يتهور ويبادر بقتل "العقيد"؟ إن ذلك لم يكن ضرورياً قط.. يجب أن تعترفي بذلك.

- إنني أوافقك تماماً، وهذا هو ما يحيرني لدرجة أنني لم أستطع النوم الليلة الماضية. نظرت إليها السيد "رافيل" بحدة، ثم قال:

- أخبريني إذن بما يدور في خلدك. ترددت الآنسة "ماريل" قليلاً، ثم قالت:

- إنني أخشى أن أكون مخطئة. فأجابها السيد "رافيل" بطريقته المعتادة التي لا يهتم فيها كثيراً بمراعاة الجمالة:

- هذا محتمل، وعلى كل حال دعينا نستمع إلى ما كنت تفكرين فيه في الساعات الأولى من هذا الصباح.

- نعم. ولكن هذا الموضوع يعتبر مفروغاً منه وهو لا يهمنا الآن. إن المهم هو ما سوف يحدث، وأنا واثقة - إذا كانت استنتاجاتي صحيحة - بأن ذلك لا بد أن يكون وشيكاً. لقد اطمأن الرجل إلى أن "العقيد" لم يعد باستطاعته الكلام وأن الصورة التي يخشاها أعدمته، وبذلك لم يعد هناك ما يحول دون تنفيذ جريمته كما خطط لها. أطلق السيد "رافيل" من بين شفثيه صغيراً خافتاً وقال:

- لقد أبدعت في رسم الصورة، اليس كذلك؟ حنت الآنسة "ماريل" رأسها وهي لا تزال تنظر إليه بتلك النظرة المتوسلة، ولكنها قالت بصوت حازم، بل بلهجة آمرة:

- ولذا يجب علينا أن نمنع وقوع هذه الجريمة، يجب أن نحول دون وقوعها يا سيد "رافيل". فصاح السيد "رافيل" متعجباً:

- أنا؟ ولماذا أنا بالذات؟

- لأنك واسع الثراء ولك مركز الاجتماعي المهم. إن الناس سيهتمون بما تقول، ولكنهم لن يصغوا إلى كلمة واحدة مما أقول، ولن يترددوا في هز رؤوسهم وهم يقولون إنني لست سوى امرأة عجوز واسعة الخيال.

- لن أستغرب ذلك منهم. والواقع أنني لا أعتقد أن أحداً منهم يظن أن لك من الذكاء أكثر ما يبدو عليك من خلال تصرفاتك وثرثرتك المعتادة، ولكنني واثق بانك تتميزين بتفكير منطقي سليم وهو أمر نادر بين النساء. توقف السيد "رافيل" لحظة حاول فيها أن يعتدل في مقعده، ثم قال:

- أين هما "استر" و "جاكسون" بحق الشيطان .. إنني أحتاج إلى من يساعدني على تعديل جلستي .. كلا... لا تحاولي فإنك لن تستطيعي... إنك لا تملكين القوة الكافية... إنني لا أستطيع أن أفهم معنى تركهما لي بهذا الشكل.
- سأذهب للبحث عنهما.

- كلا، لا تذهبي .. ابقِي هنا .. لننته أولاً من هذا الحديث .. والآن أيهم هو رجلك؟ أهو "جريج" الصاخب أو "إدوارد هيلنجدون" الهادئ أم هو وصيفي "جاكسون"؟ لا بد أن يكون واحداً من هؤلاء الثلاثة، أليس كذلك؟

الفصل السابع عشر

أجابت الآنسة "ماريل" :

- لا أدري.

- ماذا تعنين بذلك؟ عم تتحدثين إذن طيلة العشرين دقيقة الماضية؟
- خطر ببالي أنني قد أكون مخطئة. حملق إليها السيد "رافيل" وقال
باشمئزاز :

- كنت تشرثرين كعادتك ! ومع ذلك فكان يبدو من لهجتك أنك واثقة بما تقولين.

- أوه .. إنني واثقة - فيما يختص بالجريمة - ولكن القاتل هو ما لست واثقة به، ألا ترى أن العقيد "بالجريف" كان يحمل في جعبته أكثر من قصة جريمة قتل واحدة... لقد أخبرتني أنت نفسك بأنه روى لك قصة من طراز قصص "لو كرشيا بورجيا".

- أجل، لقد حدث ذلك فعلاً، ولكنها كانت قصة مختلفة تماماً.
- أعرف ذلك، وفي الوقت نفسه أخبرتني السيدة "والترز" بأن القصة التي رواها لها "العقيد" كانت تتعلق بجريمة قتل بواسطة الغاز.

- لكن القصة التي رواها لك... غير أن الآنسة "ماريل" قاطعتة وهي لا تدرك أن مثل هذه المقاطعة لم تكن من الأمور التي اعتادها السيد "رافيل"، وأردفت بشوق وحماس :

- ألا ترى؟ إنه من الصعب جداً أن نكون واثقين بشيء. إن مما يؤسف له أننا عادة لا نجيد الإصغاء، ويمكنك أن تسأل في ذلك السيدة "والترز". إن نفس الشيء حدث معها.. إننا نبدأ بالإصغاء لكن سرعان ما يتجه تفكيرنا إلى شيء آخر، وما إن نعود إلى الإصغاء ثانية حتى نجد أن جزءاً من القصة قد فاتنا. إن ما يحيرني هو احتمال وجود ثغرة من هذا القبيل، ثغرة ولو ضئيلة، بين اللحظة التي كان فيها العقيد "بالجريف" يحدثني عن القاتل واللحظة التي كان يخرج فيها محفظته من جيبه وهو يقول لي: "والآن هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل؟".

- ولكنك ظننت أن الصورة كانت للرجل الذي كان يتحدث عنه؟
- لقد ظننت ذلك، نعم... لم يخطر ببالي مطلقاً أنها قد لا تكون كذلك. أما الآن.. فكيف لي أن أكون متأكدة؟ ظل السيد "رافيسيل" ينظر إليها مفكراً، ثم قال:

- إن عيبك هو أنك شديدة الأمانة مع نفسك، وهذا في رأيي خطأ فاحش... يجدر بك أن تحددي رأيك ولا تتماذي في هذا الغباء، ولو أنني لا أجد فيما قلته لي شيئاً يدل على الغباء. إنني أعتقد أن تلك الثثرة التي كنت تتبادلينها مع شقيقة القس وغيرها من النزلاء قد أوحى إليك بشيء ما جعلك تترددين.
- قد تكون على صواب.

- حسناً. دعينا من ذلك مؤقتاً، ولنناقش انطباعاتك الأولى. إنني أعتقد أنه في تسعين في المائة من الحالات تكون الانطباعات الأولى هي الصحيحة... إننا نستطيع الآن أن نحصر شبهتنا في ثلاثة أشخاص، فدعينا إذن نتدارسهم معاً. هل يتجه اشتباهك إلى أحدهم بدرجة أكبر من غيره؟

- الواقع لا.. إن الاحتمال أن يكون أحد هؤلاء الثلاثة مجرمًا يبدو لي بعيداً.
- ومع ذلك، فلنناقش "جريرج" أولاً. إنني لا أطيق هذا الرجل ولكن ذلك لا يجعل منه قاتلاً، غير أن هناك قرينة أو اثنتين ضده: لقد اتضح أن أقراص "السيرينايت" تخصه، وذلك مما يتيح له فرصة سهلة لاستخدامها. فقالت الأنسة "ماريل" معترضة:

- ولكن ذلك يجعل المحاولة شديدة الوضوح، أليس كذلك؟
- لا أستطيع أن أقطع برأي في ذلك، ولكن المهم هو أنه وجد نفسه مضطراً إلى

التصرف وبسرعة . كانت الأقراص في متناول يده ولم يكن أمامه من الوقت مايسمح له بالبحث عن أقراص أخرى تخص شخصاً غيره . لنفترض إذن أنه "جريج" . أليدك مانع؟ فإذا كان هدفه هو التخلص من زوجته العزيزة "لاكي" - وأنا لا ألومه على ذلك، بل إنني أتعاطف معه - فما هو الدافع؟ إن الثابت أن "جريج" ثري، فقد ورث ثروة طائلة من زوجته الأولى . كان ذلك مما يهيئ لنا دافعاً، ولكن ذلك الحادث مر وانقضى ولم تثر حوله أية شبهات، أما "لاكي"، ولو أنها تمت بصلة قرابة لزوجته الأولى، إلا أنها فقيرة، وإلى هنا يتوقف الدافع، اللهم إلا إذا كان يريد التخلص منها ليتزوج بواحدة أخرى، فهل سمعت شيئاً قد يشير إلى احتمال ذلك؟ هزت الآنسة "ماربل" رأسها وقالت :

- لم أسمع شيئاً، ومع ذلك فإن "جريج" ينفرد بطابع خاص في علاقته بالنساء .
- إنك تعبرين عن ذلك بطريقة القرن الماضي، ومع ذلك فلنسلم بوجهة نظرك : إنه زير ولا يني عن مغازلة كل امرأة تقابله، ولكن ذلك في رأيي ليس كافياً . إننا نريد دافعاً قوياً... لننتقل الآن إلى "إدوارد هيلنجدون"، وهنا سنجد أنفسنا أمام شخصية غامضة .

- أعتقد أنه ليس سعيداً في حياته .
- وهل تعتقدين أن القاتل يجب أن يكون رجلاً سعيداً؟ سعلت الآنسة "ماربل"، وقالت :

- هذا هو ما بدا لي فعلاً في خلال تجاربي السابقة .
- لا أظن أن تجاربك السابقة قد قطعت شوطاً بعيداً . وهنا كان باستطاعة الآنسة "ماربل" أن تثبت له أنه مخطئ في هذا الظن، ولكنها آثرت ألا تناقش هذه المسألة في الوقت الحاضر لاسيما وهي تعلم أنه ليس من السهل مراجعة رجل مثل السيد "رافيل"؛ لذلك فقد فضلت الصمت في حين أردف هو قائلاً :
- إنني شخصياً أميل إلى ترجيح كفة "هيلنجدون" . يخيل إليّ أن هناك أموراً غير عادية تجري بينه وبين زوجته .. ألم تلاحظي شيئاً من ذلك؟
- أجل، أجل، لقد لاحظت ذلك . إن سلوكها أمام الناس طبيعي للغاية، ولكن هذا هو ما يجب أن نتوقعه .

- لا بد أنك تعرفين عن مثل هؤلاء القوم أكثر مما أعرف، ومهما يكن من أمر فإذا

كانت العلاقة بينهما تبدو أمام الناس طبيعية للغاية فإن ذلك لا يمنع احتمال أن يكون "إدوارد هيلنجدون" يخطط للتخلص من "إيفيلين هيلنجدون"، هل لديك اعتراض؟

- إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن تكون هناك امرأة أخرى. ثم هزت الأنسة "ماربل" رأسها ببطء وهي غير مقتنعة وأردفت قائلة:

- لا أستطيع التغلب على ما يخالجنني من شعور بأن المسألة لا يمكن أن تكون بهذه السهولة.

- ليكن.. من هو المرشح التالي... "جاكسون"؟ دعيني أنا خارج الموضوع. ابتسمت "ماربل" للمرة الأولى وقالت:

- ولماذا نستبعدك يا سيد "رافيل"؟

- لسبب بسيط.. وهو أنك إذا أردت مناقشة احتمال كوني قاتلاً فيجب أن تجري هذه المناقشة مع شخص آخر، وإلا فإنك تضيعين وقتك سدى. ومع ذلك فهل ترينني كفضلاً مثل هذه المهمة؟ هانذا كما ترين لا حول لي ولا قوة، لا أستطيع أن أنتقل من مكان إلى آخر إلا بهذا المقعد ذي العجلات ولا أكاد أستطيع أن أخطو خطوتين إلا مستنداً إلى شخص آخر.. فما الفرص التي ترينها أمامي لارتكاب جريمة قتل؟

- إنها لا تقل عن الفرص التي لدى أي شخص آخر.

- وكيف توصلت إلى هذا الرأي؟

- حسناً أنت بالتأكيد توافقني على أنك تتمتع بقدر كبير من الذكاء؟

- لا شك في ذلك، بل إن ذكائي ليفوق ذكاء أي كائن آخر في هذه المنطقة.

- بديع.. إذن فإن هذا الذكاء كفيف بأن يجعلك تتغلب على الصعاب البدنية التي تحول بينك وبين ارتكاب جريمة قتل.

- ولكن الأمر في هذه الحالة سيحتاج إلى تخطيط دقيق.

- فعلاً، واعتقد يا سيد "رافيل" أنك ستجد متعة كبيرة في ذلك. ظل السيد

"رافيل" يحملق إلى وجه الأنسة "ماربل" فترة طويلة، ثم أخذ يقهقه ضاحكاً إلى أن دمعت عيناه، ثم قال:

- إن لك لجرأة بالغة... إنك أبعد ما تكونين عن تلك الشخصية العجوز المنطوية

التي تحاولين الظهور بها.. هل تظنين حقيقة أنني قاتل؟

- كلا، كلا، لا أظن ذلك.

- ولم؟

- إن الأمر بسيط.. إن من كان في مثل ذكائك يستطيع أن يحصل على كل ما يريد دون اللجوء إلى القتل.. إن القتل يدل على الغباء.

- ومع ذلك فمن هي الضحية التي يمكنك أن ترشحها لي؟

- هذا سؤال مهم، ولكن مع الأسف فإن الوقت لم يسعدني بما يكفي من الحديث معك لكي أكون لنفسي رأياً في هذه الناحية. اكتسى وجه السيد "رافيل" بابتسامة عريضة، وقال:

- إن الحديث معك قد يكون خطراً.

- إن الأحاديث دائماً خطيرة، إذا كان هناك ما تود إخفاءه.

- قد تكونين على حق. والآن دعينا ننتقل إلى "جاكسون".. ما هو رأيك فيه؟

- من الصعب أن أبدي رأياً.. الواقع أنه لم تتح لي أية فرصة لتبادل الحديث معه.. إنه يذكّرني بشاب يعمل في المجلس البلدي في القرية التي أعيش فيها في "إنجلترا".

- حسناً؟

- لم يكن موظفاً كفتاً!

- تماماً.. إن "جاكسون" أبعد ما يكون عن الكفاءة، ومع ذلك فهو يلائمني كل الملاءمة. إنه لا يعترض على إهاناتي له، ولعل السبب في ذلك أنه يدرك أنه يتقاضى مني مرتباً لم يكن يحلم بمثله، فضلاً على ذلك فإنني لست مضطراً إلى الثقة به.. قد يكون نزيهاً وقد لا يكون. إن الشهادات التي قدمها إلي لا غبار عليها، وإن كنت ألاحظ عليه شيئاً من التحفظ، ولحسن الحظ ليس لدي أسرار إجرامية وعلى ذلك فلست عرضة للابتزاز أو التهديد.

- لا أستطيع أن أتصور ذلك! لا بد أن لديك أسراراً تتعلق بأعمالك؟

- نعم، ولكنها أبعد من أن يتوصل إليها "جاكسون" كلا.. إن "جاكسون" قد يكون مأكراً ولكنني لا أستطيع أن أتخيله قاتلاً.. إن القتل من الأعمال التي لا يصلح لها "جاكسون". توقف السيد "رافيل" لحظة وقد بدا عليه التفكير

العميق، وفجأة قال :

- ألم يخطر ببالك أننا إذا عدنا إلى الوراء قليلاً وأعدنا النظر إلى كل من هذه الحوادث الغامضة وإلى قصص العقيد "بالجريرف"، فإن كل استنتاجاتنا قد تبدو خاطئة! إنني أنا هو الشخص المفروض أن يقتل. بدت الدهشة واضحة على الأنسة "ماريل" في حين أردف السيد "رافيل" موضحاً :

- من هو عادة الضحية في القصص البوليسية؟ أليس هو الرجل العجوز الذي يمتلك ثروة طائلة! فقالت الأنسة "ماريل" مكملة :

- وهو عادة محاط بعدد من الاقارب الذين يتمنون موته ليحصلوا على ثروته. وهل هذا أيضاً صحيح؟ لم يجب السيد "رافيل" فوراً وقال :

- أستطيع أن أعدد لك خمسة أو ستة من رجال الأعمال في "لندن" لن يسكبوا دمعة واحدة إذا ما قرؤوا خبر نعيي في جريدة "التايمز"، ولكن أحداً منهم لن تصل به الرغبة في إزاحتي عن طريقه إلى حد اللجوء إلى القتل. ومع ذلك فما الداعي لقتلي؟ إن موتي متوقع من يوم إلى آخر. والواقع أن هؤلاء الملاحين لا يتورعون عن التصريح بأنني عشت أكثر مما يجب، بل إن الأطباء أنفسهم لا يخفون دهشتهم. - لا شك في أن لك رغبة قوية في البقاء على قيد الحياة.

- وما وجه الغرابة في ذلك؟

- لا غرابة فيه بل إنني أجده أمراً طبيعياً... إن الحياة تبدو أكثر قيمة وأكثر امتلاءً بالمباهج عندما تلوح لنا النهاية قاب قوسين أو أدنى.. كان يجب أن يكون الأمر عكس ذلك، ولكن ما بيدنا حيلة.. إن مما يدعو إلى الدهشة أن الإنسان عندما يكون شاباً ممتلاً صحة وقوة ويرى الحياة ممتدة أمامه، لا يعيرها ما تستحقه من اهتمام. ألا تلاحظ - مصداقاً لقولي هذا - أن الشباب هم عادة الذين يقدمون على الانتحار، يأساً من الحب وأحياناً لجرد الشعور بالقلق وعدم الاستقرار، في حين نجد كبار السن يدركون ما للحياة من قيمة فلا يفرطون فيها؟ صاح السيد "رافيل" :

- ها! من ذا الذي يريد الاستماع لعجوزين متفاخرين مثلنا!

- ولكنني لم أبالغ فيما قلت، ألا ترى ذلك؟

- بلا شك.. أنت على حق.. ولكن ألا تظنين أنني أصبت فيما قلت، إنني

أصلح مرشحاً لدور الضحية .

- إن قبول هذا الرأي يتوقف على معرفة من الذي سيستفيد من موتك .

- الواقع لا أحد ، بخلاف أولئك المنافسين لي في مجال الأعمال كما سبق أن أوضحت لك ، ولكنهم يشعرون بالاطمئنان إلى أنني سأخلي لهم الجو قبل مضي وقت طويل . هذا ولست من الغباء بحيث أوصي بأموالي لتوزع على أقاربي . وعلى كل حال فإن هؤلاء الأقارب لن يتبقى لهم الكثير بعد أن تحصل الحكومة على نصيبها من التركة وهو نصيب الأسد .. لقد فكرت في كل ذلك منذ زمن بعيد ولذا فإن ثروتي الآن مقسمة بطريق الوقف طيلة بقائي حياً .

- و"جاكسون" .. ألن يستفيد من موتك ؟ فقال السيد "رافيل" بابتهاج واضح :

- إنه لن يحصل على بنس واحد بعد وفاتي .. إنني أدفع له الآن ضعف المرتب الذي يمكن أن يحصل عليه من أي مخدم آخر وذلك لأنه يتقبل نزواتي ، كما أنه يعلم تماماً أنه يخسر الكثير بعد موتي .

- والسيدة "والترز" ؟

- نفس الوضع .. إنها فتاة طيبة ، وسكرتيرة ممتازة على قدر وافر من الذكاء وحسن الخلق ، وفضلاً على ذلك فهي تفهم أخلاقي جيداً ولا تهتز قيد أنملة عندما تثور أعصابي ، بل إنها لا تهتم إذا ما وجدت في تصرفاتي إهانة لها ، فهي تتصرف كمربية ماهرة لطفل متمرّد .. إنها تثير حنقي في بعض الأحيان ولكنني قانع بها ، وعلى الرغم من أنها من أسرة متواضعة إلا أنني أعتقد أنني لن أستطيع أن أجد من يفضلها للعمل معي .. لقد قاست الكثير في حياتها ، فقد كان زوجها رجلاً متلافاً ، ولعل الخطأ يرجع إليها ، لأنني أعتقد أنها لا تجيد الحكم على الرجال .. إن مثل هذا الطراز من النساء كفيف بأن يستسلم لأول رجل يشكو لهن سوء حظه في الحياة ، وهن يتخيلن أنه ما من رجل يستطيع أن يستغني عن المرأة التي تفهمه ، ولكن ما إن تقبله المرأة زوجاً لها حتى تظهر حقيقة نفسيته . غير أنه كان من حسن حظها أن زوجها لم تطل به الحياة وتوفي على أثر حادث في الطريق . كان يقضي سهرته عند بعض الأصدقاء وأفرط في الشراب ، وعندما خرج إلى الطريق وأراد عبور الشارع وهو يترنح صدمته سيارة وقضت عليه . وكان كل ما تركه لها هو ابنة ،

فاضطرت "استر" إلى العودة إلى عملها الأول وهو السكرتارية، لقد مضى عليها معي خمس سنوات وقد أوضحت لها بجلاء ألا تتوقع مني أية هبة بعد وفاتي.. لقد اتبعت معها طريقة مشابهة لطريقتي مع "جاكسون" وإن كانت تختلف عنها في بعض التفاصيل، إذ إنني اتفقت معها على أن يزيد مرتبها الذي بدأت به بمقدار الربع سنوياً طيلة حياتي.. إن مبدئي في الحياة ألا أثق ثقة كاملة بأي إنسان مهما كانت درجة إخلاصه وأمانته، وهذا هو السبب الذي جعلني أوضح لها كما ذكرت ألا تتوقع مني أية هبة بعد وفاتي، أما قبل ذلك فكل سنة تضاف إلى عمري تزيد مرتبها بمقدار الربع. وعلى ذلك فإذا هي ادخرت هذه الزيادة السنوية، فإنها تستطيع بعد بضع سنوات أن تجد لديها مبلغاً لا بأس به، وأعتقد أن هذا هو ماتفعله. فضلاً على ذلك فقد تعهدت لها بتغطية جميع المصروفات المدرسية الخاصة بابنتها، ورصدت لها مبلغاً لا بأس به تحصل عليه بمجرد إتمام دراستها. ومن ذلك ترين أن السيدة "استر والترز" يجب أن تكون قانعة راضية بحياتها، وأن تعلم أن وفاتي تسبب لها خسارة مالية كبيرة... وهي من التعقل بحيث تدرك ذلك تماماً.

— أعتقد أنها هي و"جاكسون" متفاهمان؟ ألقى السيد "رافيل" نظرة متفحصة على الآنسة "ماربل"، ثم أجاب:

— لا يفوتك شيء، هيه! أجل، أظن أن "جاكسون" يحاول إلقاء شبابه حولها.. إنه شاب وسيم ولكنني أعتقد أنه لم يحقق نجاحاً في محاولته بعد. وعلى الرغم من الفارق الاجتماعي بينهما، إذ إن "استر" تعتبر من طبقة أعلى من طبقتها فقد كانت أمها مدرسة وأبوها موظفاً في مصرف، إلا أنني لا أظن أن ذلك مما يؤثر في علاقتهما.. إنني واثق بأن كل ما تفكر فيه "استر" الآن هو أن تتأكد من أن "جاكسون" لا يسعى وراء مدخراتها. وهنا همست له الآنسة "ماربل":

— صه... إنها قادمة. التفت كلاهما نحو "استر والترز" التي كانت تتقدم نحوهما من اتجاه الفندق، ثم قال السيد "رافيل":

— إنها فتاة جميلة حقاً! ومع ذلك فهي تفتقر إلى ما يبرز هذا الجمال ويجعله مشعاً، ولا أستطيع أن أدرك السبب في ذلك. ندت عن الآنسة "ماربل" زفرة عميقة تحسراً على ما فاتها. إن هذا الشيء الذي تفتقر إليه "استر" والذي أشار إليه

السيد "رافيل" كانوا يطلقون عليه أسماء خاصة في تلك الأيام الخوالي عندما كانت الأنسة "ماربل" لا تزال شابة.. كانوا يطلقون عليه اسم الجاذبية الجنسية، أو كانوا يقولون إن تلك الفتاة لها قوام رائع وابتسامة خلابة ولكنها تفتقر إلى ذلك الشيء الذي يدير رؤوس الرجال. لم يطل بها التفكير في هذا الاتجاه وبادرت إلى استئناف الحديث فيما كانا يتحدثان فيه فقالت :

- يجدر بها أن تتزوج ثانية.

- هذا صحيح... إنها كفيلة بإسعاد أي رجل يواتيه الحظ بالزواج بها. وهنا كانت "استر والترز" قد وصلت إلى حيث يجلسان فبادرها السيد "رافيل" بصوت حاول إكسابه رنة من التكلف :

- هأنت أخيراً! ما الذي أخرجك كل هذا الوقت؟ فأجابت "استر" :

- يبدو أن الجميع اليوم يرسلون برقيات.. كان مكتب تلقي البرقيات مزدحماً، فضلاً على نشاط حركة الاستعداد لمبارحة الفندق.

- إذن فهم يحاولون مغادرة الفندق؟ أذلك نتيجة للجريمة التي وقعت هنا؟

- أعتقد ذلك... إن "تيم" المسكين في حالة يرثى لها.

- له كل العذر في ذلك.. إنها مأساة حلت بهذين الشابين.

- فعلاً.. وأعتقد أنها كانت مجازفة عظيمة منهما أن يشتريا هذا الفندق.. لقد كان القلق لا يفارقهما نحو إنجاح المشروع، وما إن بدأ يستقران حتى وقعت هذه المأساة. فامن السيد "رافيل" على كلامها وأردف قائلاً :

- إن "تيم" شاب كفء ومجتهد كما أن زوجته فتاة لطيفة وجميلة أيضاً.. لقد بذل كلاهما مجهوداً جباراً. توقف السيد "رافيل" لحظة وعندما لم يلق تعليقا استطرد قائلاً :

- لقد كنا نناقش موضوع الجريمة التي وقعت هنا. بدت الدهشة على وجه "استر" والتفتت نحو الأنسة "ماربل" كأنها لا تصدق ما سمعت في حين قال السيد "رافيل" بصراحته المعهودة :

- لقد كنت مخطئاً في نظرتي إلى الأنسة "ماربل".. إنها لا تمت بصلة ما إلى أولئك العجائز اللاتي يشبهنهما ويقضين معظم الوقت في غزل الصوف والثرثرة، إن الأنسة "ماربل" تتميز عن الأخريات بعينين وأذنين تجيد استخدامهما. بدت نظرة

اعتذار في عيني السيدة "والترز" وهي تنظر إلى الآنسة "ماربل"، ولكن هذه الأخيرة لم يبد عليها أنها استاءت من ملاحظات السيد "رافيل"، في حين قالت السيدة "والترز" بلهجة اعتذار:

— أنا واثقة بأن السيد "رافيل" يقصد أن يمتدحك. فاجابت الآنسة "ماربل":
— أجل، أعني أعرف ذلك. كما أنني أعرف أن السيد "رافيل" رجل متميز، أو هو يظن ذلك. فسألها السيد "رافيل" بحدة:

— ماذا تعنين بقولك إنني متميز؟
— أعني أنك تظن أن باستطاعتك أن تكون فظاً متى شئت.
— هل كنت فظاً معك؟ إنني لآسف إذا كنت قد أسأت إليك.
— إنك لم تسيء إليّ، ومهما يكن من أمر فإنني واسعة المغفرة.
— كفك عناد... "استر"، هيّا أحضري مقعداً واشتركي معنا، فقد تستطيعين المساعدة. جذبت "استر" أحد المقاعد القريبة وبعد أن جلست قال السيد "رافيل":
— لنستأنف مشاورتنا... لقد بدأنا بالعقيد "بالجرىف" العجوز وقصصه التي لم يكن لها نهاية. فقالت "استر":

— ويا لها من قصص! لقد كنت أهرب من سماعها كلما استطعت ذلك.
— ولكن السيدة "ماربل" كانت أكثر منك احتمالاً... أخبريني يا "استر"، هل سبق أن روى لك "العقيد" قصة تتعلق بقاتل؟
— أجل، وأكثر من مرة.

— وما القصة؟ دعينا نخبر قوة ذاكرتك.
— الواقع أنني لم أكن لاصغي إليه بانتباه... إنها كانت تشبه تلك القصة التي كان يدأب على ترديدها عن الأسد الذي اصطاده في "روديسيا"... كان يكررها مراراً وتكراراً... والنتيجة أننا نتعود عدم الإصغاء إليه بالانتباه الكافي.
— لا بأس، أخبرينا بما تذكرينه منها.

— أظن أنها كانت بمناسبة ما نشرته الصحف عن إحدى جرائم القتل، فقد علق عليها "العقيد" بقوله إنه مرتجلة يندر أن يمر بها الآخرون، فقد التقى بمجرم قاتل وجهاً لوجه. فصاح السيد "رافيل":

— التقى به؟ هل ذكر لك هذه العبارة بالذات؟ بدا التردد على السيدة "والترز" وهي تقول:

- أظن ذلك . أو لعله قال : " باستطاعتي أن أريك قاتلاً " .
- حسناً ، أي العبارتين حق ؟ هناك فرق واضح بينهما كما ترين .
- الواقع لا أستطيع الجزم . أظن أنه قال إن باستطاعته أن يطلعني على صورة شخص ما .
- هذا أفضل ... استمري .
- ثم أخذ يتحدث عن " لوكريشيا بورجيا " .
- دعينا منها ... كلنا نعرف قصتها .
- لقد تحدث عن القتلة الذين يستخدمون السم وقال إن " لوكريشيا بورجيا " كانت امرأة جميلة وكان لها شعر أحمر ، ثم قال إنه من المحتمل أن يكون في هذا العالم من النساء القاتلات أكثر مما يستطيع أي إنسان أن يخمن .
- أخشى أن يكون ذلك محتملاً جداً .
- ثم تحدث عن السم باعتباره سلاح المرأة المفضل .
- الظاهر أنه كان يتخبط في حديثه .
- كان من عادته أن يغفل ذلك عندما يشرع في رواية قصصه ؛ لذلك فإن المستمع إليه كان كفيفاً بأن يتوقف عن الإصغاء ويكتفي بترديد بعض العبارات على سبيل المجاملة مثل " أجل " ، " أحقاً ؟ " ، " هل أنت جاد ؟ " وما شابه ذلك .
- وماذا بشأن تلك الصورة التي كان يعرض إطلاعك عليها ؟
- لا أذكر تماماً ... ربما كانت صورة رآها في إحدى الصحف .
- ألم يطلعك على صورة فوتوغرافية كانت معه ؟
- صورة فوتوغرافية ؟ كلا . أنا واثقة بذلك ، ولكنه قال إنها كانت امرأة جميلة وأنه لا يمكن أن يخطر ببالي إذا رأيته أنها يمكن أن تكون قاتلة .
- إذن فقد كانت امرأة ؟ فصاحت الآنسة " ماربل " :
- هل سمعت ؟ إن كل شيء يبدو مشوشاً . فقال السيد " رافيل " موجهاً كلامه إلى " استر " :
- هل كان يتحدث عن امرأة ؟
- أجل .
- والصورة ، هل كانت صورة امرأة ؟

- أجل .

- هذا مستحيل . فقالت "استر" بإصرار :

- أبداً .. لقد قال : "إنها هنا في هذه الجزيرة .. سوف أمكنك من رؤيتها، ثم أقص عليك قصتها بالكامل" . أخذ السيد "رافيل" يصف العقيد "بالجريف" بما يستحقه، ثم قال :

- هل يوصلنا ذلك إلى نتيجة؟ إن الخرف العجوز يبدأ برواية قصص مغامراته في غابات "إفريقيقا" مع الخنازير والتمور والفيلة، وقد تكون أجزاء من تلك القصص مطابقة للواقع ولكن لا شك في أن الجزء الأكبر منها ليس إلا من وحي الخيال، أو أنها مغامرات حقيقية ولكن أبطالها أشخاص آخرون، ثم ينتقل من ذلك إلى موضوع جرائم القتل ويروي قصة ثم يصلها بأخرى . والأدهى من ذلك أنه يرويها كلها كما لو أنها حدثت له شخصياً وأنا أراهم على أن معظمها مستقى من تحقيقات الصحف أو حلقات التلفزيون . توقف السيد "رافيل" قليلاً، ثم التفت نحو "استر" وقال :

- إنك تقرين بأنك لم تكوني مصغية إليه، ألا يحتمل إذن أنك قد أسأت فهم ما كان يقوله؟

- بل أنا متأكدة من أنه كان يتحدث عن امرأة؛ لأن الفضول تملكني لمعرفة من تكون . فسالتها الآنسة "ماربل" :

- ومن تظننها؟ احمر وجه السيدة "والترز" وبدأ عليها الارتباك، ثم قالت :
- أوه ... الواقع أنني ... أقصد أنني لا أحب أن ... لم تستكمل "استر" عبارتها في حين لم تحاول الآنسة "ماربل" أن تلح عليها إذ كانت تعلم أن وجود السيد "رافيل" معهما سيقف حجر عثرة في سبيل محاولتها التوصل إلى حقيقة ما استنتجته السيدة "والترز"؛ ولذا فقد رأت أنه من الأفضل أن تؤجل هذه المحاولة إلى الفرصة التي تستطيع فيها أن تنفرد بـ "استر" . ومن جهة أخرى فلا يجب أن تستبعد احتمال أن تكون السيدة "والترز" كاذبة، وإن كانت لا تستطيع بالتأكيد أن تصرح أمامها بمثل هذا الاحتمال، وقد فضلت أن تحتفظ به لنفسها ولا سيما أنها لم تكن تميل إلى الاعتقاد بصحته، فهي من جهة لا تظن أن السيدة "والترز" ممن يلجأ إلى الكذب، ومن جهة أخرى فهي لا ترى موجباً لها للكذب في هذه

الحالة. وهنا تحول السيد "رافيل" بالهجوم إلى الأنسة "ماريل" فقال:

— ولكنك قلت إنه كان يتحدث إليك عن قاتل وذكر أن معه صورة له وأنه كان على وشك أن يطلعك عليها.
— أجل، هذا هو ما ظننته.

— ظننته؟! لقد كنت تبدين واثقة كل الثقة! فأجابته الأنسة "ماريل" بحماس:
— ليس من السهل مطلقاً تكراري حديث بحرفيته.. إن المستمع في هذه الحالة كثيراً ما يقفز قفزاً إلى النتائج التي يظن أنها كانت بيت القصيد من الحديث، وبمضي الوقت تتحول هذه التخمينات إلى ألفاظ يصبر المستمع على أنها قيلت له فعلاً. إن العقيد "بالجريريف" روى لي القصة وذكر أن الرجل الذي رواها له، وهو طبيب، قد أطلعته على صورة فوتوغرافية. ولكن لكي ألزم جانب الأمانة يجب أن أعترف بأن ما قاله لي "العقيد" حرفياً هو: "هل تحبين أن تشاهدي صورة قاتل؟". وبالتأكيد فقد افترضت أنها لنفس الشخص الذي كان يتحدث عنه. ولكن يجب أن أقرر الآن أنه من المحتمل — مجرد احتمال، ولكنه احتمال على كل حال — أنه لسبب أو آخر انتقل بتفكيره من الصورة التي رآها فيما مضى، تلك التي أطلعته عليها الطبيب، إلى صورة أخرى كان يحملها وهي صورة لشخص ما في هذه الجزيرة كان "العقيد" يعتقد أنه أو أنها قاتلة. فصاح السيد "رافيل" متحدياً:

— يا للنساء! إنكن جميعاً سواء.. لا يستطيع الإنسان أن يحصل منكن على نتيجة حاسمة.. إنكن لا تستطعن التأكد من حقيقة أي شيء. وهنا أخذ السيد "رافيل" يلوح بيده بياس واستطرد قائلاً:

— والآن إلى أين وصلنا؟ هل هي "إيفيلين هيلنجدون" أم هي "لاكي" زوجة "جريج"؟ وهنا تناهى إلى سمع المجتمعين صوت سعال خفيف وإذا بـ "آرثر جاكسون" يقف إلى جوار السيد "رافيل". لم يحدث قدومه أي صوت لدرجة أن أحداً من الثلاثة لم ينتبه له إلا بعد أن سعل معلناً وصوله. قال "جاكسون":

— لقد حان موعد جلسة التدليك يا سيد "رافيل". ثار السيد "رافيل" وبدأ عليه الانفعال الشديد وهو يصيح:

— ماذا تعني بحق الشيطان بتلصصك هكذا وإفزعاعي؟ لم أسمعك قادماً.
— إنني أسف يا سيدي.

– لا أعتقد أنني أرغب في التديلـك اليوم.. إنني لا أجد منه أية فائدة. فأجاب "جاكسون" وهو يبتسم:

– لا يجب أن تقول ذلك يا سيدي.. إنك لن تشعر بمدى فائدة التديلـك إلا إذا توقفت عن عمله. قال ذلك وهو يدير مقعد مخدومه دون انتظار لموافقته وأخذ يدفعه أمامه نحو الكبينة. أما الآنسة "ماربل" فقد نهضت من مقعدها وابتسمت للسيدة "والترز" محيية واتجهت نحو الشاطئ.

الفصل الثامن عشر

كان الشاطئ في هذا الصباح يكاد يخلو من رواده... كان "جريج" يلهو في الماء بطريقته الصاخبة، في حين كانت "لاكي" مستلقية على وجهها فوق الرمال وظهرها الذي لفحته الشمس يلمع بما يكسوه من دهون وشعرها الذهبي ينسدل على كتفيها. أما العقيد "هيلنجدون" وزوجته فلم يكونا هناك، وكانت السنيورا "دي كاسبيرو" مستلقية على ظهرها تحيط بها المجموعة المعتادة من المعجبين وهي تتكلم بصوت ممتلئ عميق بلهجتها الإسبانية المرحية. كما كانت هناك مجموعة من الأطفال ما بين فرنسيين وإيطاليين يتضاحكون ويمرحون على حافة الماء. وكان القس وشقيقته يجلسان في مقعدين من مقاعد الشاطئ يتأملان المناظر حولهما، وإن كان القس قد أمال قبعته فوق عينيه حتى ليخيل إلى الناظر إليه أنه مستغرق في النوم، وإلى جوار شقيقته وجدت الآنسة "ماربل" مقعداً خالياً فجلست فيه وهي تلقي بتحية الصباح، وتقول:

- ما أعجب تصاريـف القدر! فأجابتها الآنسة "بريسكوت":
- أجل هذا صحيح. كانت كل منهما تشير إلى الجريمة البشعة التي وقعت في اليوم السابق وواصلت الآنسة "ماربل" الحديث قائلة:
- يا لها من فتاة مسكينة! فعلق القس على ذلك بقوله:
- إنه لحادث مؤسف للغاية.
- لقد خطر لنا، أنا و"كانون"، أن نغادر المكان ولكننا عدلنا عن تنفيذ هذه الفكرة، فإننا لو فعلنا لكان ذلك مجحفاً بالزوجين الشابين "كيندال". والحقيقة أنه

لا ذنب لهما فيما حدث، فهو مما يمكن حدوثه في أي مكان. فعاد "كانون" للتعليق قائلاً:

— إن الموت يحيط بنا في خضم الحياة. واستطردت شقيقته:

— اعتقد أنه من المهم جداً لهما أن ينجح هذا المشروع. لقد استثمرا فيه كل ما يملكان. فقالت الأنسة "ماريل":

— إن "موللي" فتاة لطيفة جداً ولكنها في الآونة الأخيرة لم تكن لتبدو في خير حالاتها.

— فعلاً. لقد لاحظنا جميعاً أن أعصابها كانت متوترة. وبالتأكيد فإن أسرتها.. فقاطعتها شقيقها معاتباً:

— أظن يا "جوان" أن هناك بعض الأسرار التي... ولكن الأنسة "بريسكوت" قاطعته هي الأخرى وأردفت:

— إنها ليست أسراراً، فالجميع يعلمونها.. إن أسرتها تعيش قريباً من بلدتنا... كان لها عمة اتسمت بتصرفاتها الشاذة كما حدث أن أحد أعمامها خلع جميع ملابسه في إحدى محطات المترو، وأظنها كانت محطة "جرين بارك". عاد "كانون" لمقاطعة شقيقته، وقال:

— "جوان" إن مثل هذا الكلام لا يجب أن يقال. فتدخلت الأنسة "ماريل" في الحديث وقالت وهي تهز رأسها:

— إنه شيء يدعو إلى الأسف، وإن كنت اعتقد أن مثل هذه الحالة ليست من مظاهر الجنون النادرة الحدوث... إنني أذكر عندما كنت أعمل مع جيش الخلاص أن قسيساً محترماً كبير السن أصيب بهذا النوع من الخبال، وقد اتصلوا بزوجه تليفونيا فهرعت إلى مكان الحادث وأسرت باصطحاب زوجها في إحدى العربات إلى منزلهما بعد أن كان الجمهور قد ستره ببطانية. فقالت الأنسة "بريسكوت":

— ولكن أفراد أسرة "موللي" الأقربين ليس بهم ما يعيبهم، وإن كانت "موللي" على غير وفاق مع أمها. وعلى كل حال فإنه من النادر أن تتفق فتيات اليوم مع أمهاتهن.

— إن مما يدعو إلى الأسف؛ لأن أية فتاة في الواقع لا يمكنها أن تستغني عن نصائح أمها وخبرتها.

- تماماً. لقد كانت "موللي" على علاقة بشاب، يقال إنه لم يكن جديراً بها.

- إن ذلك يحدث كثيراً.

- وبالتأكيد فإن أسرتها لم توافق على هذه العلاقة. وعلى الرغم من أن "موللي" كانت تخفيها عنهم إلا أنهم علموا بها من الآخرين، فكان طبيعياً أن تطلب منها أمها أن تدعو الشاب إلى المنزل لتتعرف إليه، وهو الإجراء المحترم في مثل هذه الأحوال. وقد علمت أن الفتاة رفضت هذا الطلب وقالت إن ذلك يعتبر تحقيراً للشاب فهو ليس جواداً يتطلب الأمر فحصه قبل شرائه. أطلقت الآنسة "ماربل" زفرة خفيفة، وقالت:

- إن الآباء يلزمهم قدر كبير من اللباقة في معاملة أبنائهم.

- على كل حال لقد توقفت تلك العلاقة بعد أن أصرت الأم على منعها من مقابله.

- ولكنك لا تستطيعين أن تفعلي ذلك في هذه الأيام.. إن الفتيات يعملن وبإمكانهن مقابلة الرجال كما يحلو لهن سواء منعهن من ذلك أو لم يمنعهن.

- غير أنه لحسن الحظ أنها التقت بـ "تيم كيندال"، وبذلك أسدل الستار على علاقتها بالشاب الآخر، ولا أستطيع أن أعبر لك عن مدى الارتياح الذي شعرت به الأسرة لهذا التحول.

- آمل ألا يكونوا قد بالغوا في إظهار هذا الارتياح؛ لأن ذلك كفيل بأن يجعل الفتاة تحيد عن الصواب في اختيار شريك حياتها.

- الحق معك. فغمغمت الآنسة "ماربل":

- إن ذلك ليذكر المرء بأيام شبابه. ثم أخذت تستعيد إلى ذاكرتها ما حدث لها في شبابها: كانت قد التقت بشاب في إحدى مباريات الكروكية، وكان يبدو عليه أنه لطيف ومرح وأقرب إلى البوهيمية في آرائه، وفجأة رحب به والدها ترحيباً بالغاً ولم يتردد في إبداء رأيه فيه، فقد اعتبره لائقاً كل اللياقة ليكون زوجاً لابنته، وتكررت دعوة الشاب إلى منزل الأسرة عدة مرات إلى أن اكتشفت الآنسة "ماربل" أخيراً أنه كان ثقیل الظل إلى درجة لا تطاق. لاحظت الآنسة "ماربل" أن الشقيقين ظلّا صامتين فقررت أن تستدرجهما برفق إلى الموضوع المهم الذي كان يشغل تفكيرها، وقالت:

– أعتقد أنكما تعرفان هذا المكان خير المعرفة .. إنكما تأتیان إلى هنا منذ عدة سنوات، أليس كذلك؟

– الواقع أننا كنا هنا في العام الماضي، ومرة أخرى قبل ذلك بسنتين. إننا نحب "سانت أونوريه" كثيراً لاسيما ونحن نقابل هنا قوما ظرفاء، لا من أولئك الأثرياء المتعجرفين.

– وعلى ذلك فانتما تعرفان الزوجين "هيلنجدون"، و"دايسون" معرفة جيدة؟
– أجل. سعلت الآنسة "ماربل" ثم خفضت صوتها، وقالت:
– كان العقيد "بالجريف" قد قص علي قصة غريبة..

– لا غرابة في ذلك، فقد كان لديه مجموعة من القصص الغريبة، وهو على كل حال كان يسافر كثيراً فقد ذهب إلى "إفريقيا" و"الهند"، بل أعتقد أنه زار "الصين" أيضاً.

– أحقاً؟ ولكنني لم أكن لأقصد قصص المغامرات .. كانت القصة التي رواها لي تتعلق بأحد الأسماء التي ذكرتها الآن. لم تزد الآنسة "بريسكوت" على أن قالت:
– أوه! وكأنها بذلك تريد أن توحى إلى الآنسة "ماربل" بأنها قد فهمت ما ترمي إليه، أما الآنسة "ماربل" فقد تعمدت أن تتجه ببصرها على طول الشاطئ إلى حيث كانت "لاكي" ترقد على الرمال معرضة ظهرها لأشعة الشمس، ثم قالت:

– لقد اكتسبت سمرة جميلة، ألا ترين ذلك؟ وشعرها! إنه جميل ولو أنه لا يكاد يفترق عن لون شعر السيدة "كيندال".

– ولكن هناك فرقاً واحداً بينهما، إن شعر "موللي" لونه طبيعي أما شعر "لاكي" فناتج من الصبغة. عاد القس يعترض على كلام شقيقته قائلاً:

– حقاً يا "جوان" .. ألا ترين أنه لا يليق بك التحدث عن الناس في غيبتهم؟
فاجابت الآنسة "بريسكوت" بحدة:

– إنني لم أعاقب أحداً... إنني أقرر حقيقة. فقال القس:

– إن شعرها يبدو لي جميلاً.

– بالتأكيد، وهذا هو السبب في أنها تصبغه، ولكن ثق يا عزيزي بأنه لا يمكن أن يخدع امرأة أخرى، أليس كذلك يا آنسة "ماربل"؟ فاجابت الآنسة "ماربل" بتردد:

- الواقع أنني أخشى... أقصد أنه لم يتوافر لي مثل ما لديك من الخبرة، ولكنني أستطيع أن أجزم بأن لونه ليس طبيعياً. إنك تستطيعين إدراك ذلك عندما تدققين النظر إلى منابت الشعر... إن لونها يتغير كل بضعة أيام... تلاقت نظرات المرأتين وهزت كل منهما رأسها دلالة على التفاهم التام بينهما، أما القس فبدا كأنه عاد إلى استغراقه، فواصلت الآنسة "ماريل" محاولتها، وقالت:

- إن العقيد "بالجرريف" روى لي قصة عجيبة لم أستطع في الواقع أن أحدد شخصياتها... إن سمعي يخونني في بعض الأحيان، والظاهر أنه كان يحاول أن يلمح إلى... توقفت الآنسة "ماريل" بخبت ولم تستكمل عبارتها، فقالت الآنسة "بريسكوت":

- إنني أدرك قصديك... لقد كثر اللغط حول هذا الحادث في حينه.
- أتعنين عندما...

- ... عندما توفيت السيدة "دايسون" زوجته الأولى... لقد كانت وفاتها غير متوقعة مطلقاً، والواقع أن الجميع كانوا يؤكدون أنها ليست مريضة إلا بالوهم؛ ولذلك فعندما أصابها النوبة وماتت هكذا فجأة، أخذ الناس يتكلمون.

- أعتقد أنه لم تنشأ عن ذلك أية متاعب في ذلك الوقت؟

- كان الطبيب يشعر بالحيرة. كان شاباً حديث العهد بمهنة الطب، ولم يكن قد اكتسب الخبرة الكافية التي تساعد على البت في الأمور بحزم، وأستطيع القول إنه كان من ذلك الطراز من الأطباء الذين يكتفون بنظرة سطحية إلى المريض دون أن يساورهم القلق نحو حقيقة ما يشكو منه، ثم يكتفون بوصف بعض الأقراص وإذا لم يتحسن المريض وصفوا له أقراصاً أخرى، وربما شراباً. أجل... أعتقد أن الطبيب الذي فحصها كان يشعر بالحيرة، ولكن الظاهر أنها كانت تتعرض لبعض النوبات المعوية من قبل، أو على الأقل كان ذلك هو ما قرره زوجها؛ ولذا لم يكن هناك ما يدعو إلى الشك في حقيقة النوبة التي قضت عليها.

- ولكنك أنت شخصياً تظنين...

- الحقيقة أنني أحاول دائماً ألا أتشبث بفكرة ثابتة، وإن كان ذلك لا يمنع الإنسان من الشعور بالعجب، أضيفي إلى ذلك ما كان يثرثر فيه بعض الناس... ومرة أخرى صاح شقيقها وقد اعتدل في جلسته وبدأ عليه التحفز:

- "جوان" إني لا أحب أن أسمع هذه الثرثرة تتكرر أمامي .. إننا كنا دائماً نغلق أذاننا عن الاستماع إليها، فنحن لا نريد أن نسمع شيئاً أو نرى شيئاً أو نتكلم بالشر، والأهم من ذلك ألا نفكر في الشر. هذا هو ما يجب على كل مسيحي ومسيحية. ران الصمت على الجميع بعد أن انتهى القس "بريسكوت" من إلقاء موعظته ... وتقبلت المراتان التائب بصدر رحب وحالت تربيتهما المحافظة دون الاحتجاج على "الرجل". غير أن ذلك لم يمنعهما من الشعور في قرارة نفسيهما بالضيق والحنق، وقد القت الآنسة "بريسكوت" على أخيها نظرة مليئة بالغضب في حين تناولت الآنسة "ماربل" حقيبة غزلها وهمت بإخراج خيوط الصوف منها. غير أن الحظ كان حليف المراتين، إذ إنه في تلك اللحظة تنأى إلى أسمعهما صوت صغير يصيح بالفرنسية:

- أبي!! كانت طفلة من مجموعة الأطفال الفرنسيين الذين كانوا يلعبون على حافة الماء وقد اقتربت منهم دون أن يلحظوها، ووقفت إلى جوار القس وكررت نداءها:

- أبي. انتبه القس لصوت الطفلة فازاح حافة قبعته، ونظر إليها بحنان وابتسم وهو يقول لها بالفرنسية:

- نعم يا عزيزتي؟ ماذا حدث يا صغيرتي؟ فأخذت الطفلة تشرح له تفاصيل المشكلة التي واجهتها هي وزملاءها حيث اختلفوا فيمن هو أحق منهم باستخدام العوامة التي كانوا يلعبون بها... كان "بريسكوت" شغوفاً بالأطفال ولاسيما الفتيات منهم، وكان يشعر دائماً بالسرور عندما يدعونه لفض مشاكلهم؛ لذلك لم يتردد وقام فوراً آخذاً بيد الصغيرة واتجها نحو باقي المجموعة، أما الآنسة "بريسكوت" والآنسة "ماربل" فقد تنفستا الصعداء ونظرت كل منهما إلى الأخرى نظرة ارتياح. قالت الآنسة "بريسكوت":

- إن "كانون" محق في اعتراضه على الثرثرة، ولكن إذا أردت الحقيقة فإن الإنسان لا يستطيع أن يتجاهل ما يتحدث عنه الناس، وكما ذكرت لك فقد كان البعض يثرثرون في ذلك الوقت. فاجابتها الآنسة "ماربل" وهي تستحشها على الاستمرار:

- أحقاً؟

– إن هذه الشابة، وأظنها كانت تدعى الآنسة "جريتوركس"، وإن كنت الآن لا أتذكر تماماً، أريد أن أقول إن هذه الشابة كانت تمت بصلة قرابة للسيدة "دايسون" الأولى، ابنة عم أو شيء من هذا القبيل، وكانت تُعنى بها وتشرف على تمريرها. توقفت الآنسة "بريسكوت" لحظة وبدا كأنها تتردد في تكملة حديثها، غير أنها عندما وجدت أن الآنسة "ماربل" لزمت الصمت وقد اشربت بعنفها في انتظار سماع باقي القصة، أردفت قائلة:

– وبالتأكيد نشأت بين السيد "دايسون" وتلك الفتاة، الآنسة "جريتوركس"، علاقة وثيقة لدرجة أن كثيرين من جيرانهم لاحظوا ذلك، وأنت تدركين بالتأكيد أن مثل هذه الأشياء من السهل ملاحظتها، ولا سيما في مثل ذلك المكان. ثم كانت تلك القصة الغريبة عن بعض العقاقير التي قام "إدوارد هيلنجدون" بشرائها لها من الصيدلي.

– أوه، إذن فإن "إدوارد هيلنجدون" متورط في الموضوع؟
– أجل.. كان شغوفاً جداً بالآنسة "جريتوركس" وكان الجميع يلاحظون ذلك. أما "لاكي" – أقصد الآنسة "جريتوركس" – فقد استغلت هذا الموقف لتصارع الرجلين أحدهما بالآخر، "جريجوري دايسون" و "إدوارد هيلنجدون"، كانت "لاكي" دائماً ذات جاذبية جنسية لا تقاوم.

– ولكنها الآن تقدمت في السن...
– تماماً.. ولكنها كانت دائماً شديدة العناية بمظهرها، وإن لم يكن ذلك يبدو واضحاً عندما كانت لا تزال القرية الفقيرة للسيدة "دايسون".. كانت في ذلك الوقت تبدو شديدة الإخلاص لقريبتها المريضة والتفاني في العناية بها.

– ولكن ماذا بخصوص تلك القصة عن الصيدلي، كيف عرف الناس بها؟
– لم يكن ذلك في "جيمس تاون". وأظن أنه حدث عندما كانوا في جزيرة "المارتينيك"... إن الفرنسيين كما تعلمين أقل تشدداً منا نحن الإنجليز فيما يتعلق بالعقاقير، ويغلب على الظن أن ذلك الصيدلي تحدث عن الواقعة لشخص ما وسرعان ما ذاعت القصة... إنك تدركين كيف تحدث مثل هذه الأشياء. هزت الآنسة "ماربل" رأسها موافقة في حين تابعت الآنسة "بريسكوت" قائلة:
– ذكر الصيدلي أن العقيد "هيلنجدون" جاءه يطلب عقاراً، وكان يبدو عليه

أنه لا يعرف تماماً حقيقة ما يريده، فقد أخرج من جيبه قصاصة وقرأ منها اسم العقار. وعلى كل حال فكما ذكرت لك، أخذ الناس يشترطون. قطبت الآنسة "ماربل" ما بين حاجبيها وغمغمت بصوت منخفض كأنها تحدث نفسها:

— ولكنني لا أستطيع أن أفهم تماماً لماذا يقدم العقيد "هيلنجدون" على...

— ... اعتقد أنه لم يكن أكثر من رسول أو إذا شئت مخلب قط. ومهما يكن من أمر فإن "جريجوري دايسون" تزوج ثانية ولم يكن قد مضى على وفاة زوجته الأولى أكثر من شهر واحد على ما سمعت. نظرت المراتان كل منهما إلى الأخرى في حين سألت الآنسة "ماربل":

— ألم يثر ذلك أي شك، أقصد شكاً حقيقياً؟

— أوه، كلا... لم يتعد الأمر مجرد الكلام، وبالتأكيد فلا يستبعد أن يكون في الأمر شيء.

— ولكن العقيد "بالجريف" كان يظن عكس ذلك.

— هل قال لك ذلك؟

— الواقع أنني لم أكن مصغية إليه بانتباه... إن ما يثير فضولي هو ما إذا كان قد ذكر لك الشيء نفسه.

— لقد أشار إليها ذات مرة..

— أجل.. والواقع أنني ظننت في مبدئ الأمر أنه كان يشير إلى السيدة "هيلنجدون"، فقد كان يضحك بمرح ويقول: "انظري إلى تلك المرأة هناك، إنها في رأيي امرأة ارتكبت جريمة قتل ولم تحاكم عليها...". وأصدقك القول لقد صدمت، وكان طبيعياً أن أجيبه: "لا بد من أنك تمزح يا سيادة "العقيد". فقال: "أجل، أجل، يا سيدتي العزيزة. دعينا نعتبر الأمر كله مزاحاً...". كان الزوجان "هيلنجدون" والزوجان "دايسون" في ذلك الوقت يجلسون إلى مائدة قريبة منا وقد خشيت أن يصل صوت حديثنا إلى مسامعهم إلا أن "العقيد" واصل مزاحه وقال: "ما كنت لأقبل دعوة إلى حفلة "كوكتيل" إذا كان هناك شخص معين هو الذي يعد لنا الشراب. إنها في هذه الحالة لا تختلف عن حفلة عشاء آل "بورجيا".

— يا له من موضوع شائق! هل ذكر لك شيئاً عن صورة فوتوغرافية؟

- لا أذكر أنه فعل ذلك .. هل كانت الصورة منشورة في صحيفة؟ كانت الآنسة "ماريل" على وشك أن تجيبها، ولكنها تداركت بعد أن لاحظت ظلاً يحجب عنها ضوء الشمس، فالتفتت نحو مصدره وشاهدت "إيفيلين هيلنجدون" تقف إلى جوارهما، وتقول:
- أسعدتما صباحاً. فأجابت الآنسة "بريسكوت":
- لقد كنت أتساءل أين كنت.
- ذهبت إلى "جيمس تاون" لشراء بعض الحاجات. أخذت الآنسة "بريسكوت" تدير بصرها فيما حولها كأنها تبحث عن شخص ما، وفطنت السيدة "هيلنجدون" إلى من تبحث عنه فقالت:
- أوه، إن "إدوارد" لم يأت معي .. إن الرجال يكرهون هذه المهمة.
- هل أعجبك شيء في حوانيت القرية؟
- لم أذهب لزيارة الحوانيت، بل كنت أقصد الصيدلي. قالت ذلك وهي تبتسم، ثم حيتهما وواصلت سيرها نحو الشاطئ، في حين ظلت الآنسة "بريسكوت" تتبعها بنظرها وهي تقول:
- إنهما زوجان لطيفان، وإن كان من الصعب أن تعرفي "إيفيلين"، إلا ترين ذلك، أقصد أنها دائماً لطيفة ولكن يصعب على الإنسان أن يدرك حقيقة ماتبطن. وافقتها الآنسة "ماريل" على رأيها بهز الرأس وهي تفكر، في حين أردفت الآنسة "بريسكوت":
- لا يمكن لأحد أن يعرف فيما تفكر.
- قد يكون ذلك أفضل للجميع.
- ماذا تقولين؟
- أوه، لا شيء في الواقع .. إنني أقصد أن أفكارها قد تكون باعثة على القلق. بدت الحيرة على وجه الآنسة "بريسكوت"، وقالت مترددة:
- أظن أنني أدرك ما تعنين ... إن "العقيد" وزوجته يملكان بيتاً جميلاً في "هامبشاير" ولهما ابن، بل لعلهما ولدان يتلقيان دراستهما في "وينشيشتر".
- هل تعرفين "هامبشاير" جيداً؟
- كلا، لا أكاد أعرفها .. أظن أن بيتهما أقرب إلى "آلتون". تمهلت الآنسة "ماريل" قليلاً، ثم قالت:

- وأين يقطن الزوجان "دايسون"، أتعرفين؟
- في "كاليفورنيا"، أقصد عندما يعودان إلى موطنهما... إنهما يكثران من الترحال.

- إن الإنسان لا يعرف إلا القليل عن القوم الذين يلتقي بهم خلال رحلته... إن ما أعنيه أننا لا نعرف أكثر مما يحلو للغير أن يخبرونا به عن أنفسهم، فهل تعرفين مثلاً عن يقين أن "دايسون" وزوجته يقيمان في "كاليفورنيا"؟ بدت الدهشة على وجه الأنسة "بريسكوت" وقالت:

- أنا واثقة بأن السيد "دايسون" ذكر ذلك.
- تماماً، إن هذا ما كنت أرمي إليه. الشيء نفسه بالنسبة إلى "هيلنجدون"..
أقصد أنك عندما تقولين إنهما يقطنان "هامبشاير" فإنك إنما ترددين ما ذكره لك، اليس كذلك؟ تحولت دهشة الأنسة "بريسكوت" إلى شيء من الاستنكار، وصاحت:

- هل تعين أنهما لا يقيمان في "هامبشاير"؟
- أوه، كلا، أنا لا أعني ذلك مطلقاً. لقد ذكرت لك ذلك لمجرد التدليل على قدر صحة ما نعرفه عن الآخرين. فانا مثلاً... لقد ذكرت لك أنني أعيش في "سانت ماري ميد"، وهي قرية لا يمكن أن تكوني سمعت بها، فهل تستطيعين أن تقرري عن ثقة بانني فعلاً أعيش هناك؟ لم تشأ الأنسة "بريسكوت" أن تعبر عن رأيها. في أن القرية التي تعيش فيها الأنسة "ماربل" لا تهمها مطلقاً، ويكفي أن تعرف أنها في إحدى المناطق الريفية في جنوب "إنجلترا"، ولكنها قالت:

- إنني أدرك قصدك؛ ولذا فإن الإنسان يجب أن يكون شديد الحرص عندما يكون بعيداً عن موطنه.

- ولكنني لم أقصد ذلك. كانت هناك عدة أفكار غريبة تدور في ذهن الأنسة "ماربل"، وأخذت تسائل نفسها هل هي فعلاً تعرف الحقيقة؟ هل تعرف مثلاً أن "كانون بريسكوت" والأنسة "بريسكوت" هما فعلاً "كانون بريسكوت" وشقيقته؟ إنهما يقولان ذلك ولا يوجد أي دليل على أنهما ليسا كذلك... إنه لمن السهل أن يرتدي الرجل الياقة البيضاء والملابس المناسبة وأن يتحدث بكلمات مناسبة... إذا كان هناك دافع لذلك... كانت الأنسة "ماربل"

على صلة وثيقة برجال الكنيسة في المنطقة التي تعيش فيها بجنوب "إنجلترا"، ولكن "بريسكوت" هذا يقول إنه من الشمال، من "دروهم" على ما تعتقد. وعلى كل حال فإنه لا يخالجه أي شك في حقيقة شخصيته، ومع ذلك فالنتيجة واحدة... إن الإنسان يصدق ما يقوله الآخرون عن أنفسهم... أليس إذن من الأفضل أن يكون الإنسان أكثر حرصاً في مثل هذه الأحوال، كما قالت الآنسة "بريسكوت"؟ أخذت الآنسة "ماربل" تهز رأسها وهي تستعرض هذه الأفكار.

الفصل التاسع عشر

عاد "كانون بريسكوت" من حافة الشاطئ وهو يكاد يلهث، إن مجارة الأطفال في ألعابهم لأمر شاق. وقد دعاه ذلك إلى القول إن الجو أصبح حاراً فاصطحب شقيقته وعادا معاً إلى الفندق. كانت السنيورا "دي كاسبيرو" تراقب هذا التصرف من القس فلم يسعها وهي تراهما عائدتين إلا أن تعلق عليه قائلة:

– ولكن كيف يكون الجو حاراً على الشاطئ؟ أليس هذا عجباً؟ انظري إلى ملابسها.. إنها تغطي ذراعيها ورقبتها.. ربما كان ذلك أفضل للجميع! إن بشرتها لفضيحة، تشبه جلد الإوزة المندوفة. كانت تلك هي الفرصة الوحيدة أمام الآنسة "ماربل" لتتحدث إلى السنيورا "دي كاسبيرو" ولكنها شعرت بالحيرة... كيف تبدأ، وأي موضوع تختار، فهي لم يسبق لها أن اختلطت بـ "السنيورا" أو بادلتها الحديث ومع ذلك فقد جازفت وسألتها:

– هل لديك أطفال يا "سنيورا"؟ فأجابتها وهي تقبل أطراف أناملها:
– نعم... إن لدي ثلاث من الملائكة. لم تكن الآنسة "ماربل" واثقة بما إذا كانت هذه الإجابة تعني أن أطفال "السنيورا" يوجدون الآن في السماء أو أنها تقصد أن تشبههم بالملائكة. وهنا أبدى أحد المعجبين بـ "السنيورا" ملاحظة باللغة الإسبانية جعلت "السنيورا" تميل برأسها إلى الوراء وتطلق ضحكة رنانة، ثم قالت مخاطبة الآنسة "ماربل":

– هل فهمت ما قاله؟

– كلا، مع الأسف، فإني لا أعرف الإسبانية.

— هذا أفضل، فهو رجل خبيث .. ثم تلا ذلك تبادل بعض النكات بالإسبانية إلى أن صاحت "السنیورا" بالإنجليزية قائلة:

— إنه لا امر مخجل الا تسمح لنا الشرطة بمغادرة الجزيرة .. لقد ثرت وصحبت وضربت الأرض بقدمي ولكن كل ما أمكنهم قوله هو: "لا، لا". أتعلمين كيف سينتهي بنا الأمر هنا؟ إننا سنقتل جميعاً. حاول المعجبون بـ "السنیورا" الملتفون حولها أن يهدئوا من ثورتها ولكنها أردفت:

— أجل ... أقول لك إن النحس يلزم هذا المكان، كنت أعلم ذلك منذ البداية. ذلك "العقيد" العجوز ذو الوجه الدميم .. إن نظراته كانت تجلب النحس، وكنت أرسم علامة الصليب كلما وجدته ينظر إليّ بعينيه، ولو أن الحول الشديد الذي كان بهما لم يكن يمكنني من التأكد من أنه ينظر نحوي. فقالت الأنسة "ماربل" موضحة:

— كانت إحدى عينيه من زجاج، وأعتقد أنها كانت نتيجة حادثة في شبابه ولم يكن الذنب ذنبه.

— ولكنني أقول لك إنه كان يجلب النحس ... كانت له عين شريرة ... وعلى كل حال فقد مات، ولن أضطر إلى النظر إليه ثانية ... إنني لا أحب النظر إلى الأشياء القبيحة. عادت السنیورا "دي كاسبيرو" إلى حديثها بالإسبانية في حين أحست الأنسة "ماربل" بأن ما قالت "السنیورا" كان رثاء قاسياً لذكرى "العقيد" المسكين، ثم أدارت بصرها نحو الشاطئ حيث شاهدت "جريجوري دايسون" يخرج من الماء، أما "لاكي" فقد تقلبت في وضعها على الرمال، وقريباً منها كانت تجلس "إيفيلين هيلنجدون" وهي تنظر إليها بطريقة جعلت الأنسة "ماربل" تشعر بقشعريرة تسري في بدنهما مما جعلها تحدث نفسها قائلة: لا يمكن أن يكون هذا شعوراً بالبرد، وفي مثل هذا الجو المشمس الحار. وأخيراً نهضت من مقعدها وعادت متجهة نحو كبيتتها.

التقت في طريقها بالسيد "رافيل" مستنداً إلى ذراع السيدة "والترز" وهما في طريقهما إلى الشاطئ، وقد غمز لها الرجل بعينه ولكنها لم ترد عليه بنفس الطريقة فقد كانت تستهجن مثل هذه الحركات حتى لو كانت صادرة عن رجل عجوز مثل السيد "رافيل". دخلت الأنسة "ماربل" إلى حجرتها واستلقت على فراشها وهي

تشعر بوطاة السن وبالتعب والقلق معاً. كانت واثقة بأن الوقت ضيق وأنه لا مجال لإضاعة أي جزء منه... يجب ألا يضيع منه... أي جزء... إن النهر يقترب... من نهايته.. ها هي الشمس تدنو من الأفق... إنه منظر خلّاب ولكن يجب ألا تنظر إلى الشمس بعينيها المجردتين... ترى أين وضعت نظارة الشمس، تلك التي أهديت لها في إحدى المناسبات... ولكنها لن تحتاج إليها على كل حال... لقد مر خيال أمام قرص الشمس فحجبها. هل هو خيال "إيفيلين هيلنجدون"؟ كلا، ليست "إيفيلين"... الشبح... ماذا كانت العبارة بالضبط... نعم، ها هي تتذكر... ترسم علامة الصليب.. لتتقي شر العين، عين "العقيد" الشريرة. اهتزت أجفان الأنسة "ماربل" وفتحت عينيها. كان النعاس قد غلبها وأخذت تحلم، ولكن الخيال لم يكن حلماً فقد كان هناك خيال فعلاً على زجاج النافذة كان أحداً يحاول أن يطل عليها من الخارج. لم تتحرك الأنسة "ماربل" وهي راقدة إلى أن مر الخيال أمام النافذة وتبعه الرجل.. إنه "جاكسون". كان أول ما تبادر إلى ذهنها أن مثل هذا العمل من الرجل يعتبر وقاحة لا حد لها. ولكن ما الذي يدعو "جاكسون" إلى التلصص عليها وهي في فراشها؟ هل كان يريد التأكد من أنها بالداخل، أو أنها بالداخل ولكن نائمة؟ نهضت الأنسة "ماربل" من الفراش وأسرعت إلى الحمام وأخذت تنظر بحرص من خلال نافذته. كان "آرثر جاكسون" واقفاً عند باب الكبينة المجاورة لها، وهي كبينة السيد "رافيل" وقد رآته يلقي نظرة خاطفة حوله، ثم يتسلل بسرعة إلى الداخل... وبدأ الأمر للأنسة "ماربل" غريباً: فما الذي يدعو "جاكسون" إلى التلصص حوله بهذا الشكل.. إن أحداً ما كان ليجد غرابية في دخول "جاكسون" كبينة مخدومه ولا سيما أن حجرتة هو شخصياً تقع خلفها، فضلاً على ذلك فهو يدخل تلك الكبينة ويغادرها أكثر من مرة طوال اليوم. إذن لماذا تلك النظرات الخاطفة؟ لا يمكن أن يكون لها سوى سبب واحد: هذا هو ما قالت له الأنسة "ماربل" إجابة عن تساؤلها: "إنه يريد أن يتأكد من أن أحداً لا يراه وهو يدخل إلى الكبينة في هذه اللحظة بالذات". كان الجميع لا يزالون على الشاطئ، فيما عدا الذين خرجوا في رحلات. وبعد حوالي عشرين دقيقة سوف يذهب "جاكسون" نفسه إلى الشاطئ ضمن برنامج عمله اليومي ليساعد مخدومه على الاستحمام في البحر. فإذا كان يرمي إلى القيام بعمل ما داخل الكبينة دون أن

يراه أحد، فتلك هي اللحظة المناسبة. لقد تأكد من أن الأنسة "ماربل" نائمة في فراشها وأنه لا يوجد أحد بالقرب من المكان يمكن أن يراقب حركاته... إذن يجب ألا تتوانى هي في مراقبة هذه الحركات. جلست الأنسة "ماربل" فوق حافة فراشها وخلعت صندلها ثم لبست زوجاً آخر يشبه الدبابة، ولكنها سرعان ما هزت رأسها وخلعته ثم أخذت تبحث في حقيبة ملابسها حتى عثرت على زوج آخر كان كعب إحدى فردتيه قد ارتطم بمشبك باب الكبينة فوضعت في حقيبتها إلى أن تسنح لها الفرصة لإصلاحه. تناولت الأنسة "ماربل" الحذاء وأخذت أول أداة وجدتتها في متناول يدها، وكانت مبرد أظفارها، وبحركة ماهرة عملت على أن تزيد من خلخلة الكعب. وبعد أن أتمت المهمة حملت الحذاء في يدها وخرجت إلى الشرفة حافية القدمين إلا من جوربها، وبحذر صائد الطيور الذي يقترب من فريسته.. دارت حول كبينة السيد "رافيل" إلى أن اقتربت من نافذتها الخلفية، وهناك وضعت إحدى قدميها في فردة الحذاء السليمة وأبقت الأخرى في يدها بعد أن أتت على ما بقي من ثبات الكعب فخلعته تماماً ثم انحنى تحت النافذة... كانت خطتها ترمي إلى أنه إذا حدث ورآها "جاكسون" ما ساوره أي شك في أنها تعثرت في سبيلها مما أدى إلى انتزاع كعب الحذاء وإلى سقوطها تحت النافذة، ولكن هذه الاحتمالات المطولة كانت دون داع؛ إذ كان من الواضح أن "جاكسون" لم يسمع شيئاً. استجمعت الأنسة "ماربل" شجاعته وبمتهى الهدوء والحذر وأخذت ترفع رأسها شيئاً فشيئاً حتى حاذت حافة النافذة، ثم أخفت رأسها خلف بعض النباتات المتسلقة وأخذت تنظر داخل الحجرة.

كان "جاكسون" راکعاً أمام حقيبة كبيرة، وكان غطاء الحقيبة مرفوعاً، فامكنها أن ترى أنها كانت مجهزة بطريقة خاصة جعلت فيها أقساماً منفصلة مليئة بالملفات والأوراق، كان "جاكسون" منهمكاً في فحص تلك الأوراق، وكان في بعض الأحيان يتناول أظرفاً ويخرج ما بداخلها وبعد أن يطلع عليها يعيدها إلى مكانها من الحقيبة. لم تلبث الأنسة "ماربل" طويلاً؛ إذ إنها عرفت كل ما كانت تريد معرفته وهو الغرض الذي كان يسعى إليه "جاكسون" من تسلله داخل الكبينة. أما إذا كان هذا الغرض هو البحث عن أوراق معينة أو مجرد الفضول فهذا ما لم يكن باستطاعتها التأكد منه، إلا أن شيئاً واحداً تأكد لها وهو أن "آرثر جاكسون"

كانت له مواهب أخرى خلاف ما يتظاهر به .

كانت المشكلة التي تراجعتها هي كيفية الانسحاب من مكنها، ولكنها بنفس الهدوء والحذر اللذين اتبعتهما في المجيء تمكنت من التسلل خلال حوض الزهور الممتد خلف الكبينة، ووصلت إلى كبينتها، وهناك أعادت الحذاء والكعب الذي خلعه منه إلى الحقيبة وهي تنظر إليه بعطف، فقد أتاحت لها هذه الفكرة وسيلة مبتكرة تستطيع أن تستخدمها مستقبلاً في الظروف المشابهة، وبعد أن احتذت صندلها خرجت إلى الشاطئ وهي مستغرقة في التفكير. ترقبت الأنسة "ماريل" فرصة نزول "أمستر والترز" إلى الماء واحتلت المقعد الذي كانت تشغله بجوار مخدومها، وقد لاحظت أن "جريج" و"لاكي" يتضاحكان ويتحدثان بضجيج وصخب مع السنيورا "دي كاسبيرو" غير بعيد عنها؛ ولذلك فقد تكلمت بصوت هامس ودون أن تنظر إلى السيد "رافيل" وقالت له :

– هل تعلم أن "جاكسون" يتلصص عليك؟ فأجابها السيد "رافيل" بالصوت الهامس نفسه :

– إن ذلك لا يدهشني .. لا بد أنك ضبطته متلبساً، أليس كذلك؟
– لقد تمكنت من مراقبته من خلال النافذة الخلفية دون أن يشعر بي ... وكان قد فتح إحدى حقائبك وأخذ يتفحص محتوياتها من الأوراق .
– لا بد أنه تمكن من صنع مفتاح لها ... إنه رجل واسع الحيلة، ومع ذلك فإن محاولاته ستبوء بالفشل ... إنه لن يعثر في تلك الحقيبة على أي شيء ذي أهمية له . فقالت الأنسة "ماريل" وهي تنظر صوب الفندق :
– ها هو آت .

– لقد حان موعد نزولي إلى الماء، أما أنت، فلا يجب أن تتورطي في أبحاثك ... إننا لا نريد أن تكون جنازتك هي التالية ... تذكرني سنك وكوني على حذر فإنه يوجد بيننا – كما تعلمين – شخص ليست الرحمة من بين صفاته .

الفصل العشرون

حل المساء وأضيئت الأنوار في شرفة الفندق وأخذ النزلاء يتناولون عشاءهم ويتبادلون الأحاديث والضحكات، وإن كان كل ذلك يجري في جو أقل صخباً ومرحاً مما كان عليه الحال منذ يوم أو يومين. وفي الوقت نفسه كانت فرقة الموسيقى النحاسية تعزف. انتهى الرقص مبكراً وبدأ النزلاء في التثاؤب وأخذوا يتسللون إلى حجراتهم، وسرعان ما أطفئت الأنوار وساد السكون.. لقد راح فندق "النخيل الذهبي" في سبات.

- "إيفيلين". "إيفيلين" أصدر هذا النداء الهامس بحدة وتشوق، وسرعان ما تحركت "إيفيلين هيلنجدون" في فراشها وتقلبت فوق وسادتها.
- "إيفيلين"... استيقظي، أرجوك.. وهنا انتصبت "إيفيلين" جالسة في الفراش وشاهدت "تيم كيندال" يتصدر باب الحجرة فأخذت تمحلق إلى وجهه مدهوشة، وقبل أن تنطق بحرف أردف "تيم" قائلاً:

- "إيفيلين"، أرجوك أن تحضري معي. إن "موللي" ليست على ما يرام. لا أدري ما الذي أصابها، وأخشى أن تكون تناولت شيئاً... أدركت "إيفيلين" حقيقة الموقف في الحال وكان قرارها فوراً فقالت:

- حسناً يا "تيم"... سأحضر... عد أنت إليها وسالحي بك بأسرع ما يمكن. اختفى "تيم كيندال" عائداً إلى كбинته في حين أسرع "إيفيلين"، ثم ألقت نظرة على الفراش الآخر.. كان واضحاً أن زوجها لم يشعر بشيء وكان تنفسه هادئاً ومنتظماً.. وترددت "إيفيلين" لحظة، ثم قررت ألا توقظه وغادرت الحجرة مسرعة متجهة نحو المبنى الرئيسي للفندق وتجاوزته إلى كбинته "كيندال" فأدركت "تيم" وهو يهم بدخولها. كانت "موللي" راقدة في فراشها وعيناها مغمضتان وصدرها يعلو ويهبط بغير انتظام.. انحنى "إيفيلين" فوقها ورفعته أحد جفניה، ثم جست نبضها، وأخيراً التفتت نحو المائدة الصغيرة المجاورة للفراش وأخذت تفحص ما عليها من زجاجات. كان على المائدة كوب به بقايا ماء وإلى جواره زجاجة اقراص فارغة، ولما تناولت "إيفيلين" الزجاجة في يدها قال "تيم":

- هذه هي زجاجة الاقراص المنومة التي تستخدمها أحياناً.. كانت الزجاجة ممتلئة لنصفها أمس أو أول أمس... أظنها ابتلعت كل ما كان فيها.

- أسرع باستدعاء الطبيب... وفي طريقك أيقظ بعض العمال واطلب منهم أن يعدوا قدرًا كبيراً من القهوة الساخنة وأن تكون مركزة بقدر الإمكان. هيا... فيم انتظارك؟ انطلق "قيم" مهرولاً، وما كاد يصل إلى الباب حتى اصطدم بـ "إدوارد هيلنجدون"، فقال له:

- أرجو المذرة يا "إدوارد".

- ماذا يجري هنا؟ ماذا حدث؟

- إنها "موللي"... "إيفيلين" معها الآن.. يجب أن أسرع لاستدعاء الطبيب، واعتقد أنه كان يجدر بي أن أستدعيه أولاً.. لم أكن واثقاً، وظننت أن "إيفيلين" تستطيع التصرف... إن "موللي" تكره الأطباء وكنت أخشى أن تثور عليّ لو اتضح أن الأمر لم يكن يتطلب استدعاءه. تبعه "إدوارد" بنظرة لحظة، ثم دخل إلى الحجرة وما إن رأى "إيفيلين" حتى سأله:

- ماذا حدث؟ هل الأمر خطير؟

- أهذا أنت يا "إدوارد"؟ ظننتك نائماً فلم أشأ أن أزعجك... يبدو أن هذه الفتاة المسكينة قد تناولت كمية كبيرة من الأقراص المنومة.

- هل حالتها سيئة؟

- لا يمكن الجزم بذلك إلا بعد معرفة الكمية التي تناولتها، وإن كنت أستبعد الخطر طالما أدركنها في الوقت المناسب... لقد طلبت من "قيم" أن يأمر بإعداد قهوة، فإذا أمكننا أن نجرعها قدرًا منها..

- ولكن لماذا فعلت "موللي" ذلك؟ هل تظنين.. ولما توقف "إدوارد" عن إكمال عبارته سألته "إيفيلين":

- ما الذي أظنه؟

- هل تظنين أنها فعلت ذلك بسبب التحقيق، أقصد الشرطة وما إلى ذلك..؟

- هذا محتمل بالتأكيد.. إن بعض الناس لا تتحمل أعصابهم مثل هذه المواقف.

- إن "موللي" لم يكن ليبدو عليها أنها من ذلك الطراز.

- يصعب علينا أن نحكم بذلك.. إن أكثر الناس هدوءاً هم أقربهم استعداداً لفقد السيطرة على أعصابهم.

- أجل... إنني أذكر... ومرة ثانية لم يستكمل "إدوارد" عبارته، فقالت "إيفيلين":
- الحقيقة أن الواحد منا لا يكاد يعرف شيئاً عن الآخرين، وحتى عن أقرب الناس إليه..
- ألا ترين أنك تبالغين كثيراً؟
- لا أظن ذلك.. إنك عندما تفكر في الآخرين فإن تفكيرك ينصب على الصورة التي تخيلتها لنفسك عنهم.
- ولكنني أعرفك أنت.
- بل يخيل إليك أنك تعرفني.
- ليس هذا صحيحاً.. أنا واثق، كما أنك أنت أيضاً واثقة بي. نظرت إليه "إيفيلين" طويلاً ولم تعقب، ثم التفتت نحو الفراش وأمسكت بـ "موللي" من كتفها وأخذت تهزها وهي تقول:
- يجب علينا أن نفعل شيئاً وإن كنت أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظر حضور الدكتور "جراهام". ها هو... أظن أنني أسمعهما قادمين.

- ابتعد الدكتور "جراهام" عن الفراش وأخذ يجفف العرق الذي تصبب على جبهته، ثم زفر زفرة عميقة وقال:
- هذا يكفي الآن. فسأله "تيم" باهتمام واضح:
- هل تظن أنها ستنجو يا سيدي؟
- أجل، أجل... لقد لحقنا بها في الوقت المناسب وعلى كل حال فمن المحتمل أن كمية الأقراص التي تناولتها لم تكن قاتلة.. ستظل تشعر بالتعب يومين أو ثلاثة ولكنها ستشفى تماماً. قال ذلك وتناول زجاجة الأقراص واستطرد:
- من الذي وصف لها هذه الأقراص؟
- طبيب في "فيويورك".. كانت تشكو كثيراً من الارق.
- إنني أدرك ذلك، كما أنني أعرف أن جميع الأطباء اليوم يصفون هذه العقاقير بسخاء.. لم يعد هناك من ينصح الشباب الذين يعوزهم النوم بأن يحصوا قطيعاً من الأغنام أو يتناولوا كوباً من الحليب (اللبن) الدافئ أو يكتبوا خطابات أو يؤدوا

بعض التمرينات الرياضية قبل أن يأووا إلى الفراش .. إن ما يطلبه الجيل الجديد هو العلاج الفوري، ويخيل إليّ في بعض الأحيان أننا نخطئ في حقهم بالسماح لهم بتناول هذه العقاقير... إنه من أسهل الأشياء أن تضع الأم المَرْضَعَة في فم طفلها لتوقفه عن البكاء، ولكنه من المستحيل أن تداوم على ذلك طيلة حياته. توقف الدكتور "جراهام" عن محاضراته، ثم نظر إلى الأنسة "ماريل" وهو يضحك مستطرداً:

— أراهن أنكم لو سألتم الأنسة "ماريل" عما تفعله لو أعوزها النوم لقاتل لكم إنها تحصى الغنم وهي تمر من باب الحظيرة. قال ذلك والتفت نحو الفراش حيث كانت "موللي" قد بدأت تتحرك .. كانت قد فتحت عينيها وأخذت تنظر إلى المحيطين بها بلا اهتمام ودون أن يبدو من نظراتها أنها تعرفهم. وتناول الدكتور "جراهام" يدها، وقال:

— مرحى، مرحى، يا عزيزتي .. ماذا كنت تحاولين أن تفعلي بنفسك؟ طرفت "موللي" بأهدابها ولم تجب، فقال "قيم" وهو يمسك بيدها الأخرى:

— لماذا فعلت ذلك يا "موللي" .. لماذا؟ أخبريني بالسبب .. ولكن عينا "موللي" ظلتا جامدتين وإن تحركتا فإتما ليستقرا على "إيفيلين هيلنجدون" .. كان من المحتمل أن نظراتها إليها كانت تحمل معنى التساؤل ولكن لم يكن من السهل التأكد من ذلك. وكأنا أدركت "إيفيلين" ما ترمي إليه "موللي" فقالت:

— لقد جاء "قيم" وأيقظني. ثم تحولت "موللي" بنظرها إلى "قيم" ثم إلى الدكتور "جراهام" فقال هذا:

— ستكونين بخير يا بنتي، ولكن حذار من أن تفعلي ذلك مرة ثانية. فقال "قيم" بهدوء:

— إنها لم تكن تقصد أن تفعل ذلك... إنني واثق تماماً .. كل ما هنالك أنها كانت تشعر بالحاجة إلى مزيد من النوم ولما وجدت أن قرصاً واحداً أو قرصين لم يأتيا بنتيجة ابتلعت كمية أكبر، أليس كذلك يا "موللي"؟ لم تجب "موللي" ولكنها هزت رأسها بحركة خفيفة دلالة على النفي، فصاح "قيم":

— اتعنين أنك فعلت ذلك متعمدة؟ وهنا تكلمت "موللي" لأول مرة وقالت:

— أجل ..

- ولكن لماذا يا "موللي"؟ لماذا؟ اهتزت أجفان "موللي" وقالت في صوت لا يكاد يسمع:

- كنت خائفة..

- خائفة! ما الذي يخيفك؟ فتدخل الدكتور "جراهام" وقال:

- يحسن أن نتركها لتستريح. ولكن "تيم" تجاهل هذه النصيحة وقال بإصرار:

- هم تخافين؟ أمن الشرطة؟ لأنهم كانوا يزعمونك ويكثرون من أسئلتهم؟ إن

ذلك لا يدهشني، فإنه كفيـل بأن يخيف أي إنسان، ولكن تلك هي طريقتهم...

هذا هو كل ما في الأمر. لا يوجد شخص واحد يظن أنك.. توقف "تيم" عن إتمام

عبارته بعد أن أشار إليه الدكتور "جراهام" إشارة حازمة بضرورة الكف عن

الاسترسال، في حين قالت "موللي":

- أريد أن أنام. فأجابها الدكتور "جراهام" وهو يتجه نحو الباب:

- هذا خير ما يمكنك أن تفعله. ثم التفت إلى الباقيـن الذين تحركوا وراءه وقال:

- إنها ستنام جيداً الآن. فسأله "تيم" وقد بدا عليه مظهر المدرك للموقف:

- هل هناك ما يجب عليّ عمله؟ وقالت "إيفيلين" بعطف ظاهر:

- سأبقى معها إذا شئت.

- أوه، كلا... كلا... إنها ستكون بخير.. ولكن "إيفيلين" عادت نحو الفراش

ومالت نحو "موللي" قائلة:

- هل أبقى معك يا "موللي"؟ فتحت "موللي" عينيها، وقالت:

- كلا... "تيم" فقط. عاد "تيم" وجلس على حافة الفراش، ثم تناول يدها وهو

يقول:

- أنا هنا يا "موللي" .. هيا اخلدي إلى النوم يا عزيزتي .. لن أتركك وحدك..

تهنـدت "موللي" في استرخاء وأغلقت عينيها. أما الدكتور "جراهام" فقد توقف

خارج الكـبيـنة ومعه "إيفيلين" وزوجها وكانت "إيفيلين" تقول:

- هل أنت واثق يا دكتور بأنها لن تحتاج إليّ؟

- لا أظن.. شكراً لك يا سيدة "هيلنجدون" .. إنها ستتحسن الآن مع وجود

زوجها إلى جانبها، ولكن ربما احتاجت إليك غداً. فإن السيد "كيندال" مضطر

إلى الإشراف على أعمال الفندق، وأظن أنه من الأفضل أن يكون هناك أحد إلى

جوارها. فسأله "إدوارد":

- هل تظن انها ستكرر المحاولة؟ حك الدكتور "جراهام" ذقنه بيده بضيق وقال :
- إن الإنسان لا يستطيع أن يكون متأكداً في مثل هذه الحالات .. الواقع أن تكرار المحاولة غير محتمل، وكما لاحظتم فإن عملية الإنقاذ بالغة القسوة، ومع ذلك فإن الإنسان لا يستطيع أن يكون متأكداً تماماً، فقد يكون لديها من هذه الاقراص زجاجة أخرى تخفيها في مكان ما .

- لم أكن أتصور أن فكرة الانتحار يمكن أن تراود فتاة مثل "موللي" .
- إن الذين يقدمون على الانتحار لا يتحدثون عن عزمهم على ذلك أو يهددون بالإقدام عليه . إنهم لو فعلوا لكان ذلك كفيلاً بالتنفيذ عن مكنونات صدورهم وسرعان ما ينبذون الفكرة . فقالت "إيفيلين" :

- إن "موللي" تبدو دائماً مثلاً للمرأة السعيدة .. إنني أرى من الواجب أن أخبرك يا دكتور "جراهام" ... ترددت "إيفيلين" لحظة، ثم قصت على الطبيب تفاصيل الحديث الذي دار بينها وبين "موللي" على الشاطئ في تلك الليلة التي قتلت فيها الفتاة "فيكتوريا" . وما إن انتهت من روايتها حتى كان وجه الدكتور "جراهام" قد اكتسى مسحة ظاهرة من الجدية، وقال :

- إنني مسرور جداً لأنك أبلغتني بذلك يا سيدة "هيلنجدون" . أن ما ذكرته يدل على أن هناك جذوراً دفيناً لبعض المتاعب .. أجل .. سوف أتحدث في ذلك مع زوجها في الصباح .

بدأ الدكتور "جراهام" حديثه قائلاً :

- أريد أن أتحدث إليك جداً بشأن زوجتك يا سيد "كيندال" . كانا يجلسان في مكتب "تيم" ، وكانت "إيفيلين" قد حلت محله إلى جوار "موللي" في حين وعدت "لاكي" بأن تأخذ دورها فيما بعد، أما الآنسة "ماربل" فقد عرضت خدماتها هي الأخرى، وكان "تيم" المسكين نهبا موزعاً بين التزاماته في إدارة الفندق وبين رعاية زوجته . أجاب "تيم" :

- إنني لا أستطيع أن أفهم .. لم أعد أفهم "موللي" ... لقد تغيرت ... تغيرت لدرجة غير معقولة .

- لقد علمت انه كانت تراودها أحلام مزعجة، فهل هذا صحيح؟

- نعم، نعم، لقد كانت تشكو كثيراً من هذه الأحلام.

- منذ متى؟

- لا أذكر تماماً.. أعتقد أنها بدأت منذ حوالي شهر وربما أكثر، وكنا نظن أنها مجرد أحلام عادية.

- أعرف ذلك، ولكن الخطير في الأمر أنها تبدو خائفة من شخص ما... هل اشتكت لك من ذلك؟

- أجل... الواقع أنها ذكرت ذلك مرة أو مرتين... قالت إن أشخاصاً يقتفون أثرها...

- آه.. تقصد يتجسسون عليها؟

- نعم.. لقد استخدمت هذا التعبير مرة.. قالت إنهم أعداؤها وإنهم اقتفوا أثرها إلى هذه الجزيرة.

- وهل كان لها أعداء يا سيد "كيندال"؟

- كلا.. إن هذا غير معقول..

- ألم تصادف مشاكل في "إنجلترا" قبل زواجكما؟

- أبدا.. لا شيء من هذا القبيل.. كل ما في الأمر أنها لم تكن على وفاق مع أسرتهما.. لقد كانت أمها امرأة غريبة الأطوار، وربما كان من الصعب الحياة معها.. ولكن..

- هل أصيب أي فرد من أسرتهما باضطراب عقلي؟ بدا "تيم" على وشك الإجابة عن هذا السؤال ولكنه أثر الصمت، ثم أخذ يعيث ببعض الأوراق التي أمامه على المكتب، فقال الدكتور:

- يجب أنؤكد لك أهمية الإجابة عن هذا السؤال، وإذا كان شيء من هذا القبيل قد حدث فيحسن أن تخبرني..

- الواقع أن شيئاً مما تقول قد حدث، وإن كان يبدو لي قليل الأهمية.. إن إحدى عماتنا أو خالاتها كانت أقرب إلى الخبل منها إلى التعقل، ولكنني لا أعتقد أن ذلك مما يشكل أية خطورة، فمثل هذه الحالة لا تخلو منها معظم الأسر.

- أجل، أجل... هذا صحيح... أنا لا أريد أن أفزعك، ولكن لا يسعني إلا أن أبصرك بأنه من المحتمل أن يكون بعض أفراد الأسرة عرضة للانقياس العصبي أو التهيزات كلما واجهتهم شدة.

- الواقع أنني في حيرة، ومهما يكن من أمر فإنك لا تتوقع أن يحدثك أحد الناس بكل أسرار العائلة.

- كلا بالتأكيد... إنك على حق.. ألم يكن لها صديق سابق، أو كانت مخطوبة لأحد قبلك، شخص ما قد تدفعه الغيرة إلى تهديدها أو مضايقتها؟

- لا أدري... لا أظن ذلك.. والواقع أن "موللي" كانت مخطوبة لرجل آخر قبل خطبتها لي، وكان والداها يعارضان تلك الخطبة معارضة شديدة، وإن كنت أعتقد أن تمسكها به لم يكن إلا لمجرد العناد والتحدي لا لشيء آخر. وللمرة الأولى ظهرت ابتسامة باهتة على وجه "تيم" وأردف قائلاً:

- أنت تدرك مشاعر الشباب... إذا وجدوا من يعارض تصرفاتهم العاطفية زاد إصرارهم عليها وتماديهم فيها. ابتسم الدكتور "جراهام" هو الآخر، وقال:

- هذا صحيح.. إن ذلك كثير الحدوث؛ ولذا فإنني أرى أن الآباء يجب ألا يتشددوا في الاعتراض على ما لا يعجبهم من أصدقاء أبنائهم؛ لأن هؤلاء غالباً ما ينتبهون للحقيقة من تلقاء أنفسهم وتمر الأزمة بسلام.. وهذا الخطيب الذي أشرت إليه، ألم تصدر عنه أي تهديدات لـ "موللي"؟

- كلا... أنا واثق بأن شيئاً من ذلك لم يحدث وإلا لكانت أخبرتني.. لقد اعترفت لي بأن انجذابها إليه لم يكن إلا نزوة من نزوات المراهقة سببها الأساسي أن الشاب كان سيئ السمعة.

- فهمت.. يبدو لي على كل حال أنه لا توجد خطورة من هذه الناحية، ولكن ثمة شيء آخر.. الظاهر أن زوجتك كانت عرضة لما وصفته بنوبات من فقدان الذاكرة أو الغيبوبة، أو بمعنى آخر فترات قصيرة من الوقت لا تستطيع أن تتذكر مافعلته في خلالها، فهل لديك علم بذلك؟ أجاب "تيم" بتمهل:

- كلا... هذه أول مرة أسمع فيها ذلك، فهي لم تحدثني به مطلقاً.. وبهذه المناسبة فإنني لاحظت أنها أحياناً تبدو في حالة ذهول و... تردد "تيم" قليلاً في التعبير عن وصفه لحالة زوجته ثم أردف:

- أجل.. إن هذا يبدو لي واضحاً... إنني لم أكن لأستطيع أن أفسر السبب فيما كان يصدر عنها أحياناً من نسيان لأبسط الأشياء، وأحياناً أخرى كانت لا تستطيع تحديد الوقت في خلال ساعات النهار... وكنت أعزو ذلك إلى الشرود.

- خلاصة الامر كما يبدو لي الآن يا سيد "كيندال" أنني أنصح مشدداً بأن تعرض زوجتك على إخصائي نفسياني . ظهر الغضب فجأة على ملامح "تيم" ، وقال :

- أتعني طبيب الأمراض العقلية؟

- تمالك أعصابك يا سيد "كيندال" ولا تخذلك هذه التسميات . إن طبيب الأمراض النفسية هو المختص بعلاج الحالات التي يطلق عليها في العادة اسم الانهيار العصبي . إنني أعرف واحداً من هؤلاء الإخصائيين في "كنجستاون" ، وهناك آخرون في "نيويورك" بالتأكيد . إن هناك أسباباً وراء هذه الحالة العصبية التي تشكو منها زوجتك ، وهي أسباب قد لا تدركها هي نفسها ؛ لذلك يجب أن تستشير إخصائياً يا سيد "كيندال" . بل يجب أن تفعل ذلك بأسرع ما يمكن . أتم الدكتور "جراهام" كلامه ، ثم نهض واقفاً وألقى بيده على كتف الشاب الجالس أمامه ثم أردف :

- إنني لا أقصد أن هناك خطراً عاجلاً على زوجتك ... إن لها أصدقاء مخلصين وسوف نلاحظها جميعاً باهتمام وتفان .

- إنها لن ... هل تظن أنها قد تحاول مرة ثانية؟

- أعتقد أن ذلك احتمال بعيد .

- ولكنك لست واثقاً؟

- إن الطبيب لا يمكن أن يكون واثقاً . . إن ذلك هو أول الأشياء التي نتعلمها في مهنتنا . قال ذلك ثم عاد فضغط بيده على كتف الشاب مشجعاً ، واتجه نحو باب الحجرة وهو يقول :

- لا تبالغ في القلق يا سيد "كيندال" . وما إن غادر الدكتور "جراهام" الحجرة حتى صاح "تيم" مخاطباً نفسه :

"ليس أسهل من أن يقول ذلك .. هل يظن أنني مخلوق من طينة غير طينة البشر؟!"

الفصل الحادي والعشرون

قالت "إيفيلين هيلنجدون" وهي تخاطب الآنسة "ماربل" :

— هل أنت واثقة بأن ذلك لن يضايقك؟ فأجابتها الآنسة "ماربل" :

— كلا. مطلقاً يا عزيزتي، إنه ليسرني كثيراً أن أكون ذات فائدة. إنك تدركين أن من كان في مثل سني يشعر بأنه أصبح عديم النفع في هذه الدنيا، خاصة إذا أقام في مكان كهذا، لا هم له فيه إلا متعته الشخصية دون القيام بأي التزام.. إنه ليسعدني جداً أن أبقى إلى جوار "موللي"، وبممكنك أن تخرجني أنت إلى رحلتك. ستذهبن إلى "بليكان بوينت"، اليس كذلك؟

— نعم... إننا نحبها كثيراً أنا و"إدوارد"... إنني لا أمل رؤية الطيور وهي تنفض من عل لتفتنص الأسماك. إن "تيم" مع "موللي" الآن، ولكن لديه الكثير من المهام التي يجب أن يقوم بها وهو لا يحب أن يترك "موللي" وحدها.

— إنه على حق في ذلك، ولو كنت مكانه لفعلت نفس الشيء... إن الإنسان لا يمكنه أن يطمئن ولا سيما بعد المحاولة التي أقدمت عليها بالأمس.. حسناً، اذهبي أنت يا عزيزتي. انصرفت "إيفيلين" لتنضم إلى مجموعة صغيرة كانت في انتظارها تتكون من زوجها و"دايسون" وزوجته وثلاثة أو أربعة آخرين. أما الآنسة "ماربل" فقد راجعت محتويات حقيبة غزلها لتتأكد من أنه لا ينقصها شيء ثم أسرعمت متجهة نحو كبينة "كيندال". عندما وصلت الآنسة "ماربل" إلى شرفة الكبينة سمعت صوت "تيم كيندال" من خلال الباب الزجاجي المؤدي إلى الحجرة والذي كان موارباً... كان "تيم" يقول:

— لو أنك أخبرتني لماذا فعلت ذلك يا "موللي"؟ ما الذي دفعك إليه؟ هل كان السبب أي تصرف صدر عني؟ لا بد أن يكون هناك سبب.. توقفت الآنسة "ماربل" هنيهة ومضت فترة قصيرة قبل أن تتكلم "موللي". كان صوتها أجوف متعباً وهي تقول:

— لا أعرف يا "تيم"... صدقني، فأنا لا أعرف... يخيل إليّ أن شيئاً مبهماً قد استولى على تفكيري. وهنا طرقت الآنسة "ماربل" زجاج الباب ودخلت إلى الحجرة، وما إن رآها "تيم" حتى صاح:

— أهذا أنت يا آنسة "ماربل"، إنه لتلطّف منك أن تحضري..

- عفواً.. إنه ليسرني أن أقدم أية مساعدة.. هل أجلس هنا في هذا المقعد؟ إنك تبدين أحسن كثيراً يا "موللي" وإني لسعيدة بذلك. فقالت "موللي":
- إنني بخير، على خير ما يرام.. كل ما هنالك أنني لا زلت أشعر بالميل إلى النوم.

- سأكف عن الكلام، وما عليك إلا أن تسترخي وتستريحى.. سأشغل نفسي بهذا الصوف. ألقى "تيم" على الأنسة "ماربل" نظرة شكر ثم غادر الحجر، فاعتدلت هي في مقعدها وأخذت تخرج معدات الغزل من حقيبتها. كانت "موللي" راقدة على جانبها الأيسر وقد بدا عليها الإرهاق الشديد، وبصوت لا يكاد يتعدى الهمس قالت:

- إنه لكرم منك يا آنسة "ماربل".. أظن أنني... سأنام.. قالت ذلك وهي تدير رأسها فوق الوسادة وتغلق عينيها.. كان تنفسها يقترب من الانتظام وإن كان لا يزال بعيداً عن حالته الطبيعية، أما الأنسة "ماربل" فقد كانت خبرتها الطويلة في رعاية المرضى قد جعلتها تمد يدها لتصلح من وضع ملء الفراش وتثبت أطرافها تحت الحشية. وبينما هي تفعل ذلك لامست يدها شيئاً صلباً مربع الشكل، وبدافع لا إرادي سحبته إلى الخارج فإذا به كتاب.. ألقى الأنسة "ماربل" نظرة سريعة على الفتاة الراقدة أمامها فوجدتها هادئة وأغلب الظن أنها استغرقت في النوم، ففتحت الكتاب ووجدت أنه يبحث في الأمراض العصبية.. كانت الحافة العليا لإحدى الصفحات مطوية دلالة على توقف القارئ عندها، وكان موضوعها وصفاً لعقدة الاضطهاد وبعض مظاهر حالة انفصام الشخصية وما يصاحبها من أعراض.

لم يكن الكتاب مما يمكن اعتباره مرجعاً طبياً، فقد كان يخاطب القارئ العادي دون التعمق في الاصطلاحات الطبية العميقة.. وأخذت الأنسة "ماربل" تقرأ وقد اكتسى وجهها ملامح الجد والاهتمام، ولكنها لم تستمر في القراءة سوى بضعة دقائق أغلقت بعدها الكتاب وأعادته إلى مكانه بحذر وهذوء. كانت الأنسة "ماربل" تشعر بالحيرة، فنهضت من مقعدها باحتراس زائد وسارت في الحجر بضعة خطوات نحو النافذة، ثم التفتت فجأة إلى الخلف وإذا بها تواجه عيني "موللي" المفتوحتين، ولكن ذلك لم يدم سوى لحظة خاطفة وأغلقت "موللي" عينيها ثانية. وقفت الأنسة "ماربل" لحظة مترددة وأخذت تسائل نفسها عما إذا كانت تلك

النظرة السريعة الخاطفة وهماً، أم أن "موللي" كانت تتظاهر بالنوم طوال الوقت . قد يكون ذلك أمراً طبيعياً إذا كانت "موللي" تخشى أن تبدأ الآنسة "ماريل" في التحدث إليها إذا هي ظلت مستيقظة .. أجل إن ذلك محتمل جداً، ولكن تلك النظرة التي خيل إليها أنها رأتها في عيني "موللي"، ألم تكن لتحمل في طياتها شيئاً من المكر والخداع؟ أخذت الحيرة تشتد بالآنسة "ماريل"، وبقدر ما تعمقت في التفكير فإنها لم تستطع أن تجد للأمـر تفسيراً . وأخيراً قررت أن تحاول التحدث في هذا الأمر مع الدكتور "جراهام" في أول فرصة تسنح لها، وكأنما شعرت بشيء من الراحة لهذا القرار فعادت إلى مقعدها بجوار الفراش . وبعد حوالي خمس دقائق تأكدت من أن "موللي" قد استغرقت فعلاً في النوم هذه المرة، فغادرت مقعدها ثانية .. كانت تحتذي في قدميها صندل الشاطئ وهو وإن لم يكن من طراز حديث ولكنه كان متسعاً ومريحاً لقدميها . أخذت تتجول بهدوء في أرجاء الحجـرة وتاملت قليلاً عند كل من البابين الزجاجيين المؤديين إلى اتجاهين مختلفين . كان أحدهما يطل على الأرض الفضاء المحيطة بالفندق وكانت خالية تماماً، فعادت الآنسة "ماريل" إلى مقعدها وقبل أن تجلس توقفت قليلاً وقد خيل إليها أنها سمعت صوتاً خافتاً خارج الحجـرة، صوتاً أشبه ما يكون بصوت احتكاك حذاء بالأرض... ترددت الآنسة "ماريل" برهة قصيرة، ثم أسرعـت إلى الباب الزجاجي وفتحته قليلاً ثم خرجت إلى الشرفة وأدارت رأسها نحو الحجـرة وهي تقول:

- لن أغيب سوى لحظة قصيرة يا عزيزتي . سأذهب إلى كـبينتي لإحضار النموذج الذي أغزل منه . كنت واثقة بأنني أحضرته معي ولكنني لم أجده .. لا تقلقي، ستكونين بخير إلى أن أعود، اليس كذلك يا عزيزتي؟ بعد أن أتمت الآنسة "ماريل" هذه المظاهر الكلامية وهي تقول لنفسها: إن "موللي" المسكينة نائمة فعلاً، وإن ذلك سيفيدها كثيراً . سارت في الشرفة إلى أن وصلت إلى الدرج فنزلته، وانثنت إلى اليمين في الممر المحيط بالكـبينة متخذة طريقها في تخف بين شجيرات الزهور التي تحف بالممر إلى أن وصلت إلى الباب الخلفي للكـبينة ودلفت منه إلى الداخل . وجدت نفسها في حجـرة صغيرة كان "قيم" يستخدمها مكتباً خاصاً وهي تؤدي إلى حجـرة المعيشة . كانت نوافذ هذه الحجـرة مغطاة جميعها بالستائر لتلطيف الجو فيها، فاتجهت الآنسة "ماريل" إلى إحداها واختبأت خلفها، ومن هذا الوضع كان باستطاعتها أن ترى أي شخص يحاول الاقتراب من حجـرة نوم

"موللي". ولبثت في مكانها بضع دقائق قبل أن ترى شيئاً ..

صعد "جاكسون" في حلته البيضاء الناصعة درجات الشرفة، ثم توقف لحظة عند الباب الزجاجي للحجرة "موللي". أخذ يطرقة طرقات خفيفة، ولما لم ي تلق رداً تلفت حوله بعجلة، ثم دلف إلى الحجرة، وهنا انتقلت الأنسة "ماريل" من مخبئها وانجهت إلى الباب المؤدي إلى الحمام الملحق بالكبينة، وتوقفت قليلاً وهي تقطب حاجبها يدهشة مما شاهدت، ثم أسرعت خارجة إلى الممر الخلفي ومنه إلى الحمام. كان "جاكسون" واقفاً أمام الرف الذي يعلو حوض الحمام، وما إن شعر بالآنسة "ماريل" معه حتى استدار نحوها مذعوراً وأخذ يقول متلعثماً:

— أوه ... لم أكن .. فقاطعته الأنسة "ماريل" وكانها فوجئت هي الأخرى بوجوده وصاحت:

— السيد "جاكسون"!

— كنت أظن أنني سأجذك هنا.

— هل تبحث عن شيء؟

— الواقع أنني كنت أريد أن أعرف أي نوع من الكريمات تستخدمه السيدة "كيندال" لبشرة وجهها. لاحظت الأنسة "ماريل" أن هذه الإجابة كان لها ما يعززها فقد كان "جاكسون" عندما فاجأته يمسك في يده بإحدى العلب التي تحتوي على كريم الوجه. وقد أردف قائلاً وهو يحك أنفه بيده:

— إن العطر الذي مزج بهذا الكريم له رائحة جميلة، والمادة نفسها جيدة .. إن الكريمات الرخيصة لا تلائم كل البشرات، وقد تولد بها بشوراً تشوه جمال البشرة، ونفس الشيء ينطبق على المساحيق ..

— يبدو أن لديك خبرة ..

— أظن ذلك، فقد عملت فترة من الوقت في إحدى المؤسسات الكيميائية، وهناك أمكنني أن ألم بالكثير من مستحضرات التجميل .. إنك لا تستطيعين أن تتصورى مدى الرواج الذي يلقاه أي مستحضر إذا ما عُبئ في إناء جذاب وأحيط بأغلفة فاخرة .. عادت الأنسة "ماريل" إلى مقاطعته بحزم، وقالت:

— أهذا هو السبب في ..

— أوه كلا .. إنني لم أحضر إلى هنا للتحدث عن مستحضرات التجميل. قالت الأنسة "ماريل" تحدث نفسها: "إنه لم يجد فسحة كافية من الوقت لإعداد كذبة

مناسبة، فلنر الآن ما سيقوله". استطرد "جاكسون" قائلاً:
- الواقع أن السيدة "والترز" كانت قد أعارت أحمر شفاه إلى السيدة "كيندال"
منذ يومين، وقد جئت لاستعادته لها. لقد طرقت باب الحجرة، ثم لاحظت أن
السيدة "كيندال" مستغرقة في النوم؛ ولذلك خطر ببالي أنه لا ضرر في أن أدخل
إلى الحمام للبحث عنه.

- وهل عثرت عليه؟ هز "جاكسون" رأسه وقال:
- كلا... يحتمل أن يكون في إحدى حقائب يدها، وعلى كل حال فالأمر ليس
مهمًا.. إن السيدة "والترز" لم تتشدد في مطالبتها به.. لقد ذكرت الموضوع عرضاً
في أثناء حديثنا معاً. أخذ "جاكسون" يتفحص مختلف المستحضرات التي على
الرف واستطرد قائلاً:

- ليس عندها الكثير.. وعلى كل حال فإن من كان في مثل سنها لا يحتاج إلى
الكثير.. بشرة شابة طبيعية أليس كذلك؟ ابتسمت الأنسة "ماربل" وقالت:
- لا بد أنك تنظر إلى النساء بنظرة تختلف عن نظرات باقي الرجال.
- أجل.. اعتقد أن قلب الرجل في مختلف الوظائف يساعد على تغيير
وجهات نظره.

- هل تعرف الكثير عن العقاقير؟
- إن لي إلماماً وثيقاً بها.. إن الأسواق اليوم مليئة بالمعات منها، فهناك مثلاً
العقاقير المهدئة والمنشطة والعقاقير التي تصنع المعجزات إلى غير ذلك. إن ما يوجد
منها بالسوق أكثر مما يجب، وإن كنت أرى ألا ضرر منها إذا كان الطبيب هو الذي
يصفها.. إن بعضها قد يكون خطراً على الحياة..

- أظن ذلك.. نعم، إن ذلك حقيقي.
- إن مثل هذه العقاقير ذات تأثير قوي في سلوك الإنسان، ويظهر ذلك جلياً في
تلك التصرفات الهستيرية التي يتسم بها شباب الجيل الجديد، فهي تصرفات غير
طبيعية وسببها راجع إلى تعاطي بعض هذه العقاقير. وليس هذا بمستغرب، فإن
تأثيرها معروف منذ القدم. وهناك في الشرق - ولا أدعي أنني كنت هناك -
تحدث أشياء عجيبة نتيجة لتعاطي هذه العقاقير. إن الدهشة لتتولاك إذا علمت بما
تقدمه بعض الزوجات هناك لأزواجهن، ففي "الهند" مثلاً وفي العصور الماضية،
كانت الزوجة الشابة التي تتزوج برجل طاعن في السن، لا تفكر في أن تتخلص منه

لأنه إذا مات فإنها تحرق فوق نفس العرمة التي تحرق فيها جثته، وحتى إذا لم تحرق فإنها تظل منبوذة من جميع أقاربها؛ ولذا فلم تكن أية امرأة هندية لترغب في أن تصبح أرملة في تلك الأيام، ولكنها كانت تلجأ إلى إبقاء زوجها تحت تأثير العقاقير المخدرة، كالداتورة مثلاً، فإن ذلك كان كفيلاً بأن يجعله يبدو كالابله ويصبح عرضة للهذيان والتخيلات مما يدفع به بالتدريج نحو الجنون. توقف "جاكسون" قليلاً وهو يهز رأسه مستنكراً ويقول:

- يمكنك أن تسمي ذلك بالجرائم المستترة. ولما لم تعلق الآنسة "ماريل" أردف:
- وهناك أيضاً السحرة.. إن الحكايات التي تروى عنهم تثير الاهتمام.. لماذا كانوا يضطرون دائماً إلى الاعتراف بأنهم سحرة وهم يعلمون أن جزاء الساحر هو الحرق حياً؟
- كانوا يعذبون؟

- ليس دائماً.. حقيقة فإن كثيراً من حالات الاعتراف ترجع إلى التعذيب، ولكن الكثيرين كانوا يتطوعون بالاعتراف حتى قبل تهديدهم بالتعذيب. والغريب في الأمر أن اعترافاتهم كانت تتسم بطابع التفاخر... أتدريين ماذا كانوا يفعلون؟ كان يدهنون أجسامهم بدهانات خاصة يدخل في تركيبها بعض المواد المخدرة مثل البلادونا والأتروبين، فإذا ما ذلك بها الجسم يشعر الساحر بأنه أصبح خفيف الوزن مثل الطائر ويأخذ في الهذيان، كان يخيل إليه أنه يطير في الفضاء مثلاً. والعجيب أن أولئك المساكين كانوا يؤمنون بتلك التخيلات. ناهيك من السحرة، وتأملي مثلاً حالة الحشاشين الذين كانوا ينتشرون في العضور الوسطى في مناطق شرقي البحر الأبيض المتوسط. وكانت المادة المخدرة التي يتعاطونها هي بذور القنب الهندي وسرعان ما كانوا يسبحون في أجواء من جنات عدن التي تزخر بالخوريات وهم في ذلك يعتقدون أنهم يشاهدون ما سيحظون به بعد الموت. غير أن الأمر بالنسبة إلى تلك الفئة لم يكن سهلاً، فإنه لكي يصبحوا أعضاء في طائفة الحشاشين كان عليهم أن يؤدوا عملية قتل، وهي عملية كانت تكتسب طابعاً مقدساً.. إنني لا أبالغ، ولكن هذا هو ما يقصه علينا التاريخ.

- إن ذلك ليدل على قدر ما يمكن أن تصل إليه سذاجة الإنسان.
- أجل.. أعتقد أن هذا هو التعبير السليم.
- إن الإنسان يميل إلى تصديق كل ما يقال له. إن هذه الصفة تكاد تكون عامة. ساد الصمت بينهما لحظة قصيرة، ثم سأله الآنسة "ماريل" بشيء من الحدة:

- من أخبرك بكل هذه الروايات عن "الهند"، أقصد عن تخدير الزوجات لازواجهن باستخدام العقاقير؟ وقبل أن يجيبها "جاكسون" صاحت به:

- أهو العقيد "بالجريف"؟ بدت الدهشة على وجه "جاكسون"، وقال:

- الواقع أن العقيد "بالجريف" هو الذي قص عليّ هذه القصص، والكثير غيرها. وعلى الرغم من أن تلك العادات والتقاليد لا تمت لعصرنا الحديث بصلة إلا أنه كان يبدو ملماً بها إلماً عميقاً.

- إن العقيد "بالجريف" كان يتخيل أنه يعرف الكثير عن كل شيء... إن معظم قصصه كانت تفتقر إلى الدقة. صممت الآنسة "ماربل" وهي تهز رأسها مفكرة، ثم قالت:

- إن العقيد "بالجريف" يجب أن يحاسب حساباً عسيراً. وهنا تنأهى إلى سمعها صوت صادر عن الحجرة المجاورة، فالتفتت نحو مصدره وأسرت خارجة من الحمام إلى حجرة نوم "موللي"، وهناك وجدت "لاكي دايسون" على وشك دخول الحمام ولكنها ما إن أبصرت الآنسة "ماربل" حتى قالت:

- أوه.. لم أكن أظن أنك هنا يا آنسة "ماربل"..

- لقد غادرت الحجرة إلى الحمام منذ برهة وجيزة.

- خطر لي أنك قد ترغبين في أن أجلس مع "موللي" بعض الوقت. قالت ذلك وهي تنظر نحو الفراش ثم أردفت:

- إنها نائمة، اليس كذلك؟

- أعتقد ذلك... ولكن لا داعي لوجودك.. اذهبي وتمتعي بوقتك.. أوه.. كنت

أظن أنك سترافقين الآخرين إلى "بليكان بوينت".

- كنت أنوي ذلك فعلاً، ولكنني في آخر لحظة شعرت بصداق ففضلت البقاء

لاستريح، ثم خطر لي أن أقوم بمساعدتك..

- هذا تلطف كبير منك.. لقد انهمكت في غزل الصوف، والواقع أنني لا أشعر بأي

تعب. ترددت "لاكي" قليلاً، ثم استدارت وغادرت المكان. وانتظرت الآنسة "ماربل"

بعض لحظات، ثم عادت إلى الحمام لتجد أن "جاكسون" قد انصرف من الباب الخلفي،

فبادرت الآنسة "ماربل" إلى قدر الكريم الذي كان "جاكسون" يفحصه وأسقطته في

جيبها.

الفصل الثاني والعشرون

لم يكن الانفراد بالدكتور "جراهام" بالأمر السهل كما كانت تتخيله الآنسة "ماربل"، وقد كان يهمها ألا تبدأ حديثها معه بطريقة مباشرة؛ لأنها لم تكن لتود أن تشير اهتمامه بالأسئلة التي أعدها له. كان "تيم" قد عاد للاطمئنان على "موللي" واتفقت معه الآنسة "ماربل" على أن تعود لتحل محله إلى جوار زوجته عندما تبدأ فترة الإعداد للعشاء حيث يكون وجوده ضرورياً في قاعة الطعام. وقد أكد لها "تيم" أن السيدة "دايسون" على استعداد لتقوم بهذه المهمة وكذلك فعلت السيدة "هيلنجدون"، إلا أن الآنسة "ماربل" بينت له بتصميم أن كلا من السيدتين لا تزال شابة وتحتاج إلى الترفيه عن نفسها، أما هي فتفضل على كل حال أن تتناول عشاء خفيفاً مبكراً، وعلى ذلك لم تعد هناك مشكلة، فشكرها "تيم" بحرارة.

خرجت الآنسة "ماربل" من كبينة "كيندال" وأخذت تحوم على غير هدى حول الفندق وفي الممرات التي تصل ما بين الكباثن ومن بينها كبينة الدكتور "جراهام". وفي خلال ذلك كانت قد وضعت خططها لما ستقوم به بعد ذلك. كان ذهنها مشحوناً بعدد من النظريات المتضاربة، الأمر الذي كانت الآنسة "ماربل" تكرهه أشد الكره. إن الأعمال الإجرامية التي وقعت في الفندق قد بدت واضحة بما أظهره العقيد "بالجرريف" من غرام شديد برواية القصص وبعدم الحذر في أقواله التي لا بد أنها وصلت إلى أسماع الشخص الذي كان يجب الحذر من وصولها إليه، ثم النتيجة المنطقية التي أدت إلى مقتله قبل مضي أربع وعشرين ساعة... وكانت الآنسة "ماربل" ترى أن كل شيء واضح إلى هذا الحد...

ولكن ما حدث بعد ذلك قد اضطرها إلى تغيير رأيها؛ إذ وجدت نفسها تتجه اتجاهاً متعددة في وقت واحد، فإذا ما بدأنا باقتناعها بعدم تصديق كل كلمة قيلت لها وبعدم الثقة بأحد ممن حولها وبأن كثيراً من الأشخاص الذين تحدثت إليهم كانوا يشبهون أشخاصاً آخرين عرفتهم في قريتها "سانت ماري ميد"... إذن لما بدأنا بتلك البداية... فإلى أين إذن يصل بها هذا الاقتناع؟ كان تفكيرها يتركز في الضحية التالية، فهناك شخص ما في طريقه إلى أن يقتل، إنه يجب عليها أن تعرف تماماً من هو ذلك الشخص. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ هناك شيء ما، لا تعرف ماهيته يتردد في ذهنها... هل هو شيء لاحظته، أم هو شيء رأيته؟ إن

شخصاً ما قد أخبرها بشيء له علاقة بالأحداث أهي "جوان بريسكوت"؟ إن "جوان" قد تحدثت عن أشياء كثيرة تتعلق بأشخاص عديدين.. هل كان ذلك بشأن إحدى الفضائح، أو مجرد ثرثرة؟ ماذا قالت لها "جوان" بالضبط؟ هل هو "جريجوري دايسون" أم زوجته؟ أخذ تفكير الأنسة "ماريل" يحوم حول "لاكي"، وهي واثقة تمام الثقة النابعة من طبيعتها المتشككة بأن "لاكي" لها صلة وثيقة بوفاة زوجة "جريجوري دايسون" الأولى، فضلاً على أن كل الظواهر تشير إلى ذلك. فهل من المحتمل أن يكون الشخص الذي تخشى الأنسة "ماريل" أن يكون هو الضحية المرتقبة هو "جريجوري دايسون"؟ وأن "لاكي" تنوي أن تجرب حظها مرة ثانية مع زوج جديد وأنها لهذا السبب ترغب، ليس فقط في التخلص من زوجها الحالي، بل هي تطمع في أن تصبح الوريثة الوحيدة للثروة الطائلة التي سيخلفها؟ انتقلت الأنسة "ماريل" من هذه التأملات وأخذت تحدث نفسها قائلة: "ولكن كل ذلك ليس إلا تخمينات... ألا ما أشد غبائي!.. أجل، إنني أعترف بالغباء، فإن الحقيقة لا بد أن تكون في منتهى البساطة لو أمكن فقط إزالة كل هذه الحواشي التي تحيط بها وتحجبها عن الأنظار. وهنا جفلت الأنسة "ماريل" فزعة على صوت السيد "رافيل" يقول لها:

— اتحدثين نفسك؟ لم تكن قد شعرت بمقدمه... كان يستند إلى ذراع "استر والترز" وهما قادمان من داخل الكبينة إلى الشرفة. فاجابته قائلة:

— لم ألحظ قدومك يا سيد "رافيل".

— لقد رأيت شفتيك تتحركان.. لم كل هذه الحيرة التي تبدو عليك؟

— إن الأمر لا يزال عاجلاً. والشيء الذي يحيرني ويقلقني هو أنني عاجزة عن إدراك الحقيقة على بساطتها.

— يسرني أنك تعتبرينها بهذه البساطة، وعلى كل حال إذا احتجت إلى مساعدة فيمكنك الاعتماد علي. وهنا أدار السيد "رافيل" رأسه وقد رأى "جاكسون" مقبلاً نحوهم من الممر وقال:

— أهذا أنت أخيراً؟ أين كنت بحق السماء؟ ألا يمكن أبداً أن أجذك في الوقت الذي احتاج فيه إليك افاجاب "جاكسون" وهو يضع كتفه تحت إبط السيد "رافيل":

— إني آسف يا سيدي... هل ترغب في الخروج إلى الشرفة؟

— خذني إلى البار، أما أنت يا "استر" فيمكنك الانصراف لتغيير ملابسك،

وقابليني في الشرفة بعد نصف ساعة. انصرف السيد "رافيل" مستنداً إلى "جاكسون" في حين ألقت السيدة "الترز" بثقلها على المقعد المجاور للآنسة "ماريل" وأخذت تدلك ذراعها وهي تقول:

- إنه خفيف الوزن ومع ذلك فيني أشعر الآن بأن ذراعي مخدرة... إنني لم أرك بعد ظهر اليوم يا آنسة "ماريل".

- هذا صحيح... لقد كنت جالسة إلى جوار "موللي كيندال" .. يبدو عليها تحسن كبير.

- إذا سألتني لقلت لك إن حالتها لم تكن لتشكّل أية خطورة. رفعت الآنسة "ماريل" حاجبها دهشة وقد لاحظت أن لهجة السيدة "الترز" أقرب ما تكون إلى الجفاف، ثم قالت:

- أتعنين أن محاولتها الانتحار...

- لا أظن أنه كانت هناك أية محاولة للانتحار، ولا أستطيع أن أصدق أنها تناولت جرعة قاتلة من ذلك المنوم. والدكتور "جراهام" يعرف ذلك جيداً.

- إنك في الواقع تثيرين اهتمامي، وإنني لأعجب ما الذي يجعلك تقولين ذلك. - لأنني أكاد أكون واثقة بأن هذا هو ما حدث... إنها حالة تتكرر كثيراً في أوساطنا، وأعتقد أنها وسيلة من وسائل اجتذاب انتباه الآخرين... إنها عادة تحدث عندما تكون المرأة مغرمة بزوجها ولكنها لا تلقى منه الاهتمام الكافي بها.

- إنك لا تظنين أن "موللي كيندال" مغرمة بزوجها؟ فاجابت "استر" بتردد: - الواقع... وأنت؟ هل تظنينها مغرمة به؟ تمهلت الآنسة "ماريل" قليلاً قبل أن تجيب عن هذا التساؤل، ثم قالت:

- لقد افترضت ذلك إلى حد ما، وربما كنت مخطئة. ابتسمت "استر" ابتسامة ذات مغزى، وقالت:

- لقد سمعت بعض الروايات عنها وعن قصتها بالكامل. - هل الآنسة "بريسكوت" هي التي أخبرتك؟ وهنا انتقلت الآنسة "ماريل" بتفكيرها إلى البداية... إلى العقيد "بالجريف"... كان ثمة شيء غامض يحاول أن يثبت وجوده في خاطرها.. شيء يتعلق بالعقيد "بالجريف". لو استطاعت فقط أن تزيل الغموض عن هذا الخاطر... أن تذكر.

الفصل الثالث والعشرون

وكان المساء والصباح هما اليوم الأخير... انتهت الآنسة "ماربل" فجأة واعتدلت في مقعدها، ثم أخذت تتساءل عما إذا كانت تكلم نفسها، أم أنها قد غفت قليلاً وأخذت تحلم... إن الفرقة الموسيقية النحاسية مازالت تعزف، وإذا أمكن للإنسان أن يغفو في وسط هذا الضجيج.. فإن المعنى الوحيد لذلك هو أنها بدأت تالف هذا المكان. ولكن ما هذا الذي كانت تقوله.. نعم، إنها إحدى الفقرات التي قرأتها في مكان ما، ولكنها أخطأت في استعادة صيغتها.. اليوم الأخير؟ كلا، بل إن صحة النص هي: اليوم الأول ولكن هذا لم يكن هو اليوم الأول، ولعله لن يكون الأخير أيضاً.

ايقنت الآنسة "ماربل" أنها في أشد حالات التعب... الحيرة والقلق والشعور بأنها قصرت فيما كان يجب ألا تقصر فيه... إنها تعود الآن للتفكير في تلك النظرة الماكرة التي ألقتها عليها "موللي" وهي تتظاهر بالنوم. ترى ما الذي كان يدور بخلد تلك الفتاة؟ إن كل شيء يبدو مختلفاً عما رأته في مبدإ الأمر، حيث كانت ترى في "تيم" و"موللي" نموذجاً لأسعد زوجين. ليس هما فقط، بل والعقيد "هيلنجدون" وزوجته وما كانت تصفهما به من أنهما زوجان طيبان و"جريج دايسون"... الصاحب المرح، وزوجته اللطيفة "لاكي" التي لم تكن لتكف عن الكلام حتى يشعر المستمع إليها أنها أسعد خلق الله، وهؤلاء الأربعة وما يبدو عليهم من التفاهم والتجانس.. ثم "كانون بريسكوت"، ذلك الرجل الهادئ العطوف، وشقيقته "جوان بريسكوت"، التي تعتبر امرأة لطيفة، وعلى الرغم من لمسة الحقد التي تتخلل عباراتها، ومثل هذا الطراز من النساء لا يستغنين عن الثروة وهن يرغبن في الوقوف على حقيقة ما يجري حولهن من أحداث، وأن يكون لهن الحق في استنتاج ما يحلو لهن من واقع تلك الأحداث. إنه طراز لا خطر منه، إن السننهن مفلوطة الزمام ولكنهن عادة يبدن العطف على مآسي الآخرين. أما السيد "رافيل" .. إنه شخصية قوية.. رجل لا يمكن أن ينسى. هنا شعرت الآنسة "ماربل" بأنها تعرف شيئاً آخر عن السيد "رافيل"... إن الأطباء قد أقروا بعجزهم حياله.. لقد قال لها ذلك بنفسه، ولكنهم الآن قد يكونون أكثر ثقة... وإن السيد "رافيل" يعلم أن أيامه باتت معدودة، وفي هذه الحالة... هل كان هناك ما يجب

على السيد "رافيل" أن يفعله؟ تباطأت الآنسة "ماريل" في تفكيرها عندما وصلت إلى هذا التساؤل... إن الإجابة عنه قد تكون مهمة. ترى ماذا كان يقول لها، وقد علا صوته فوق العادة بلهجة الواثق بما يقول؟ إن الآنسة "ماريل" قد اكتسبت خبرة طويلة في تمييز لهجات الأصوات، فهي تقضي معظم وقتها في الإصغاء... إن السيد "رافيل" قد قال لها شيئاً ما، ولكنه لم يكن صادقاً فيما قال. تلفتت الآنسة "ماريل" وراحت تتأمل ما حولها: نسمة المساء المنعشة، وعبير الزهور، والموائد المتناثرة في الشرفة وما عليها من أضواء حائلة، والنساء في ملابس السهرة التي تبدي فتنتهن، ومن بينهن "إيفيلين" وقد ارتدت ثوباً أزرق مطرزاً بحواشي بيضاء، و"لاكي" في ثوبها الأبيض الذي يكاد يلتصق بجسدها وشعرها الذهبي يلمع مع انعكاسات الأنوار الخافتة، وما بدا على الجميع من مرح وسعادة، حتى أن "تيم كيندال" نفسه كان يبتسم وهو يقرب من مائدتها ويقول لها:

- إنني عاجز عن شكرك لكل ما بذلته... إن "موللي" تكاد الآن أن تكون في حالتها الطبيعية، ويقول الطبيب إنها تستطيع مغادرة الفراش غداً. ابتسمت له الآنسة "ماريل" وأبدت ارتياحها لهذا الخبر ومع ذلك فقد شعرت في قرارة نفسها بأنها وجدت مشقة في الابتسام... لا شك في أنها مجهدة تماماً. نهضت الآنسة "ماريل" من مكانها وسارت بخطى بطيئة نحو كابينتها... كانت تود لو أمكنها الاستمرار في التفكير وتمحيص النتائج وفي محاولة تذكر ما غاب عنها واستجماع مختلف الحقائق والعبارات والنظرات التي مرت بها. ولكنها كانت عاجزة عن ذلك وقد أخذ عقلها المتعب يشور عليها وينادي مطالباً بالراحة... والنوم. نعم، يجب أن تنام. خلعت الآنسة "ماريل" ملابسها واستلقت في فراشها. حاولت أن تقرأ بعض الأشعار من كتاب كانت تحتفظ به إلى جوار فراشها ولكنها لم تستطع فمدت يدها وأطفأت النور وهي تتبهل إلى الله وتعترف لنفسها بأن الإنسان لا يمكنه أن يفعل كل شيء بمفرده... يجب أن يطلب العون من الآخرين، ومهما يكن من أمر فهي تأمل بل وترجو ألا يحدث شيء في تلك الليلة. استيقظت الآنسة "ماريل" من نومها فجأة وهبت جالسة في فراشها. كان قلبها يخفق بشدة، فأضاء المصباح ونظرت إلى الساعة الصغيرة الموضوعة بجوار الفراش... كانت الساعة الثانية صباحاً، ومع ذلك تناهى إلى سمعها صوت ضوضاء في الخارج. أسرعت بمغادرة الفراش وألقت وشاحاً على كتفها، ولفت رأسها بشال من الصوف الخفيف

وغادرت الكبينة لتستطلع كنه الأصوات التي أيقظتها... كان أول ما شاهدته عدداً من الأشباح تتحرك في الظلام وقد حمل كل منهم بطارية مضيئة، وشاهدت من بينهم "كانون بريسكوت"، فيممت شطره وسألته:

— ماذا يجري هنا؟

— أوه، آنسة "ماربل"؟ إنها السيدة "كيندال".. لقد استيقظ زوجها فلم يجدها في فراشها ونحن نجري البحث عنها. قال ذلك وغادرها مسرعاً في حين تبعته الآنسة "ماربل" على مهل.. ترى أين ذهبت "موللي"؟ ولماذا خرجت في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ هل فعلت ذلك عن تدبير سابق...؟ انتظرت حتى استغرق زوجها في النوم ثم تسللت خارجة؟ كانت الآنسة "ماربل" ترى أن هذا الافتراض جائز، ولكن لماذا تفعل "موللي" ذلك؟ هل كانت "استر والترز" مصيبة فيما أكده من أن هناك رجلاً آخر؟ وإذا كان الأمر كذلك فمن هو؟ أم لعل هناك سبباً آخر أكثر بشاعة؟ استمرت الآنسة "ماربل" في سيرها تلتفت يمينا ويساراً وتبحث بين الشجيرات، وفجأة سمعت نداء خافتاً:

— هنا... من هذا الاتجاه.. كان النداء صادراً عن مسافة قريبة فيما وراء حديقة الفندق، وخيل إلى الآنسة "ماربل" أنه لابد صادر عن جهة الخليج الصغير الذي يوجد عند نهاية الممر المؤدي إلى الشاطئ، فأسرفت الخطى في الاتجاه الذي قدرته. لم يكن عدد الأشخاص الذين خرجوا للبحث عن "موللي" كبيراً كما خيل إلى الآنسة "ماربل" في بداية الأمر، ولا غرابة في ذلك إذ إن معظم النزلاء نيام في حجراتهم. كان الباحثون قد تجمعوا عند حافة الخليج الصغير وبينما هي في طريقها إليهم اصطدم بها شخص يعدو لاهثاً في نفس الاتجاه كاد أن يطرحها أرضاً وقد عرفت فيه "تيم كيندال". وقبل أن تصل إلى الجمع سمعت صوت "تيم" وهو يصيح:

— "موللي" يا إلهي، "موللي"! أسرع! الآنسة "ماربل" الخطى نحو الجمع فوجدته يتكون من أحد السقا الكوبيين و"إيفيلين هيلنجدون" وفتاتين من خدم الفنادق الوطنيات.. كانوا قد تباعدوا عن بعضهم ليفسحوا طريقاً لـ "تيم"، وشاهدته وهو يجثو فوق الجسم الرائد على الأرض وهو يكرر صيحته:

— "موللي".. شاهدت الآنسة "ماربل" الجسد الملقى على حافة الخليج، وكان الوجه مغموراً تحت سطح الماء بينما تهدل الشعر الذهبي فوق الشال الأخضر المطرز

- الذي كان يكسو الكتفين. وعندما مد "تيم" يده محاولاً لمس الجثة بادرت الأنسة "ماريل" بهدوئها المعتاد وخبرتها بمثل هذه المواقف فصاحت به بصوت آمر:
- لا تحركها يا سيد "كيندال"... يجب ألا تحركها. رفع "تيم" وجهه نحو الأنسة "ماريل" وكأنه لا يصدق أذنيه وقال:
- ولكن... يجب... إنها "موللي"... يجب... وهنا تدخلت "إيفيلين هيلنجدون" ولمست كتفه برفق وهي تقول:
- "تيم"، تشجع.. إنها ميتة... إنني لم أحركها من موضعها ولكنني جسست نبضها. فأجاب "تيم" بذهول:
- ميتة؟! "موللي" ماتت؟ اتعنين أنها... أغرقت نفسها؟
- أخشى ذلك.
- ولكن لماذا؟ ثم نددت عنه صرخة مكتومة وأردف:
- لماذا بحق السماء؟ كانت في منتهى السعادة هذا الصباح، وكنا نناقش ما سوف نفعله في الغد. كيف يمكن أن تعاودها هذه الفكرة الفظيعة.. لماذا تتسلل بهذه الطريقة في جوف الليل، وتقطع كل هذه المسافة لتغرق نفسها..؟ لماذا كل هذا اليأس من الحياة، لماذا لم تصارحني بما كان يضايقها؟
- فقالت "إيفيلين" مواسية:
- لا أحد يعرف يا عزيزي... الحقيقة أنني لا أدري. وقالت الأنسة "ماريل":
- يحسن أن يذهب أحدكم لاستدعاء الطبيب كما يجب إخطار الشرطة.
- فصاح "تيم" بمرارة:
- الشرطة! وما الفائدة؟
- إن الشرطة يجب أن تخطر في حالة الانتحار. نهض "تيم" واقفاً بتناقل وقال:
- سأذهب لاستدعاء الدكتور "جراهام". ومن يدري، ربما استطاع أن يفعل شيئاً. انصرف "تيم" ميمماً شطر الفندق في حين وقفت "إيفيلين هيلنجدون" إلى جوار الأنسة "ماريل" وهما يتاملان الجثة الراقدة على حافة الماء، ثم قالت "إيفيلين":
- لا فائدة... لقد ماتت تماماً... إن برودة جسمها تدل على أنها فارقت الحياة منذ ساعة على الأقل... يا لها من مأساة! إن هذين الزوجين كانا من أسعد الأزواج، وأنا أعتقد أن قواها العقلية لم تكن في حالة اتزان.

- كلا، لا أعتقد أن قواها العقلية كان بها أي اختلال . فنظرت إليها "إيفيلين" باستغراب وقالت :

- ماذا تقصدين؟ وقبل أن تجيب الأنسة "ماربل" انقضت السحابة الخفيفة التي كانت تحجب ضوء القمر، وبدا القمر بدرأ ينشر ضوءه على الأرض وانعكست أشعته الفضية على الشعر الذهبي الذي كان يغطي كتفي القتيلة . وما لبثت الأنسة "ماربل" أن أطلقت صيحة تعجب، ومالت بجسمها تدقق النظر في الجثة المسجاة أمامها ثم مدت يدها ولمست الرأس الذهبية، وقالت مخاطبة "إيفيلين" بصوت لا يكاد يمت بصلة لصوتها الطبيعي :

- أظن أننا يجب أن نتأكد . حملقت إليها "إيفيلين" بذهول وقالت مستنكرة :

- ولكنك أنت نفسك قلت لـ "تيم" إنه يجب عدم لمس الجثة !
- أعرف، ولكن القمر كان محتجبا، ولم أكن قد رأيت .. قالت ذلك وهي تمد يدها وتباعد بين خصلات الشعر عند منابتها، ثم مدت أصبعها تشير إليها وهي تنظر إلى "إيفيلين" التي ما لبثت أن صاحت :

- "لاكي" !! وبعد لحظة من الصمت أردفت :
- إنها ليست "موللي" ... هذه هي "لاكي" ! حنت الأنسة "ماربل" رأسها إيجابا وقالت :

- إن شعرهما لا يكاد يفترق في لونه ولكن شعر "لاكي" يختلف في أن منابته سوداء لأنها تصبغه .

- ولكنها تضع على كتفيها الشال الأخضر الخاص بـ "موللي" .
- لا غرابة في ذلك، فهي قد أبدت إعجابها به، وقد سمعتها تقول إنها تستشيري واحدا مثله ولا بد أنها فعلت ذلك .

- إذن فهذا هو السبب في أننا أخطانا تمييز شخصية الجثة .. توقفت "إيفيلين" عن استكمال عبارتها وهي تمحلق إلى وجه الأنسة "ماربل" التي نظرت إليها وقالت :

- يجب إخطار زوجها . لم تجب "إيفيلين" في الحال، ثم قالت :
- حسنا، سأفعل ذلك . انصرفت "إيفيلين" مخترقة أشجار النخيل في حين ظلت الأنسة "ماربل" لحظة في مكانها دون حراك، ثم أدارت رأسها قليلا وقالت :

- حسناً يا سيادة العقيد "هيلنجدون"؟ برز "إدوارد هيلنجدون" من بين الأشجار خلف الآنسة "ماربل" واقترب منها قائلاً:
- كنت تعرفين أنني هنا؟
- لقد رأيت ظلك. ران الصمت بينهما لحظة قصيرة، ثم تكلم "إدوارد" وكأنه يخاطب نفسه:
- إذن فهذه هي النهاية... لقد تحدثت حظها أكثر مما يجب.
- أظنك مسروراً لموتها؟
- وهل يفزعك ذلك؟ أجل. أنا لا أنكر أنني مسرور لموتها.
- إن الموت كثيراً ما يضع الحلول للمشاكل المستعصية. أدار "إدوارد" رأسه ببطء وهو ينظر إلى الآنسة "ماربل" بثبات، وقال:
- إذا كنت تظنين... وهنا تقدم "إدوارد" خطوة نحوها وقد بدت على ملامحه أمارات الوعي، ولكن الآنسة "ماربل" واجهته بثبات وقالت بصوت هادئ:
- إن زوجتك ستعود مع السيد "دايسون" بعد لحظات، كما أن السيد "كيندال" سيحضر هو الآخر ومعه الدكتور "جراهام". استعاد "إدوارد" بعض هدوئه وأدار رأسه يتأمل المرأة المسجاة على حافة الخليج، فانتهزت الآنسة "ماربل" هذه الفرصة وتسلمت مبتعدة عن المكان وسرعان ما اتسعت خطواتها وأخذت تهوول في طريقها إلى الفندق. وقبل أن تصل إلى كбинتها توقفت فجأة وهي تنظر حولها.. إن هذا هو المكان الذي كانت تجلس فيه مع العقيد "بالجريف" وهو يروي لها القصة ثم يخرج محفظته ليطلعها على صورة القاتل... إنها الآن تتذكر كيف رفع بصره عن الصورة، ثم احتقن وجهه فجأة، وتراءت لها صورته في تلك اللحظة أقرب شبهاً من ذي قبل بالضفدعة المختطة، أو كما قالت السنيورا "دي كاسبيرو":
"إنه كان يجلب النحس. كانت له عين شريرة...". العين الشريرة... العين...

الفصل الرابع والعشرون

لم يكن السيد "رافيل" قد شعر بشيء مما جرى في جوف الليل. كان مستغرقاً في النوم يتصاعد من فمه غطيط خفيف عندما شعر بمن يمسك بكتفيه ويهزه بعنف،

فتفتح عينيه مفزوعاً وهو يصيح :

- ما هذا بحق السماء؟ فأجابته الأنسة "ماربل" :

- أنا، وأعتقد أن قدماء الإغريق لو رأوني في هذه الحالة لشبهوني بالإلهة "فميسيس". رفع السيد "رافيل" رأسه مستنداً إلى مرفقيه بقدر ما سمحت له حالته وأخذ يحملق إلى وجه الأنسة "ماربل" وهي تقف إلى جوار فراشه وضوء القمر يتلألأ من خلفها، وقد لفت رأسها في وشاح من الصوف الوردي وبدت فعلاً كالإلهة التي ذكرتها، إلهة العدالة والانتقام لدى قدماء الإغريق، فقال :

- إذن فانت "فميسيس"؟

- أمل أن أكونها، إذا ساعدتني، ولهذا جئت إليك.

- هلا تفضلت بإخباري عم تتكلمين وماذا تفعلين هنا في جوف الليل؟

- أعتقد أننا يجب أن نتصرف بسرعة، بل بأسرع ما يمكن، لقد كنت غبية...

بل في منتهى الغباء.. كان يجب أن أدرك الحقيقة منذ اللحظة الأولى.. لقد كان الامر كله في غاية البساطة.

- عم تتكلمين؟

- إنك نمت طويلاً يا سيد "رافيل"، وبينما أنت مستغرق في النوم عشر القوم على جثة. كنا نظن في مبدئ الأمر أنها جثة "موللي كيندال" ولكنها لم تكن جثتها بل جثة "لاكبي دايسون" وقد لقت حتفها في الخليج. فبدت الدهشة على وجه السيد "رافيل" وزاد تنبهه ثم قال :

- "لاكبي" غريقة في الخليج فهل أغرقت نفسها أم أن شخصاً آخر فعل ذلك بالنيابة عنها؟

- بل إن شخصاً آخر أغرقها.

- أظنني بدأت أفهم.. اليس هذا هو ما كنت تعنيه بقولك إن الامر في غاية البساطة؟ كان "جريج دايسون" هو المسؤول الأول وقد صبح اشتباهاً فيه. اليس هذا هو ما تظنين؟ وأنت الآن تخشين أن يفلت من القصاص. نددت عن الأنسة "ماربل" زفرة عميقة، ثم قالت :

- سيد "رافيل"، هل يمكنك أن توليني ثقتك؟ يجب أن نتعاون لمنع وقوع جريمة قتل، وليس أمامنا دقيقة واحدة نضيعها.

- ظننتك تقولين إنها وقعت فعلاً؟

- الجريمة التي وقعت لم تكن هي المقصودة، والضحية الحقيقية تقف الآن على حافة الموت؛ لذلك فلا وقت لدينا نضيعه ويجب أن نحول دون وقوعها. يجب أن نتصرف فوراً.

- من السهل عليك أن تتكلمي هكذا.. إنك تكثرين من تكرار كلمة "نحن"... ماذا تظنينني مستطيعاً أن أفعله؟ أنت تعلمين أنني لا أستطيع مجرد المشي دون مساعدة، فكيف نستطيع "نحن" أن نمنع وقوع جريمة قتل؟ إن وزنك لا يتجاوز خمسة وأربعين كيلوجراماً أما أنا فلست إلا حطاماً.

- أنا لا أريدك أنت، وإنما أقصد "جاكسون"... إنه لن يتردد في تنفيذ كل ماتامره به، أليس كذلك؟

- هذا صحيح، ولا سيما إذا وعدته بحسن الجزاء... أهذا هو ما ترمين إليه؟
- نعم. هيا اطلب منه أن يأتي معي وأن ينفذ كل ما سأطلبه منه. أخذ السيد "رافيل" ينظر إليها لبضع ثوان، ثم قال:

- لك ذلك، وإن كنت أظن أنني مقدم على أعظم مخاطرة مرت بي في حياتي.. وعلى كل حال فلن تكون الأولى. قال ذلك، ثم رفع صوته منادياً:
- "جاكسون"... وفي نفس الوقت أخذ يضغط بأصبعه على زر الجرس المجاور للفرش. لم تمض ثلاثون ثانية حتى كان "جاكسون" يدخل مهرولاً من الباب المؤدي إلى الحجرة المجاورة وهو يقول:

- هل ناديتني يا سيدي وهل دققت الجرس؟ هل حدث شيء... بتر "جاكسون" كلامه وأخذ يحملق إلى وجه الأنسة "ماربل" وقد تملكته الدهشة لوجودها في حجرة مخدمه في مثل هذه الساعة، ولكن السيد "رافيل" صاح به:
- "جاكسون، عليك منذ هذه اللحظة أن تنفذ كل ما سأقوله لك: ستذهب مع الأنسة "ماربل"، ستذهب معها إلى أي مكان تفودك إليه وتفعل كل ما تطلبه منك بدقة، هل فهمت؟

- أنا...

- هل فهمت؟

- أجل يا سيدي.

- وإذا فعلت فلن تندم... سوف أجزل لك العطاء.

- شكراً، شكراً يا سيدي. فقالت الأنسة "ماربل" وهي تتجه إلى الخارج:

- هيا بنا يا سيد "جاكسون". ثم التفتت خلفها وقالت للسيد "رافيل":
– سوف نمر في طريقنا بالسيدة "والترز" ونطلب منها أن توافيك... اطلب منها أن
تساعدك على مغادرة الفراش واللاحاق بنا.
– ألحق بكم، أين؟
– في كيبنة "كيندال"... اعتقد أن "موللي" سوف تعود إلى هناك.

عادت "موللي" عن طريق المسر الموصول إلى البحر وكانت عينهاا تحديقان إلى الفضاء أمامها وهي تغمغم بعبارات غير واضحة من وقت إلى آخر. صعدت الدرج المؤدي إلى الشرفة، وتوقفت لحظة، ثم اتجهت نحو الباب الزجاجي المؤدي إلى حجرة نومها ففتحتة ودلفت إلى الداخل.. كانت الانوار مضاءة في الحجرة، أما الحجرة فكانت خالية، فاتجهت "موللي" نحو الفراش وجلست على حافته. وظلت في هذا الوضع بضع دقائق لا تبدي حراكا سوى رفع يدها إلى جبهتها بين الحين والآخر وتدليكها وهي في حالة استغراق عميق. وفجأة ألقت نظرة خاطفة حولها ثم مدت يدها تحت الحشية وأخرجت الكتاب الذي كانت تخبئه هناك، وأخذت تقلب صفحاته إلى أن عثرت على الصفحة المطلوبة، ولكن قبل أن تتمادى في القراءة تناهى إلى سمعها صوت أقدام تعدو في الخارج وهي تقترب من الحجرة، فرفعت رأسها عن الكتاب وبحركة سريعة كحركة من يقاجأ بارتكاب ذنب أخفت الكتاب خلف ظهرها. دخل "تيم كيندال" الحجرة وهو يلهث، وما كاد يرى "موللي" حتى أطلق زفرة ارتياح وقال:

- شكراً لله، أين كنت يا "موللي"؟ لقد بحثت عنك في كل مكان.
– ذهبت إلى الخليج.
– إلى أين؟
– ذهبت إلى الخليج ولكني لم أستطع البقاء هناك. كان هناك شخص تحت الماء، كانت ميتة..

- اتعنين... هل تعلمين أنني ظننتك إياها.. لقد تبين لي الآن أنها "لاكي".
– لم أقتلها.. صدقني يا "تيم"، أنا لم أقتلها.. أنا واثقة بذلك.. أعني أنني لاأبد أن أتذكر إذا كنت قد قتلتها، اليس كذلك؟ جلس "تيم" على حافة الفراش وقال بصوت عالٍ:

- إنك لم .. هل أنت واثقة بذلك؟ أوه، كلا بالتأكيد أنت لم تقتليها .. كفي عن التفكير بهذه الطريقة. إن "لاكي" قد أغرقت نفسها ... لابد إنها أغرقت نفسها ... إن "هيلنجدون" قد أهملها تماماً فما كان منها إلا أن ذهبت إلى الخليج ووضعت رأسها تحت الماء.

- إن "لاكي" لا يمكن أن تفعل ذلك، ولكنني لم أقتلها .. أقسم أنني لم أفعل ذلك.

- بالتأكيد يا عزيزتي، بالتأكيد. قال ذلك وهو يحيطها بذراعه، ولكنها أبعده عنها ونهضت واقفة وهي تقول:

- إنني أكره هذا المكان. كان يجب أن يكون دائم البهجة ولكن الكتابة أصبحت تغمره .. إن أشباحاً شريرة تخيم عليه ... أشباحاً سوداء، وهي ترفرف فوق رأسي ولا أستطيع منها فكاكاً. أخذ صوت "موللي" يعلو بالتدريج وهي تتكلم حتى كاد يبلغ حد الصراخ، فحاول "تيم" تهدئتها وهو يقول:

- أخفضي من صوتك يا "موللي" ... بحق السماء لا تصرخي هكذا. هب "تيم" واقفاً وذهب إلى الحمام ثم عاد وبيده كوب، وقال وهو يقدمه لها:

- هيا ... اشربي هذا ... إنه سيعيد إليك هدوءك.

- لا ... لا أستطيع أن أشرب شيئاً ... إن أسناني تصطك.

- بل تستطيعين، هيا يا حبيبتي .. اجلسي هنا على الفراش. عاد "تيم" ليحيط "موللي" بذراعه ثم أدنى الكوب من فمها وهو يقول:

- هذه هي فتاتي العاقلة، هيا اشربي .. وهنا صدر صوت من خلف الباب الزجاجي .. كان صوت الآنسة "ماريل" وقد بدا واضحاً وحازماً وهي تقول:

- "جاكسون"، هيا. خذ هذا الكوب وحافظ عليه جيداً .. خذ حذرك، إنه قوي ومن المحتمل أن يتحول إلى ثور هائج. كان هناك شيء ما يميز "جاكسون"، ذلك أنه تدرب على إطاعة الأوامر .. كان من ذلك الطراز الذي يعبد المال، وقد وعده السيد "رافيل" بجائزة مالية، والسيد "رافيل" رجل يقدس الوعود. وفضلاً على ذلك فقد كان "جاكسون" ذا قوام رياضي مفتول العضلات خفيف الحركة رشيقها. عبر "جاكسون" الحجرة في لمح البصر وامتدت إحدى يديه فامسكت بالكوب الذي كان في تلك اللحظة يلامس شفتي "موللي"، وأحاط عنق "تيم" بذراعه الأخرى، وبحركة بارعة تمكّن من نثني رسغ "تيم" واستخلاص الكوب من

يده. وقد حاول "تيم" التخلص من قبضة "جاكسون" ولكن هذا الأخير كان متمكناً منه تماماً، فاخذ يصيح وهو يحاول التملص منه:

— ما هذا بحق السماء! دعني. قلت لك دعني. هل جنتت يا رجل، ماذا تفعل؟
فقلت الآنسة "ماربل":

— لا تدعه يفلت منك يا "جاكسون". وهنا جاء صوت السيد "رافيل" وهو يدخل الحجرة من الباب الخارجي مستنداً إلى ذراع السيدة "والترز" وهو يقول:

— ماذا يجري هنا؟ فصاح "تيم":

— أتسال ماذا يجري؟ إن رجلك هذا قد أصابه الجنون... هذا هو ما يجري...
مره بأن يتركني. ولكن السيدة "ماربل" قاطعته قائلة:

— كلا... لا تتركه يا "جاكسون". فالتفت السيد "رافيل" نحوها، وقال:

— تكلمي يا "فميسيس"... يجب أن تسمعينا القصة.

— لقد كنت غبية، ولكني الآن لست كذلك.. عندما يجري تحليل محتويات هذا الكوب التي كان يحاول تجريعها لزوجته فإنني أراهن بكل ما هو عزيز لدي أنهم سيجدون فيها كمية كبيرة من المواد المخدرة. إنه نفس الأسلوب الذي ذكره العقيد "بالجريف" في قصته: الزوجة المكتئبة التي تحاول الانتحار، والزوج الوفي ينقذها في اللحظة الأخيرة، ولكن المحاولة الثانية تنجح وتموت الزوجة. نعم.. إنه نفس المنوال. لقد روى لي العقيد "بالجريف" القصة، ثم أخرج صورة القاتل ليطلعني عليها وعندما رفع بصره وشاهد... حاول السيد "رافيل" أن يكمل العبارة فقال:

— فوق كتفك اليمنى..

— كلا... إنه لم يشاهد شيئاً فوق كتفي اليمنى..

— ماذا تقولين؟ إنك أخبرتني..

— إن ما أخبرتك به كان خطأ.. لقد كنت مخطئة تماماً، بل لقد أظهرت من الغباء ما لا يمكن التسامح فيه... إن العقيد "بالجريف" كان يبدو وكأنه ينظر فوق كتفي اليمنى، بل قل إنه كان يحملق إلى شيء ما، ولكنه لم يكن ليستطيع أن يرى شيئاً؛ لأنه كان يحملق بعينه اليسرى... وعينه اليسرى كانت هي العين الزجاجية. فقال السيد "رافيل":

— الآن أستطيع أن أتذكر أنه كانت له فعلاً عين زجاجية... كنت قد نسيت ذلك... اتعنين أنه لم يكن ليستطيع أن يرى شيئاً؟

- بل كان يستطيع أن يرى، ولكن بعين واحدة، وكانت العين التي يستطيع أن يرى بها هي عينه اليمنى. وهكذا فإن الشيء الذي كان ينظر إليه لم يكن وراء كتفي اليمنى بل وراء الكتف اليسرى.

- وهل كان هناك أحد خلفك من جهة اليسار؟

- أجل... كان "تيم كيندال" وزوجته يجلسان قريباً منا... كانا يجلسان إلى مائدة بالقرب من بعض أحواض الزهور وقد انهمكا في مراجعة حسابات الفندق، وهكذا فإن "العقيد" عندما رفع بصره عن الصورة كانت عينه اليسرى، وهي العين الزجاجة تبدو كأنها تحملت خلف كتفي اليمنى، أما ما رآه فعلاً بعينه الأخرى، فقد كان رجلاً يجلس بالقرب من بعض شجيرات الزهور وكان الوجه الذي رآه في الصورة، وإن كان يبدو أكبر سناً. لقد سمع "تيم كيندال" القصة كما كان يرويها لي "العقيد" ثم شاهد "العقيد" وهو يخرج الصورة ولاحظ أنه تعرف إليه؛ ولذلك فقد اضطر إلى قتله. وفيما بعد اضطر إلى قتل الفتاة "فيكتوريا" لأنها رآته وهو يضع زجاجة أقراص "السيرينايت" في حجرة "العقيد"... لم تكن الفتاة قد ساورها أي شك في مبدإ الأمر؛ لأنه كان طبيعياً أن يدخل "تيم كيندال" كبائن النزلاء من وقت إلى آخر، وكان من المحتمل في نظرها أن يكون وجود "تيم" في حجرة "العقيد" هو ليعيد إليها شيئاً كان "العقيد" قد نسيه في الفندق، ولكنها عندما عادت للتفكير في الأمر بعد مقتل "العقيد" أخذت تسأل بعض الأسئلة وبذلك حكمت على نفسها بالموت، ولكن هذه المحاولة التي أفسدناها هي الجريمة الأصلية التي كان يخطط لها منذ البداية... إن "تيم كيندال" هذا هو قاتل الزوجات. وهنا قاطعها "تيم" صارخاً:

- ما هذه السخافات، ما... ولكنه لم يتم عبارته إذ انطلقت فجأة صرخة هستيرية مشحونة بالغضب من "استر والترز"، وتركت ذراع السيد "رافيل" بعنف كاد يؤدي إلى سقوطه، ثم اندفعت عبر الحجرة وأخذت تشد "جاكسون" وهي تصبح:

- دعه، دعه... هذا غير صحيح... ليس في كل ما قيل كلمة واحدة صحيحة... "تيم"، "تيم" حبيبي... قل إن هذا غير صحيح... إنك لا يمكن أن تقتل أحداً... أنا أعرف أنك لا تستطيع... إنها تلك الفتاة الفظيعة التي تزوجتها... إنها كانت تنشر حولك الأكاذيب... كل هذا الذي قيل كذب... إنني أثق بك وأنا

أحبك... لن أصدق أبداً كلمة واحدة مما قيل.. إنني.. وهنا فقد "تيم كيندال" السيطرة على أعصابه وصاح بها في شراسة:
- أخرسي أيتها البلهاء.. أتريدين منهم أن يشنقوني؟ فقال السيد "رافيل" بصوت خافت:
- يا للمرأة الغبية المسكينة.. إذن فهذا هو ما كان يجري حولنا..

الفصل الخامس والعشرون

جلس السيد "رافيل" والسيدة "ماربل" على انفراد وكأنهما في مؤتمر خاص... وقال السيد "رافيل":
- إذن فهذا هو ما كان يجري حولنا؟ كانت "استر" على علاقة غرامية مع "تيم كيندال"، أليس كذلك؟
- من الصعب أن نسميها علاقة، وفي تصوري أنها لم تكن تتعدى اتصالاً عاطفياً على أساس الزواج مستقبلاً.
- ماذا تقولين! أكان ينوي الزواج بعد وفاة زوجته؟
- لا أظن أن "استر والترز" المسكينة كانت تعرف أن "موللي" كانت ستموت. إن ما أتصوره أنها صدقت ما قصه عليها "تيم" من أن "موللي" كانت تحب رجلاً آخر وأن هذا الرجل يتبعها إلى هنا؛ ولذا فإني أستطيع أن أتخيل أنها كانت تتوقع أن يحصل "تيم" على الطلاق. إنها في رأيي لم تتجاوز حدود التحفظ واللياقة، ولكنها كانت متدلّهة في حبه.
- من السهل إدراك ذلك، فهو رجل جذاب، ولكن ما الذي يجعل "تيم كيندال" يتعلق بها.. هل تعرفين ذلك أيضاً؟ فقالت الآنسة "ماربل" بتخايب وهي تبتسم:
- وأنت، ألا تعرف؟
- أستطيع أن أخمن، ولكنني لا أدري كيف تمكنت أنت من معرفته، والأكثر من ذلك كيف تمكن "تيم"..
- الواقع أنني أستطيع أن أفسر كل ذلك باستعمال قدر معقول من الخيال، ولكن الأمر يصبح أكثر بساطة لو أخبرتني أنت.
- كلا. لن أخبرك، تخيلي ما شئت ما دمت بهذه المهارة.

- حسناً.. إن ما أتخيله، وكما سبق أن أملت لك، هو أن "جاكسون" قد دأب على اللعب بأوراقك من وقت إلى آخر.
- وكما قلت لك فإن هذا محتمل جداً.
- أستطيع إذن أن أتصور أنه اطلع على وصيتك.
- أوه، فهمت.. أجل.. كانت لدي صورة من الوصية.. الآن أتذكر ذلك.
- ولقد أخبرتني بأنك لم توص بشيء لـ "استر والترز" وأنتك أكذبت لها هذه الحقيقة، كما أكذبتها لـ "جاكسون".. أما أنك لم توص بشيء لـ "جاكسون"، فهذا صحيح، ولكنك تركت مالا لـ "استر" ولو أنك لم تكن تنوي أن تجعلها تخمن شيئاً من ذلك.. هل هذا صحيح؟
- أجل، إنه صحيح، وإن كنت لا أدري كيف علمت أنت به.
- من الطريقة التي كنت تحاول أن تؤكد بها العكس. إن لي بعض الخبرة بالطرق التي يتبعها بعض الناس عندما يكذبون.
- إنني أسلم لك بالانتصار.. حسناً، لقد تركت لـ "استر" مبلغ خمسين ألف جنيه.. ستكون مفاجأة سارة لها بعد وفاتي. وأستطيع الآن أن أتصور كيف أن "تيم كيندال"، بعد أن عرف بهذه الحقيقة، قرر أن يتخلص من زوجته الحالية بإعطائها السم، ثم يتزوج هذه الثروة ومعها "استر والترز". ومن المحتمل أنه لم يكن ليجد مانعاً من التخلص منها هي الأخرى في الوقت المناسب، ولكن كيف عرف هو بأنها سترث هذا المبلغ؟
- من "جاكسون" بالتأكيد.. لقد كان الاثنان على مودة وثيقة.. كان "تيم كيندال" يظهر كثيراً من المجاملة لـ "جاكسون" ولم يكن يرمي بذلك إلى أي غرض سيئ، ولكن في خلال المحادثات التي كانت تدور بينهما أفلت لسان "جاكسون" وأخبر "تيم" بأن "استر والترز" لا تعرف أنها سترث ثروة طائلة، وربما قال له "جاكسون" إنه يأمل أن يقنعها بالزواج به، على الرغم من أنه لم يفلح حتى الآن في اكتساب عطفها. أجل.. أعتقد أن هذا هو ما حدث.
- إن الأشياء التي تخيلينها تبدو دائماً معقولة..
- ولكنني كنت غبية، بل مفرطة في الغباء.. إن كل شيء يبدو الآن مطابقاً للواقع تماماً.. كان "تيم كيندال" رجلاً ماهراً جداً وفي الوقت نفسه شريراً جداً. وقد ظهرت مهارته بصفة خاصة في ترويع الإشاعات... إن أغلب الروايات التي

سمعتها هنا كان هو مصدرها.. من ذلك ما سمعته من أن "موللي" كانت ترغب في الزواج برجل غير مرضي عنه وإن كنت أرجح أن يكون هذا الرجل هو "تيم كيندال" نفسه، ولو أن هذا الاسم لم يكن هو الاسم الذي كان يعرف به في ذلك الوقت.. كان أهلها قد سمعوا عنه ما لا يسر؛ ولذلك قام بإخراج تمثيلية رائعة، فرفض أن يقابل أهل "موللي" واتفق معها على خطة مأكرة وضعها واعتبرها نوعاً من المداعبات الفكاهية فتظاهرت "موللي" بتمسكها بذلك الشاب وفجأة يظهر "تيم كيندال" معزراً بأسماء عدد من أصدقاء الأسرة، فرحبوا به واعتبروه نموذجاً للشاب الذي يستطيع أن يزيح شبح الشاب الآخر من ذهن "موللي"، وما يؤسف له أنه هو و"موللي" قد ضحكا كثيراً لنجاح هذه المهزلة، ومهما يكن من أمر فقد تزوجها واستخدم مالها في شراء هذا الفندق وجاءا ليستقرا فيه، وأستطيع أن أتخيل أيضاً أنه لم يبق على شيء مما كانت تمتلك. وفجأة يعثر على "استر والترز" ويرى فيها مشروعاً جديداً دسماً. فقاطعها السيد "رافيل" :

— لماذا لم يتخلص مني؟ تظاهرت الآنسة "ماربل" بالسعال، ثم قالت :

— اعتقد أنه أراد أن يتأكد أولاً من السيدة "والترز".. هذا من جهة، ومن جهة أخرى.. أقصد... توقفت الآنسة "ماربل" وهي تشعر بالحرج من إتمام عبارتها فقال السيد "رافيل" مكماً :

— وأنه تحقق من أنه لن يضطر إلى الانتظار طويلاً، وأنه من الأفضل لي وله أن أموت موتة طبيعية... فضلاً على ذلك فإن وفاة أحد أصحاب الملايين لا يمكن أن تمر بنفس البساطة التي تمر بها وفاة أية زوجة.

— اعتقد أنك على حق.. لقد كان بارعاً للغاية في إطلاق الأكاذيب.. يكفي أن ننظر إلى الأكاذيب التي جعل "موللي" نفسها تصدقها، بوضعه ذلك الكتاب الذي يبحث في الأمراض العقلية في متناول يدها، ثم إعطائها عقاقير تسبب لها أحلاماً وهذياناً. أتدري... إن "جاكسون" كان ماهراً في هذا الصدد! اعتقد أنه عرف بعض الأعراض التي كانت تبدو على "موللي"، وأدرك أنها مما قد ينتج من المخدرات، وهذا هو ما جعله يتسلل إلى كبيتنها ويعبث بالآنية التي كانت في الحمام.. إن كريم الوجه الذي كان يتفحصه قد أوحى إليه بفكرة تربطه بالقصص القديمة التي تتعلق بالسحرة الذين كانوا يدلكون أجسامهم بالدهون المحتوية على البلادونا، وهذا العقار إذا وضع يؤدي إلى نفس النتيجة، وهي نوبات الغيبوبة

أو فقدان الذاكرة التي كانت "موللي" تتعرض لها.. لقد كانت تمر بها أوقات لا تستطيع أن تتذكر عنها شيئاً، ثم تلك الأحلام التي كانت تتخيل فيها نفسها طائرة في الهواء. لا عجب في أن الخوف تملكها من اختلال عقلها، فإن كل هذه الظواهر تطابق بعض الأعراض المميزة لكثير من الأمراض العقلية. لقد كان "جاكسون" يسير في الطريق الصحيح، وربما كان العقيد "بالجريرف" هو الذي أوحى إليه بالفكرة عن طريق القصص التي كان يرويها عن استخدام النساء الهنديات للداتورة للسيطرة على أزواجهن. تمهلت الآنسة "ماربل" قليلاً لتلتقط أنفاسها، فقال السيد "رافيل":

- العقيد "بالجريرف" يا له من رجل!

- لقد حكم على نفسه بالموت، كما حكم به على الفتاة المسكينة "فيكتوريا"، وكاد أن يقضي على "موللي". ومهما يكن من أمر فلا شك في أنه قد تعرف فعلاً إلى قاتل.

- وما الذي جعلك تتذكرين عينه الزجاجية فجأة؟

- كانت بعض العبارات التي وردت عرضاً في حديث لي مع السنيورا "دي كاسبيرو". كانت تتكلم وتثرثر عن دمامة العقيد "بالجريرف" وأن له عينا شريرة، وقد حاولت أنا أن أدافع عن "العقيد" فقلت لها إنها مجرد عين زجاجية وأنه لا ذنب لـ "العقيد" المسكين في ذلك، ثم قالت هي إن عينيه تنظران في اتجاهين مختلفين في نفس الوقت لأن بهما حولاً شديداً.. وبالتأكيد كان ذلك صحيحاً، ثم قالت هي إن مثل هاتين العينين تجلبان النحس. لقد كنت أعرف أنني سمعت شيئاً مهماً في ذلك اليوم ولكنني لم أتمكن من تحديده حتى كانت الليلة الماضية، بعد اكتشاف جثة "لاكبي"، حيث سطعت الحقيقة أمام عيني وأدركت لتوي أننا يجب أن نتصرف دون أي إبطاء.

- ولكن كيف حدث أن أخطأ "تيم كيندال" شخصية ضحيته؟

- مجرد مصادفة... أعتقد أن خطئه كانت كالأتي. بعد أن أقنع الجميع، بما فيهم "موللي" نفسها، بأن قواها العقلية ليست متزنة، وبعد أن أعطاهم جرعة كبيرة من العقار الذي كان يستخدمه معها، أخبرها بأنه باستطاعتها وحدها أن يميّط اللثام عن الجريمتين اللتين وقعتا في الجزيرة، وما عليها إلا أن تساعد. فبعد أن ينال الجميع يخرج كل منهما في اتجاه معين على أن يتقابلا في نقطة معينة عند

حافة الخليج الصغير. وربما أضاف أن لديه فكرة قوية عن شخصية القاتل وأنهما سينصبان له فخاً. وقد أطاعته "موللي" ولكنها كانت لا تزال واقعة تحت تأثير المخدر الذي أعطاه لها، ولذلك فقد أبطأت في سيرها نحو المكان المتفق عليه. أما "تيم" فقد وصل إليه قبلها وشاهد ما خيل إليه أنها "موللي" ... الشعر الذهبي والشال الأخضر. فتسلل خلفها ووضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ ثم غمر رأسها تحت الماء وأبقاها هناك.

- يا له من زوج ظريف! ولكن ألم يكن من الأسهل له أن يكتفي بإعطائها جرعة أكبر من المخدر وينتهي الأمر؟

- بالتأكيد كان ذلك أسهل، ولكنه كان كفيلاً بأن يثير الشك. إن كل ما كان لدى "موللي" من مواد مخدرة أو مهدئة قد أبعاد عنها كما تذكر، فإذا هي حصلت على قدر آخر، فمن هو أقرب الناس لتمكينها من ذلك سوى زوجها. أما إذا عاودتها نوبة من نوبات اليأس فلجأت إلى الانتحار بإغراق نفسها بينما يكون زوجها البريء المسكين مستغرقاً في النوم، فإن المسرحية تتم بذلك فصلاً، وما كان أحد ليفكر في احتمال أن تكون أغرقت بفعل فاعل. فضلاً على ذلك فإن القاتل عادة لا يفكر أبداً في تبسيط الأمور ولا يستطيع أن يتجنب التبحر في الخطة التي يضعها لتنفيذ جريمته.

- يبدو أنك مقتنعة تماماً بأنك تعرفين كل ما يمكن معرفته عن القتلة.. إذن فانت تعتقدين أن "تيم" لم يكن يعرف أنه أخطأ الضحية؟ هزت الآنسة "ماريل" رأسها وقالت:

- إنه لم يفكر حتى في النظر إليها، بل عاد مسرعاً وانتظر نحو ساعة، ثم تظاهر باكتشاف غياب زوجته ونظم مجموعة من النزلاء وخدم الفندق للبحث عنها وهو يمثل دور الزوج المفجوع.

- ومع ذلك فما الذي كانت تفعله "لاكي" بحق السماء في ذلك المكان وفي تلك الساعة المتأخرة؟ تظاهرت الآنسة "ماريل" مرة ثانية بالسعال، ثم قالت:

- أظن أنه من المحتمل أنها كانت تنتظر شخصاً ما...

- أهو "إدوارد هيلنجدون"؟

- أوه كلا.. إن ما كان بينهما قد انتهى... إنني لاتساءل عما إذا كان وجودها هناك هو لانتظار "جاكسون" ..

- "جاكسون" !!

- لقد راقبتها مرة أو مرتين وهي تنظر إليه ... أطلق السيد "رافيل" صغيراً خافتاً، وقال :

- يا لـ "جاكسون" الماكر! إنني لا أستبعد ذلك منه مطلقاً.. لابد أن "تيم" صدم عندما علم أن القتيلة ليست "موللي".

- بالتأكيد ... لقد وجد نفسه كالفأر الحبيس في المصيدة، فها هي "موللي" لا تزال حية وقد تبخرت في الهواء القصة أو المسرحية التي أجهد نفسه في حيك أطرافها حول حالتها العقلية فلن تعد تجديه نفعاً ولا سيما وقد أجمع الجميع على ضرورة عرضها على طبيب نفساني. فضلاً على ذلك فإنها متى روت خبر اتفاقه معها على المقابلة عند الخليج انكشف كل ما كان يحاول تكتمه، وعلى ذلك فإن الأمل الوحيد الذي بقي أمامه لإنقاذ حياته هو القضاء على "موللي" بأسرع ما يمكن، ومن جهة أخرى فإن وفاتها ستبرز احتمال أنها أقدمت على إغراق "لاكي" وهي تحت تأثير إحدى النوبات العصبية التي تعتربها وعندما أدركت فعلتها أقدمت على الانتحار.

- وكانت تلك هي اللحظة التي قررت فيها أن تقومي بدور "فميسيس"؟ توقف السيد "رافيل" قليلاً ثم أخذ يقهقه ضاحكاً وأردف :

- لو أمكنك أن تتصورى كيف كان منظرى عندما أيقظتني من نومي وأنت تلفين رأسك بذلك الشال الوردى وتقولين لي إنك "فميسيس" !! إنني لن أنسى هذا المنظر طوال حياتي.

الخاتمة

حان الوقت ووقفت الأنسة "ماربل" على أرض المطار في انتظار الطائرة التي ستستقلها، والتف حولها جمع غفير جاءوا لوداعها. كان "إدوارد هيلنجدون" وزوجته قد غادرا الجزيرة قبل ذلك في حين انتقل "دايسون" إلى إحدى الجزر الأخرى، وسرعان ما وصلت الإشاعة بأنه قد بدأ ينصب شباكه حول أرملة أرجنتينية، أما السنيورا "دي كاسبيرو" فقد عادت إلى "أمريكا الجنوبية". كانت "موللي" بين المودعين وكان وجهها ممتعاً يبدو عليه الهزل ولكنها كانت قد استعادت ثقتها بنفسها في حين قررت الاستمرار في إدارة الفندق بمساعدة أحد وكلاء السيد "رافيل" الذي أبرق إليه في "إنجلترا". وقد وجه إليها السيد "رافيل" الحديث قائلاً:

- إن انهماكك في العمل سيفيدك كثيراً وسيحول بينك وبين التفكير... إن هذا الفندق مشروع ناجح.

- ألا تظن أن جرائم القتل التي...

- الناس يحبون عادة الاستماع لقصص بعض الجرائم ولا سيما بعد كشف الستار عنها. فلا يشغلنك هذا الخاطر يا فتاتي وتشجعي، وفوق كل شيء لا تفقدي الثقة بكل الرجال لمجرد أنك قابلت واحداً شريراً. فاجابته "موللي":

- إنك تتكلم كما تفعل الأنسة "ماربل" تماماً، فهي قد دأبت أخيراً على أن تؤكد لي أن الرجل المناسب سيأتي يوماً ما. ابتسم السيد "رافيل" لهذه العاطفة ولم يعقب. وكان مع "موللي" في المطار الشقيقتان "بريسكوت" والسيدة "استر والترز" التي بدت أكبر سناً وأشد اكتئاباً، وكان السيد "رافيل" يوليها عطفاً ظاهراً. وكان "جاسون" هو الآخر بين المودعين وكان يتظاهر بأنه يشرف على حقائب الأنسة "ماربل" وهو بادي الانشراح، ولا غرو فقد هبطت عليه منحة مالية لم يكن يتوقعها. وأخيراً غطى أزيز الطائرة على أصوات الحاضرين وقد أخذت تقترب من المهبط في مطار الجزيرة الصغير الذي كاد يخلو من الحركة المعتادة في المطارات. وعندما توقفت الطائرة وفتح بابها لاستقبال المسافرين تقدمت "موللي" من الأنسة "ماربل" وعانقتها في حين صافحتها الأنسة "بريسكوت" بحرارة وهي

تؤكد لها ضرورة زيارتهما في "إنجلترا"، أما القس فقال :

- لقد كان سرورنا عظيماً بالتعرف إليك يا آنسة "ماريل"... إنني أشارك شقيقتي بكل حماس في دعوتها لك لزيارتنا. وقال "جاكسون" مداعباً :

- أتمنى لك كل سعادة يا سيدتي. وإذا احتجت إلى مساعدتي مرة أخرى فما عليك إلا أن تبرقي لي فاوافيك فوراً. أما "استر والترز" فظلت في المؤخرة وقد أدارت وجهها متجنباً لحظة الوداع، ولم تحاول الآنسة "ماريل" أن تسبب لها حرجاً فمدت يدها لتقابل يد السيد "رافيل" الممدودة إليها وهو يقول لها باللاتينية: "سلاماً" قيصر"، إن الذين سيموتون يحيونك". فأجابت الآنسة "ماريل" ضاحكة :

- أنت تعلم أنني لا أجد اللاتينية يا سيد "رافيل".

- ولكنك فهمت ما قلت... أجابت الآنسة "ماريل" :

- أجل. ولم تزد، فقد كانت تعلم تماماً ما يريد السيد "رافيل" أن يقوله، ولكنها استطردت قائلة :

- لقد سعدت كثيراً بمعرفتك. ثم أخذت طريقها نحو الطائرة وهي تلوح للجميع.